المرأة المتصوفة في السودان
الإرث المنسي

دراسة تاريخية
1504-2023م



د. عبد الجليل عبد الله صالح



2024

الكتاب	الْمَرْأَة المُتَصَوْفة في السُودَان
الكاتب	د. عبد الجليل عبد الله صالح
تاريخ النشر	الطبعة الأولى: 2024
رقم الإيداع	2023/1526
الترقيم الدولي	1861648618
التصميم	بكري خضر

الناشر

دار المصورات

للنشر والطباعة والتوزيع



الخرطوم غرب
شارع الشريف الهندي
المتفرع من شارع الحرية
ت:+249912294714
elrayah1995@gmail.com

المدير المسؤول:

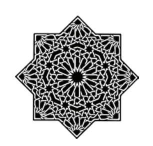
أسامة عوض الريح

الإهداء

إنَّ النِّساءَ شقائِقُ الذُّكْرَانِ
في عالم الأرواحِ والأَبدانِ
والحكمُ متَّحِدُ الوجودِ عليهِمَا
وهْوَ المعَبَّرُ عنه بالإنسانِ
وتفرَّقا عنهُ بأمرٍ عارِضٍ
فُصُلَ الإناثُ به عن الذُّكْرانِ

الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي

إلى شقائق الرِجَال **اللائي** ضربن بسهم وافر في تمكين وتوطيد منهج التربية الصُّوفِي في بلاد السُودَان.



المقدمة

أنجبت حواء السُودَان وما فتئت تنجب الحرائر والرائدات اللاتي برزن في شتى مجالات الحياة، عطاءاً وإبداعاً وتفرداً، قاسمن الرجل في كل منحى ومعترك، وكن أحياناً يتفوقن عليه حضوراً وبذلاً واجتهاداً[1].

في الحَضَارَة الكوشية إحدى حضارات العالم القديم في أفريقيا ساهمت الْمَرْأَة في التشكيل الحضاري. ذكرت الباحثة في تَارِيخ السُودَان القديم أمل سليمان بادي في ورقة علمية لها معلومات عن وجود مكانة مميزة للمرأة في فترة «حَضَارَة كوش». أيضاً ذكر خبير الأثار السُودَاني صلاح عمر الصادق في كتاب له بعنوان (نساء حكمن السُودَان قديماً) دور نساء «نبته» و»مروي» في بناء الحَضَارَة الكوشية والمساهمة في التطور الحضاري منذ فجر التَارِيخ. وينعكس لنا هذا الدور وبصورة واضحة في السجلات الأثرية مثل ألواح ملوك مملكتي «نَبْتَهْ» و»مروي» وكتابات القدامى أمثال هيرودتس في الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية في مملكة «مروي». وقد تعددت مهام وظائف الْمَرْأَة الكوشية ما بين وظائف دينية وسياسية وحربية. وأن من خلال النظر إلى هذه الوظائف التي كانت تقوم بها الْمَرْأَة يدل على وجود مكانة اجتماعية وسياسية ودينية مميزة لها في المجتمع الكوشي[2].

أما بالنسبة للمكانة الاجتماعية التي تميزت بها الْمَرْأَة تتضح لنا من خلال اللوحات الملكية التي جسدت مكانة الأم ودورها الفعال في أداء طقوس التتويج. حيث ذكر الملك تهارقا في لوح الفيضان قدوم الملكة الأم (أبار) إلى مصر لحضور

1- lmth·01_tsop-golb/80/7102/moc·topsgolb·0102naduslatib://sptth

2- زهراء جبريل حلو. مكانة الْمَرْأَة في حضارة كوش. مجلة السودان، على الرابط

-A8%9D%18%9D-9A%8D%68%9D%7A%8D%38%9D%58%9D/%moc·lanruojnadus·www://sptth

-9A%8D%1B%8D%7A%8D%6B%8D%DA%8D%

طقوس التتويج. أيضاً ورد في لوحات القرابيين المكتوبة بالخط المروي انتساب أهل مروي إلى الأم قبل الأب، فكان الواحد منهم يعرف نفسه بأنه فلان ابن فلانة ابن فلان مما يشير إلى مكانة الأم في نفوس المرويين[3].

ارتطبت المكانة الدينية بوضع تماثيل النساء الصغيرة التي تعود لفترة المجموعات الحضارية. أما في الفترة النبتية والمروية فقد ظهر دور الْمَرْأَة الديني لنا في منصب العابدة الإلهية زوجة الإله «آمون»، وقد حرص ملوك الأسرة الخامسة والعشرين تنصيب بناتهم في هذا المنصب وذلك لأهميته، وبالتالي أهمية مكانة النساء الاتي حملن هذا اللقب والمنصب. أيضاً بجانب هذا المنصب كانت هناك وظيفة دينية أخرى انحصرت على النساء وهي وظيفة العازفة الإلهية للاله آمون. في الأخر ومن خلال هذا التتبع للمهام التي تقلدتها الْمَرْأَة يتضح لنا أن المجتمع الكوشي وعبر تَارِيخه الطويل خصص للمراة مساحة مكنتها من إظهار دورها الكبير الذي كانت تؤديه[4].

إن اهتمام الملوك بأمهاتهم وأخواتهم وزوجاتهم وحرصهم على تخصيص مساحة واسعة لهن في العديد من المناسبات الدينية وظهورهن بجانب الملوك يعكس المرتبة السامية التي كن يشغلنها[5].

إنّ تَارِيخ السُودَان مليءٌ بالنِّسَاء الصَّالِحَات والمتصوفات سليلات بيوتات العِلْم والمعرفة، على الرُّغمِ من أن المصادر الصُّوفِية لم تفرد لهن أبواباً أو تراجم بذاتها بل جاءت أخبارهن مضمنة إلى سيرة الرِجَال الصالحين، ما إذا كانوا آباءً، أزوجاً، أو أبناءً. غير أن المصادر الشفهية تزخر بسيرة الكثيرات منهُن.

ولطبيعة الشخصية السُودَانية وموقفها من التوثيق فإنه – وللأسف الشديد – لم نعثر على إسهامات يمكن وصفها بالعِلْمية الأكاديمية من طرف النِّسَاء الصُّوفِيات،

3– المصدر نفسه.

4– زهراء جبريل حلو. مكانة الْمَرْأَة في حضارة كوش. مجلة السودان، على الرابط

–A8%9D%18%9D–9A%8D%68%9D%7A%8D%38%9D%58%9D/%moc·lanruojnadus·www://sptth

–9A%8D%1B%8D%7A%8D%6B%8D%DA%8D%

5– أمل سليمان بادي. المكانة السياسية والاجتماعية والدينية للمرأة في السودان القديم. مجلة الدراسات السودانية، مجلة نصف سنوية يصدرها معهد الدراسات الأفريقية والأسيوية– جامعة الخرطوم، المجلد الثالث عشر، العدد الأول أبريل 5002م، ص 61.

اللهم إلا بعض المخطوطات (نُسَخُ القرآن- الأوراد)، رغم الكم الهائل من النِّسَاء العالِمات في شتى بقاع السُودَان اللَّاتي تصدين للتعْلِيم والتدريس.

ففي السُودَان حضور مهم وواسع للمتصوفات ممتد زمانياً ومكانياً؛ فأين ما وجد متصوف وسالك لطريق القوم في بقاع البِلاد المترامية الأطراف، وجدت سالكة ومريدة للطريق الصُّوفِي. ولعل دورهن الكبير وحضورهن القوي في حركة التَّصَوُّف السُودَاني منذ دخوله في عصر الفونج (1504–1821) إلى تَارِيخنا الحاضر (2022م) هو ما دفعني للغوص في التجربة الصُّوفِية النسائية، والوقوف على كيفية اختراق الْمَرْأَة لهذا الفضاء، وتميزها فيه رغم المعوقات الاجْتِمَاعيّة والدينية التي ظلت دائماً تضع القوالب الجاهزة لتقييد وإزاحة الْمَرْأَة مقابل تصدر الرجل .

والتَّصَوُّف في هذا البلد الأفريقي- العربي ظاهرة اجتماعية، وهنا أمر يستدعي التساؤل: أين دور الْمَرْأَة المتَصَوْفة مع الحركة داخل المسايد والتَّكَايَا. وبما أن كتب التَارِيخ وسير الصالحين لم تسجل بشكل تفصيلي عن إسهاماتها في الخدمة داخل التَّكَايَا من الصباح الباكر وحتى الوقت المتأخر من الليل، إلا أنها ذات حضور قوي، بل إن كل تفاصيل الإكرام للحيران والضيوف الذين يقصدون «الْمَسِيْدْ» نجده يقع على عاتقها، خصوصاً في الماضي القريب، قبل التغير الذي طرأ على نمط العمل داخل التكيايا، والتي يمكن وصفه بـ «التكايا الحديثة» نتيجة دخول التكنلوجيا والأجهزة الحديثة المختلفة في إعداد الطعام والشراب.

بدأ تَعْلِيم البنات في السُودَان متزامناً مع تَعْلِيم الأولاد منذ أقدم مراحله كتَعْلِيم ديني بمؤسسة الخلوة، حيث التحقت البنات بالخلاوي وافتتحت بعض النِّسَاء خلاويهن التي اشتهرت مثل خلوة فاطِمَة بِتْ جَابِر، والكتاتيب الدينية بمدينة سواكن. وارتبط التعْلِيم الديني لِلْمَرْأَة بحركة التَّصَوُّف منذ عهد السلطنة الزرقاء (1504–1821)، وفترة الثورة المهدية. فخلال فترة المهدية تواصلت مسيرة التعْلِيم الديني لِلْمَرْأَة ومارست مهنة التدريس والتَعْلِيم الديني في الخلاوي وبرزت فاطِمَة بِتْ جَابِر كرائدة في هذا المجال وقد كانت نظيرة لإخوانها في العِلْم والتدين. وفي عهد الفونج وفي حقبة الممالك الإِسْلاَمية في سنار وتقلي والمسبعات في دارفور وكردفان. وهيأ هذا النظام رسوخ

مكانة الْمَرْأَة العالية[6].

إنّ تَارِيخ تَعْلِيم الْمَرْأَة في السُودَان قديم، وصحائف التَارِيخ تحدثنا عن سيدات سودانيات تعلّمْن في مدارس تحفيظ القُرْآن حتى أجَدن الحفظ والتجويد، وواصل بعضهن الدراسة فتفقهن في الدين على مذهب الإمام مالك، وقرأن علوم العربية والتجويد والحديث. كان ذلك في عهد مملكة الفونج في القرن السادس عشر الميلادي، ولم يكتفين بالتَعْلِيم بل راح فريق منهن ينشئ المدارس لتَعْلِيم الصبية والفتيات، وكانت مدارسهن مختلطة تقبل الصغار من الجنسين[7].

ويتضح لنا أن الْمَرْأَة لم يقف حرصها على طلب العِلْم، بل تعداه إلى التضحية بالجهد والمال في سبيل نشر القُرْآن والعلوم. وفي كتاب (الطبقات) حكايات يسوقها المؤلف عرضاً تدل على أن الْمَرْأَة السُودَانية كانت تعرف قيمة العِلْم وتضحي في سبيل تحصيله أعظم التضحيات[8].

برز من النِّسَاء السُودَانيات وعبر تَارِيخه الضارب في الجذور جملةٌ غير قليلة ممن كان لهن حظٌ وافرٌ في ممارسة التَّصَوُّف سلوكاً ووعظاً وإرشاداً، وأخريات عُرفن بالعِلْم والأدب ونظم الشِّعر.

كان للمرأة بعد دخول الدين الإِسْلاَمي السُودَان دور مهم في نشر الدين الإِسْلاَمي، بداية بالتزاوج مع الوافدين. كذلك نجد الشَّيْخة عائِشة بنت الشَّيْخ أبودليق التي خلفت أبوها بعد وفاته دون إخوانها وتزوجت من الشَّيْخ بدوي ابن أخ الشَّيْخ أبو دليق[9].

في هذا الكتاب الذي بين أيدينا جاء تصنيف الْمَرْأَة المتَصَوْفة في السُودَان إلى ثلاث مجموعات على النحو التالي: الْمَرْأَة الصَّالِحَة، الْمَرْأَة الشَاعِرَة والمادحة. أما الصَّالِحَة فقد شملت (الصَّالِحَة العالِمةَ وغيرَ العالِمة). فالصَّالِحَةُ العالِمةُ – ومن خلال

6–سهير أحْمَد صلاح. ورجاء حسن خليفة. النهوض بتَعْلِيم الْمَرْأَة في السُودَان.ude·aimedacA

7–مقرر اللغة العربية (المرحلة الثانوية). وزارة التَعْلِيم العام، المركز القومي للمناهج والبحث التربوي، بخت الرضا، 8002، ص 39.

8–المصدر نفسه، ص39.

ptth_9://yrotisoper.hcetsus.ude/maertstib/eldnah/85911/987654321/%%8D%02%8A%8D%7A%8D%8A%8D%48%9D%7A%8D BA%8D%48%9D%7A%-8%9D%7A%8D%02%1B%8D%7A%8D%7B%8D%7A%8D%48%9D%7A%8D%02%98%9D%68%9D%7A%8D A8%9D%1B%8D%8B%8D%68%9D%4%02.fdp?ecneuqes=3

الشخصيات التي وثقنا لها – شملت (زوجةً لصالحٍ أو بنتاً لرجلٍ صالح). أما الصَّالِحَة من غير العالِمة كانت (أم، زوجة، بنت ومريدة).

والمجموعة الثانية من الْمَرْأَة المتَصَوْفة حسب التصنيف الوارد في الكتاب، كانت الشَاعِرُة، وفي ثنايا الكتاب هنالك شَاعِرَات مثّلن زوجاتٍ لصالحينَ، كما شملت المجموعة الشَاعِرُة المريدة المنتمية للطريقة الصُّوفِية.

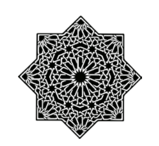
أخيراً، فإن المجموعة الثالثة للمَرْأَة المتَصَوْفة كانت المادحة، وفي غالب الأحيان قصرت هذه الفئة على مريدات في الطريق الصُّوفِي.

وعليه فإن النماذج التي شملها التصنيف أعلاه والواردة أسماؤهن في صفحات الكتاب واللَّائي مثّلن فترات ومناطق مختلفة من ربوع البِلاد، هنَّ في واقع الأمر من وُفقت في جمع معلومات عنهن، ولاشك أن هناك الكثير والكثير من الصَّالِحَات، والشَاعِرَات والمادِحَات على المستوى الفردي قد أخذتهن يد المنون، دون أن يجدن حظهن من التدوين.

د. عبد الجليل عبد الله صالح

الباحة– العقيق– المملكة العربية السعودية

2023/8/27م



الباب الأول

مكانة الْمَرْأَة في السُودَان القديم

المكانة الدينية والاجتماعية للمرأة في الحَضَارَة الكوشية والمروية:

الْمَرْأَة السمراء من إحدى أقوى النساء في العالم. في الحَضَارَة الكوشية – إحدى حضارات العالم القديم في أفريقيا – ساهمت الْمَرْأَة في التشكيل الحضاري. ذكرت الباحثة في تَارِيخ السُودَان القديم أمل سليمان بادي – في ورقة علمية لها – معلومات عن وجود مكانة مميزة للمرأة في فترة حَضَارَة «كوش». أيضاً ذكر خبير الآثار السُودَاني صلاح عمر الصادق في كتاب له بعنوان (نساء حكمن السُودَان قديماً) دور نساء نبته ومروي في بناء الحَضَارَة الكوشية والمساهمة في التطور الحضاري منذ فجر التَارِيخ. وينعكس لنا هذا الدور وبصورة واضحة في السجلات الأثرية مثل ألواح ملوك مملكتي نبته ومروي وكتابات القدامى أمثال هيرودتس في الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية في مملكة مَرَوِيْ. وقد تعددت مهام ووظائف الْمَرْأَة الكوشية ما بين وظائف دينية وسياسية وحربية. وأن من خلال النظر إلى هذه الوظائف التي كانت تقوم بها الْمَرْأَة دلالةً على وجود مكانة اجتماعية وسياسية ودينية مميزة لها في المجتمع الكوشي[10].

أما بالنسبة للمكانة الاجتماعية التي تميزت بها الْمَرْأَة تتضح لنا من خلال اللوحات الملكية التي جسدت مكانة الأم ودورها الفعال في أداء طقوس التتويج.

10– زهراء جبريل حلو. مكانة الْمَرْأَة في حضارة كوش. مجلة السودان، على الرابط
8D%68%9D%7A%8D%38%9D%58%9D/%moc.lanruojnadus.www://sptth
_9A%8D%1B%8D%7A%8D%6B%8D%DA%8D_%A8%9D%18%9D-9A%

حيث ذكر الملك تهارقا في لوح الفيضان قدوم الملكة الأم (أبار) إلى مصر لحضور طقوس التتويج. أيضاً ورد في لوحات القرابيين المكتوبة بالخط المروي انتساب أهل مروي إلى الأم قبل الأب، فكان الواحد منهم يعرف نفسه بأنه فلان ابن فلانة ابن فلان مما يشير إلى مكانة الأم في نفوس المرويين[11].

ومن خلال دراستنا للمناظر التي تُرسم على اللوحات الملكية خاصة تلك التي تؤرخ لمناسبات التتويج، تتضح لنا مكانة الأم الملكية في مثل هذه المناسبات ولعل دور الأم الملكية في أداء هذه الطقوس المتصلة بالتتويج كانت من الأهمية بمكان حيث أنها كانت تحتل مكاناً بارزاً في الجزء الأعلى من اللوحات وتخاطب الإله آمون. وقد ظهرت ألواح بعض الملوك الكوشيين هذا الدور ففي لوح الفيضان الذي يخص الملك تهارقا (Taharaqa) – ويعود للسنة السادسة من حكمه – يذكر النص قدوم الملكة الأم آبار (Abar) إلى مصر لتشاهد مراسم تتويج ابنها في صورة الإله حورص وهو يجلس على عرش أبيه الإله أوزريس[12].

ارتطبت المكانة الدينية بوضع تماثيل النساء الصغيرة التي تعود لفترة المجموعات الحضارية. أما في الفترة النبتية والمروية فقد ظهر دور الْمَرْأَة الديني لنا في منصب العابدة الإلهية زوجة الإله آمون، وقد حرص ملوك الأسرة الخامسة والعشرين تنصيب بناتهم في هذا المنصب وذلك لأهميته، وبالتالي أهمية مكانة النساء التي حملن هذا اللقب والمنصب. أيضاً بجانب هذا المنصب كانت هناك وظيفة دينية أخرى انحصرت على النساء وهي وظيفة العازفة الإلهية للاله آمون. في الأخر ومن خلال هذا التتبع للمهام التي تقلدتها الْمَرْأَة يتضح لنا أن المجتمع الكوشي وعبر تَارِيخه الطويل خصص للمراة مساحة مكنتها من إظهار دورها الكبير الذي كانت تؤديه[13].

إن اهتمام الملوك بأمهاتهم وأخواتهم وزوجاتهم وحرصهم على تخصيص مساحة واسعة لهن في العديد من المناسبات الدينية وظهورهن بجانب الملوك يعكس المرتبة

11- المصدر نفسه.

12- أمل سليمان بادي. المكانة السياسية والاجتماعية والدينية للمرأة في السودان القديم. مجلة الدراسات السودانية، مجلة نصف سنوية يصدرها معهد الدراسات الأفريقية والأسيوية- جامعة الخرطوم، المجلد الثالث عشر، العدد الأول أبريل 5002م، ص 21.

13- زهراء جبريل حلو. مكانة الْمَرْأَة في حضارة كوش. مجلة السودان، على الرابط
-9A%8D%68%9D%7A%8D%38%9D%58%9D%/moc.lanruojnadus.www//:sptth
-9A%8D%1B%8D%7A%8D%6B%8D%DA%8D%-A8%9D%18%9D

السامية التي كن يشغلنها[14].

يرى المفكر السُودَاني الدكتور النور حمد الترابي أن التَّصَوُّف في السُودَان بنى ميراثه على الإرث الروحاني للحَضَارَة الكوشية والمسيحية التى شكلت فترة تَارِيخية حكمت السُودَان قبل مجيء الإِسْلاَم. في عبارته يقول: «التَّصَوُّف في السُودَان وما يتعلق منه بمحاولته منح الْمَرْأَة مكانتها كإنسان له تَارِيخ قديم في السُودَان. والتَّصَوُّف هو الروحانية، والروحانية هي جوهر كل دين وكل إيمان بالغيب أياً كانت صورته. ولو نحن نظرنا في إرثنا الكوشي الذي يعود إلى قرابة الخمسة آلاف عام لوجدنا أن النساء كان لهن دورٌ في المعابد القديمة، وأنا ممن يعتقدون أن للتصوف السُودَاني خصائص تميزه عن غيره من أنماط التَّصَوُّف في البلاد الإِسْلاَمية، على الرغم من أن التَّصَوُّف وفد إلينا من اليمن ومن المغرب ومن الحجاز ومن مصر أيضاً. وتأتي خصوصيته أنه تأسس على ميراث سابق هو الروحانية الكوشية واليهودية والمسيحية، فعندما وصل المتصوفة إلى السُودَان لم يحاولوا قلب ثقافة أهل البلاد رأساً على عقب وإنما بنوا على ذلك الميراث القديم وعلى الخصائص الثقافية للشعوب السُودَانية. ففي حين يضيق الفقه المدرسي بالموسيقى وبضرب الطبول والدفوف وبالرقص، أدخل المتصوفة كل تلك العناصر الثقافية في أذكارهم وطقوسهم. كما بنوا على المواريث الكوشية التشاركية المتسمة بالتكافل وبالكرم فقامت التكايا والمسايد والخلاوى وأصبحت مؤسسات اجتماعية خدمية. كل ذلك وغيره أعطى التَّصَوُّف السُودَاني نكهته الخاصة له»[15]. ويستمر الدكتور النور حمد قائلًا: «يمكنني القول فيما يخص وضع الْمَرْأَة في مجال التَّصَوُّف في السُودَان أنه وضع متميز ومتقدم على غيره. خاصة إذا ما قارناه بما يسمى التَّصَوُّف السني في عديد البلدان العربية والإِسْلاَمية، باستثناء فترات قليلة كالتي كانت في الأندلس. والسبب في ذلك هو الموروث الكوشي الذي لم يخلق فصلاً حاداً بين الرجال والنساء. فالتَّصَوُّف لم ينجح كثيراً في بلدان غير السُودَان في منح الْمَرْأَة مكانتها اللائقة بها بسبب مواريث تلك الشعوب الأخرى. وهي مواريث منحدرة من تراثها القبلي البطريركي الذكوري. فالبيئة السُودَانية ليست قامعة للنساء

14- أمل سليمان بادي. المكانة السياسية والاجتماعية والدينية للمرأة في السودان القديم. مجلة الدراسات السودانية، مجلة نصف سنوية يصدرها معهد الدراسات الأفريقية والأسيوية- جامعة الخرطوم، المجلد الثالث عشر، العدد الأول أبريل 5002م، ص 61.

15- مقابلة مع النور حمد الترابي. الخرطوم، عبر الواتساب بتَارِيخ 2202/21/32م.

تَارِيخياً. وحتى القمع الذي طرأ مؤخراً إنما يعود إلى دخول القبائل الرعوية العربية القادمة من الجزيرة العربية إلى مراعي السُودَان ابتداءً من القرن الثالث عشر. يضاف إلى ذلك أيضاً دخول الخديوية المصرية إلى السُودَان بفقهائها الذين صحبوا الحملة وأتوا معهم بحمول المواريث الفقهية التركية بنظام حريمها، والفصل الحاد بين الرجال والنساء. وعلى هذا الغرار تأسس فكر الإخوان المسلمين الذي وفد هو الآخر من مصر. كما جاء من الجزيرة العربية، أيضاً، التيار الوهابي الذي ارتكز على تطرف وتزمت كلاً من محمد بن عبد الوهاب ونمط تدينه البدوي، إضافة إلى صلة نهج محمد بن عبد الوهاب الواصلة بنهج ابن تيمية وأحمد بن حنبل. أثرت هذه التيارات سلباً على البيوت الصوفية ولذلك لم تصبح نظرة رجال الطرق الصوفية الذين عايشوا الحقبة الخديوية والمهدوية نحو الْمَرْأَة كنظرة أسلافهم الذين عاشوا في فترة الحكم السناري. فالحقبة السنارية كانت أقرب إلى الحقبتين المسيحية والكوشية ولذلك اندمجت بقايا الإرث الكوشي والمسيحي بما جاء به التَّصَوُّف. أما المؤثرات اللاحقة كالخديوية والمهدوية فقد أثرت سلباً على موقف الطرق الصوفية تجاه الْمَرْأَة. فمالت الطرق الصوفية – هَوناً ما – إلى تبني الموقف الفقهي تجاه الْمَرْأَة. غير أن تعليم الْمَرْأَة في النصف الثاني من القرن العشرين قلب الأوضاع ورسخ حقوق الْمَرْأَة رغم ما لقي ذلك من مقاومة. ولعل أبرز تيارين صوفيين جعلا النساء ينخرطن بأعداد مستفيضة ويشاركن في أنشطة التسليك التربوي وأنشطة الأذكار هما حركة الفكر الجمهوري بقيادة الأستاذ محمود محمد طه في أمدرمان وفروعها في الأقاليم وكذلك السادة العجيمية في مركزهم في منطقة منحنى النيل في شمال السُودَان»[16].

16- المصدر نفسه.

الباب الثاني

الْمَرْأَة في الفضاء الصُّوفِي

موقف التَّصَوُّف من تصوف الْمَرْأَة:

وقف التَّصَوُّف الإِسْلاَمي موقفًا متحضراً من الْمَرْأَة ونظرة» أهْل الله» لِلْمَرْأَة من زاوية الْمَرْأَة المسلمة الصَّالِحَة العابدة، ساعدها في دفع طاقاتها الروحية لمواكبة حركة الحياة الدائبة، في كل يسر وسهولة ومشاركة مجتمعها في شتى المجالات والعمل على رقيه ورفعته. فلم يكن علم التَّصَوُّف والأحوال علماً خاصاً بالرِجَال دون النِّسَاء، فقد أضافت النِّسَاء إلى علم التَّصَوُّف قدراً وافراً من المعرفة من أقوال « أهْل الله» وتجلَّياتهم جاءت على لسان كثير من العابدات الصُّوفِيات من كلامهن أنفسهن أو من كلام سمِعْنه أو رَوَيْنه عن رِجَال الصُّوفِية ومشايخهم مما لا تجده في تراجم هؤلاء الرِجَال من كتب التراجم والطبقات.[17]

آمن الصُّوفِي أنّ المراتب الروحيّة مفتوحة لِلْمَرْأَة كما للرّجل، فالإنسان ذاتٌ أمام الله، لا فرق بين واحد وآخر لا بالجنس ولا باللون ولا بالسنّ، الفرق هو في مرتبة قربه من الله. لم تكن الْمَرْأَة غائبة من وجدان الصُّوفِي وتجربته، بل كانت رفيقته في طريق العشق للمعشوق الأوحد. ويؤكد قولنا أنّ كثيرات من نساء المتصوّفين الكبار كنّ شريكات لأزواجهنّ في الطريق إلى الله، كزوجة الحكيم الترمذيّ شريكته في ولايته، وفاطِمَة زوجة ابن خضرويه التي شهد لها البسطاميّ بمقام الفتوّة، وقال عنها ذو النون: هي وليّة من أولياء الله، وهي أستاذي. إنّ النِّسَاء كنّ بابًا لشُهود المتَصَوْفة

17–النساء والصُوفيَّة. مقال منشور على الرابط /loohcs.ayiridaQ/moc.koobecaf.www//:sptth /274835310006569/stsop

لله، فحيث أنّ الحقّ سبحانه لا يُشاهد مجردًا عن المواد أبدًا، حتّى لو شاهد الرائي نورًا فالنور مادة، فشهود الإنسان للحقّ سبحانه في النِّسَاء هو أعظم شهود وأكمله، وهنا تصبح الْمَرْأَة الإنسان بابًا مفتوحًا يعبر منه الشاهد إلى الجمال المطلق من خلف حجاب الصور[18].

في كتابها (الأبعاد الصُّوفِية في الإِسْلاَم وتَارِيخ التَّصَوُّف) تقول الباحثة والمتخصصة في التَّصَوُّف الإِسْلاَمي البروفيسور آنا ماري شيمل (1922–2003) إن التَّصَوُّف كان أنسب فروع الإِسْلاَم لتطور أنشطة النِّسَاء. وطبيعي أيضاً أن يكون للمؤثرات الاجْتِمَاعيّة والنفسية والتَارِيخية دور في اختيار جانب من العنصر النسائي المتَّصَوُّف من حيث هو موقف من المجتمع والثقافة والسياسة والاعتقاد.[19]

وقد ذهب الشَّيْخ ابن عربي إلى أبعد من ذلك في توقير الْمَرْأَة واحترامها حيث يقول: إن الذات الإلهية مؤنثة وإن التوحيد مذكر ويستطرد قائلاً ليؤكد عظمة التأنيث وقدسيته فيقول: (إن الله نهانا أن نتفكر في ذات الله وما منعنا من الكلام في التوحيد، وهذا يعني قدسية الذات المؤنثة التي لا يجوز أن يطالها الفكر. وعدم قدسية التوحيد المذكر وإباحته بالتالي للكلام). ويذهب أبعد من ذلك فيقول: (كن على أي مذهب شئت فإنك لا تجد إلا التأنيث يتقدم حتى عند أصحاب العلة الذين جعلوا الحق علة في وجود العالم والعلة مؤنثة وإن شئت قلت القدرة فالقدرة مؤنثة أيضاً). فلذلك نقول وبكل تقدير أنه لا يوجد دين من الأديان أو قانون أو معتقد أكرم الْمَرْأَة ورفع من مقامها كما فعل الإِسْلاَم والتَّصَوُّف بنظرته المعاصرة للأمور. وقد جاء كلام ابن عربي مطابقاً لكلام الله في تفضيل الإناث على الذكور حين يقول الله تعالى:(يَهَبُ لِمَنْ يَشَاْءُ إِنَاْثَاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاْءُ الْذُّكُوْرَ)، فقد جاء لفظ الإناث قبل الذكور في الهبة من عند الله تعالى[20].

18–خالد محمْد عبده. التَّصَوُّف يقدم للإنسان رؤى كثيرة. على الرابط
//:sptth:JkeA_MUZ6fDG:ehcac=q?hcraes/moc.tnetnocresuelgoog.ehcacbew//:sptth
9D52%7A52%8D52%EA52%8D52%/3/3/2202/sweivretni/haffid/ku.oc.ybarala.haffid
-FA52%8D52%4852%

19–فاطِمَة بدري. الصُوفيَّة تيار احتضن الْمَرْأَة بعد أن نبذها الفقهاء (1-2). على الرابط %/moc.stsopq.www//:sptth
-9A%8D%A8%9D%18%9D%88%9D%5B%8D%48%9D%7A%8D

20–علي كاني. الْمَرْأَة في ميزان الصُوفيَّة. على الرابط 6291/moc.nazansak//:sptth

إن الحراك النسائي كان نشطاً في العقود الأولى من تَارِيخ المسَلَّمِين، وإنّ الإِسْلاَم– نصًّا وتطبيقًا– بريء من تهميش الْمَرْأَة، ومن حبسها في صورة نمطية، ومن حرمان الفضاء العام من مشاركتها العِلْمية والفكرية والاجْتمَاعيّة والإنسانِيَّة. وإننا نثمِّن غاليًا جهود جميع العاملين –اليوم– على إظهار فاعلية الْمَرْأَة المسلمة ومشاركتها الرجل في صنع حَضَارَة الإِسْلاَم، ونقدّر عالياً عمليات الحفر في التراث للكشف عن وجوه نسائية برزت – عبر التَارِيخ– في ميدان الفقه والحديث والرواية والدراية، وجلست للتَعْلِيم ونقل المعرفة لأجيال من طلبة العِلْم، أو لتظهير وجوه نسائية اشتُهرت ببذل المال والحليّ في مجال أبدعه الإِسْلاَم ولم يكن معروفًا لدى العرب وهو مجال الأحباس والأوقاف، فبُنيت –بأموال النِّسَاء– مدارس ومكتبات عامة ومساجد ومستشفيات ودُور لطلبة العِلْم وخوانق (جمع خانقاه) لإقامة العبّاد والزهاد والصُّوفِية واستقبال الفقراء وعابري السبيل وأربطة (جمع رِباط) للنساء العابدات الصُّوفِيات انتشرت في بلاد المشرق العربي، وبخاصة في بغداد وحلب ودمشق والقاهرة، وأيضاً في بلاد المغرب العربي..

ونشارك في عمليات الحفر في التراث، للكشف عن تمثُّلٍ مختلف لِلْمَرْأَة، تمثُّل يتّسم بالمحبة والرحمة والحكمة والتقدير الذاتي بعيدًا من المواجهات والمجادلات والسجالات وصراع الأدلة والعلاقات السلطوية.. هذا التمثُّل هو: وجود الْمَرْأَة في الفضاء الصُّوفِي[21].

والنظرة الصُّوفِية لِلْمَرْأَة فريدة، كونها تعبر عن تجربة روحية عميقة توجه الصُّوفِي في مساره التعبدي، فالْمَرْأَة هي النموذج الأعلى للجمال الأرضي وتأمل جمال الْمَرْأَة بل وتمثل الجمال الخالد لِلْمَرْأَة عبر الحب سبيل إلى معرفة الله[22].

صورة الْمَرْأَة بين التَّصَوُّف الفلسفي والتَّصَوُّف الأخلاقي:

يشير الباحث المغربي مراد جدّي إلى أن التدين الصُّوفِي أتاح لِلْمَرْأَة موقعاً متميزاً مقارنة بأنساق التدين الأخرى، ولكنّ موقف الصُّوفِية من الْمَرْأَة لم يكن دائماً إيجابياً،

21–سعاد الحكيم. الْمَرْأَة في الفضاء الصوفي قد تصل إلى «رتبة القطبية» وهي بمنزلة الخلافة في»الدولة الروحية». مجلة الفيصل على الرابط 82061=p?/moc.gamlasiafla.www//:sptth

22–النساء والصُوفيَّة. مقال منشور على الرابط 27483531000656 9/stsop/loohcs.ayiridaQ/moc.koobecaf.www//:sptth

بل ثمة اختلاف في هذا الموقف بين أشكال المعرفة الصُّوفِية[23].

رغم الحضور القوي لِلْمَرْأَة داخل التيار الصُّوفِي ورغم المكانة الرفيعة التي حظيت بها داخل محرابه؛ فإن موقف الصُّوفِيين من الْمَرْأَة لم يكن دائماً متعارضاً مع التصور الفقهي لِلْمَرْأَة، بل كان في غالب التصورات الصُّوفِية متماهياً معه إلى حد كبير. ولهذا قسَّم الباحثون صورة الْمَرْأَة في الصُّوفِية إلى قسمَين؛ الأول يتزعمه كبير الصُّوفِيين وأشْهَرهم على الإطلاق ابن عربي، وهو التَّصَوُّف الفلسفي، والثاني هو التَّصَوُّف الأخلاقي؛ ففي الأول تكون الأنوثة عنصراً مساوياً للذكورة ومبدأ الحياة الإنسانِيَّة كلها، حتى إن ابن عربي قد ساوى بين الْمَرْأَة والرجل في الإنسانِيَّة، وكان يؤمن بأن الإنسانِيَّة ليست أقوى في الرجل ولا أضعف في الْمَرْأَة، وليست الْمَرْأَة أقل إنسانية من الرجل؛ إنما هي مقسمة بينهما بالتساوي، وقد عبَّر عنها بقوله:» أيدك الله إن الإنسانِيَّة لما كانت حقيقة جامعة للرجل والْمَرْأَة لم يكن للرِجَال على النِّسَاء درجة من حيث الإنسانِيَّة»؛ أي أن هناك تطابقاً بين الرجل والْمَرْأَة على مستوى الإنسانِيَّة لا يكتمل إلا بكليهما معاً.

فصورة الْمَرْأَة في التَّصَوُّف الفلسفي تختلف عنها في التَّصَوُّف الأخلاقي. في الأول، يُنظَر لِلْمَرْأَة باعتبارها مبدأ الحياة الإنسانِيَّة كلها، وبالنسبة لابن عربي، أبرز رموز هذا التيار، فإن العلاقة بالْمَرْأَة تمثّل تجديداً للعلاقة مع الإلوهية والطبيعة. ووفقاً لما أورده جدّي اعتماداً على ما توصل إليه باحثون سابقون في فكر الشَّيْخ الأكبر، فإن ابن عربي «يعتبر أن الذكورة والأنوثة الطبيعيتين مجرد عرضين بالنسبة إلى الإنسان، ولا يحق النظر إليهما كمعيارين للانتماء إلى الإنسانِيَّة او الانحراف عنها»، ومن ثم فهو يرى في الفعل الجنسي «الدرجة القصوى لذوبان عنصري الأنوثة والذكورة بعضهما في بعض، أي عودتهما إلى الحالة الأصلية الأولى، وبذلك يتحقق الكمال المطلق حيث يتوحد في هذه الحالة المبدأ الفاعل(الذكورة) والمبدأ المنفعل (الأنوثة)، وعليه يُنظر إلى الفعل الجنسي باعتباره فعلاً من أفعال العبادة، بل أشرف حالات العبادة». كذلك، فإن طبيعة التكوين العاطفي لِلْمَرْأَة تجعل تجربتها الصُّوفِية أكثر عمقا وحساسية[24].

23–المصدر نفسه.

24–منى علي علام. النساء والتَّصَوُّف: خصوصيّة التجربة وإشكاليّات التَارِيخ. نشر في السفير العربي بتَارِيخ 41/مارس/8102م على الرابط:

وفيلسوف التَّصَوُّف ابن عربي والذي أحدث ثورة مفاهيمية غير من خلالها الموقف السائد تجاه الْمَرْأَة، عنده أن الحقيقة الجامعة للرجل والْمَرْأَة على السواء هي الإنسانِيَّة في أبهى صورها، وهنا يقول :«اعلم أيّدك الله أن الإنسانِيَّة لما كانت حقيقة جامعة للرجل والْمَرْأَة لم يكن للرِجَال على النِّسَاء درجة من حيث الإنسانِيَّة «[25]. فالْمَرْأَة في الصُّوفِية الفلسفية، التي يتجلى فيها ابن عربي، تجد النسوة وضعية مريحة لهن، تعزز حريتهن الدينية، بحيث حقق بعضهن دوراً بارزاً كسرن من خلاله حاجز الذكورية في مجتمعاتهن. فقد شهد التَارِيخ الإِسْلاَمي بروز صوفيات على امتداد رقعة الإِسْلاَم كالشَّيْخة ميمونة في المغرب، والشَّيْخة زينب في مصر، وميمونة في مالطا. فالتمايز بين الرجل والْمَرْأَة فى الأهْلية الدينية كما في قضايا الإمامة والقطبية والتشوخ والإفتاء والقضاء الشرعي، يعد تمييزاً ظاهراً تجسده الأخلاق الشرقية وفلسفتها التى ترسخ دونية الْمَرْأَة، وتُنَظّر المذاهب الفقيهة لهذا التمايز لصالح الرِجَال. فالْمَرْأَة فى الفلسفة الصُّوفِية تعتبر مبدأ الحياة الإنسانِيَّة كلها، فقد جعل ابن عربي العلاقة مع الْمَرْأَة تجديداً للعلاقة مع الألوهية والطبيعة، كما توضح نزهة براضة في «الأنوثة في فكر ابن عربي.»[26]

أما التَّصَوُّف الأخلاقي، وهو الأكثر انتشاراً، فقد تبنّى التصور الفقهي التقليدي لِلْمَرْأَة كرمز للفتنة والغواية، وكعقبة أمام بلوغ الولاية والصلاح، واعتُبر التعلّق بالْمَرْأَة، حتى إن كان ذلك بطريق شرعي أي بالزواج، مرادفاً للانغماس في الدنيا، بل إن بعض الصُّوفِية نظر إلى الزواج كعائق عن بلوغ الترقّي الروحي، ومن ثم تكون الْمَرْأَة كائناً سلبياً ينبغي الابتعاد عنه لتحقيق الكمال.[27]

%3B%8D%68%9D%48%9D%7A%8D%/41/30/8102/84402/ra/moc.ibararifassa//:sptth

‾1A%8D%7A%8D

25-سعد أفوغال. الْمَرْأَة في التصور الصوفي. على الرابط https://www.islamanar.com/the-woman-in-the-sufi-imagination/

26-رافد علي. التَّصَوُّف النسوي. على الرابط http://alwasat.ly/news/opinions/344898?author=1

27-منى علي علام. النساء والتَّصَوُّف: خصوصيّة التجربة وإشكاليّات التَارِيخ. نشر في السفير العربي بتَارِيخ 14/مارس/2018م على الرابط https://assafirarabi.com/ar/20448/2018/03/14/%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B3%D8%A7%D8%A1-

‾1A%8D%7A%8D%3B

تجليات الْمَرْأَة الصُّوفِية:

إن أخبار النسوة الصُّوفِيات مخزونة في موسوعات تَارِيخ المسَلَّمِين ومنها: تَارِيخ بغداد للخطيب البغدادي، وتَارِيخ دمشق لابن عساكر. وفي كتب الطبقات والتراجم ومنها: صفة الصفوة لابن الجوزي، وحلية الأولياء لأبي نُعَيْم الأصفهاني، وسير أعلام النبلاء للذهبي، وذكر النسوة المتعبدات الصُّوفِيات للسلمي. ومع تزايد الاهتمام بالفكر الصُّوفِي وبالْمَرْأَة الصُّوفِية، منذ نصف قرن تقريبًا، صدرت عشرات الكتب والدراسات باللغة العربية وبلغات أجنبية حاكية عن حضور الْمَرْأَة في الفضاء الصُّوفِي وخصوصية سعيها الروحي، وعن نظرة الرجل الصُّوفِي المتسمة بالمساواة الإنسانِيَّة والرحمة الشاملة إلى الْمَرْأَة سواء كانت شريكاً في التجربة الروحية أو شريكاً في الحياة الدنيا.

وعندما نفتح هذه الكتب المذكورة –أو ما توافر منها– تضيء الصفحات التي تثوي في حروفها أخبار هؤلاء النسوة، وتحكي عن وجودهن في تَارِيخ المسَلَّمِين وحاضرهم.. ومنهن المقيمات في بيوت صوفية معروفة، بصحبة قامات روحية عالية، بصفتهن إما الزوجة أو الأخت أو الابنة، ومنهن السائحات العابدات الزاهدات اللواتي لم تكن أخبارهن لتصلنا لولا تدوين كبار رِجَال الصُّوفِية أقوالَهن، ومنهن المؤدبات المربّيات اللواتي تركن بصماتهن على الحياة الروحية لكبار رِجَالات الصُّوفِية، ومنهن الأميات العارفات اللواتي يتصدَّيْنَ لإنشاء الكتب بالإملاء على قريب عارف بالقراءة والكتابة، ومنهن العالمات صاحبات المدونات الصُّوفِية والمرجعيات الكبرى، ومنهن المقيمات ضمن جماعات صوفية في الأربطة المخصصة للنساء، ومنهن الشَّيْخات القائدات لتجمعاتهن الصُّوفِية أو الممثلات لشيخ الطريقة في محيطهن الجغرافي أو النسائي، ومنهن الباحثات المؤرخات المفكرات[28].

وتحدثنا كتب الزهد والتَّصَوُّف والعبادة عن صحابيات صديقات وعابدات صابرات ومصلحات كريمات، لعل منهن شهيرات أمثال نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن ابن أبي طالب ومن العابدات المشهورات في علوم التَّصَوُّف «رابعة العدوية» التي يرجع لها الفضل في إشاعة لفظ الحب عند من جاء بعدها من الصُّوفِية

28–سعاد الحكيم. الْمَرْأَة في الفضاء الصوفيقد تصل إلى «رتبة القطبية» وهي بمنزلة الخلافة في »الدولة الروحية«. مجلة الفيصل على الرابط 82061=p/?moc.gamlasiafla.www://sptth

حين لم يكن الكلام في الحب ممهداً، ورابعة هي خير مثال على حرية الْمَرْأَة ودورها وتأثيرها في المجتمع ومن هنا جاءت شهرتها حيث وصفها ابن خلكان قائلا: «كانت رابعة العدوية من أعيان عصرها وأخبارها في الصلاح والعبادة والعِلْم»، وليس أدل على مكانتها ما نقل أن سفيان الثوري مع ما عرف عنه من الزهد والعِلْم كان يجلس بين يديها ويقول لها:»علمينا مما أفادك الله من طرائف الحكمة»، وكانت تقول له: «نعم الرجل أنت لولا أنك تحب الدنيا». وكان يعترف ويسلم لقولها وكانت رابعة العدوية أول من استعمل كلمة «الحب الإلهي» استعمالاً صريحاً فيما تناجي به الله عز وجل وإقبالها عليه وإيثارها له سبحانه. وتقول الدكتورة سعاد الحكيم في دراسة لها بعنوان»الْمَرْأَة ولية وأنثى. .قراءة في نصّ ابن عربي»: من خلال إشارات لنساء متصوفات أفراد في حقل التَّصَوُّف نستشف نحن أهْلية الْمَرْأَة كجنس للعرفان والقرب الإلهي وبالتالي مشروعية أخذ الرجل عنها وتربيته في مجالسها وتأدبه بنهجها وطريقها، وها هو الحسن البصري يقول لصحبه مدللاً على شخص السَّيِّدة رابعة: «هيّا بنا إلى المؤدبة».. وفي مجلسها تتداول مع أهْل النخبة من الحضور فنرى من طرحهم جميعاً لمفاهيمهم الصُّوفِية علو تجربتها على تجربتهم، وبالتالي يصبح نصها هدفاً لمجاهدة رجل وتحققه من أمثال الحسن البصري ومالك بن دينار.. ويقول عنها محيي الدين بن عربي: رابعة العدوية المشهورة التي أربت على الرِجَال حالاً ومقاماً.[29]

وهناك نساء كثيرات تتلمذ على أيديهن كبار رِجَالات التَّصَوُّف، فهذه فاطِمَة النيسابورية أستاذة ذي النون المصري، وأبي يزيد البسطامي يقول لشيخ الملامتية: تعلّم الفتوة من زوجتك.. فالْمَرْأَة هنا، بشهادة البسطامي وضعت قدمها في مقام يقصّر عنه أبطال الرِجَال لأن الفتوة اقتحام وقوة ونصرة.

وفي اعتقاد الشَّيْخ الأكبر محيي الدين ابن عربي أنه لا يعرف قيمة الْمَرْأَة إلا من عرف سبب وجود العالم، بل لقد ذهب الرجل مذهباً لم يقل به من قبل أيُّ صوفي أو فيلسوف وذلك حين قال في الفص السابع والعشرين من فصوص الحكم: إن في الْمَرْأَة يكتمل ظهور الحقيقة ففي خطاب الصُّوفِي الأندلسي الشَّيْخ الأكبر حب الْمَرْأَة محطة مهمة نحو الحب الإلهي ويلح ابن عربي على فكرة أن «الحب الإنساني»

29- عارف الدوش. في رحاب أهْل الله.. التَّصوُّف والموقف من الْمَرْأَة. lmth.4727elcitra/ten.sserp-nemey//:sptth

هو الخبرة الأولى التي لا بد أن يتأسس عليها «الحب الإلهي» وأن "حب النِّسَاء» يعد من صفات الكمال الإنساني مرتكزاً في ذلك على أحاديث نبوية منها قوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين:» حبِّب إلى من دنياكم ثلاث :الطيب والنِّسَاء وجُعلت قرة عيني في الصلاة». ويذهب الباحث هشام علوي في الاتجاه نفسه، معتبراً أن الْمَرْأَة عند الصُّوفِي معبر للتسامي والتواصل.

والنظرة الصُّوفِية لِلْمَرْأَة فريدة، كونها تعبر عن تجربة روحية عميقة توجه الصُّوفِي في مساره التعبدي فالْمَرْأَة هي النموذج الأعلى للجمال الأرضي وتأمل جمال الْمَرْأَة بل وتمثل الجمال الخالد لِلْمَرْأَة عبر الحب سبيل إلى معرفة الله.[30]

إن ضعف حضور النِّسَاء في المصنّفات المناقبية بحسب رحّال بوبريك، في كتابه «بركة النِّسَاء» ليست خاصية محصورة في العالم الإِسْلاَمي، فحتّى التقاليد المسيحية لم تعط الْمَرْأَة حقّها في حقل القداسة، فعدد النِّسَاء المعترف بهن من طرف الكنيسة الكاثوليكية بالقداسة ضئيلٌ جدّاً مقارنة بالرِجَال، فكتب المناقب المسيحية بدورها همّشت النِّسَاء، ومثل كلّ الديانات السماوية، جعلت من الرجل رمزاً للكمال الديني بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

إلى أيّ مدى يمكننا التسليم بضعف حضور النِّسَاء أو تهميشهن في المصنفات التراثية؟! فعودتنا إلى ابن الجوزي الحنبلي في كتابه «صفة الصفوة» توقفنا على ترجمته لـ240 امرأة صوفية، أي ما يصل إلى نحو ربع عدد المذكورين في كتابه الذي يبلغ أكثر من ألف صفحة! ثمّة دهشة تنتاب القارئ وهو يتابع حكايات النِّسَاء في هذا الكتاب، فلطالما قُدّم ابن الجوزي باعتباره معادياً للتصوف، اعتماداً على ما سجّله من انتقادات لطوائف عديدة من علماء الإِسْلاَم، ومنهم الصُّوفِية بصورة خاصة، في كتابه الشهير «تلبيس إبليس». إذ يظل هذا الكتاب حاضراً في الأدبيات المضادة للتصوف حتى يومنا هذا، إن قراءة ما سجّله ابن الجوزي من أخبار النِّسَاء وآثارهن تؤكّد خصوصية التجربة الصُّوفِية وثراءها من فرد لآخر، يستوي في ذلك السلّاك رِجَالاً ونساءً، إذ كل ما يصح أن يناله الرجل من المقامات والمراتب والصفات، يمكن أن يكون لمن شاء الله من النِّسَاء، كما كان لمن شاء الله من الرِجَال، كما يقول ابن

30- عارف الدوش. في رحاب أهْل الله.. التَّصوُّف والموقف من الْمَرْأَة. lmth.4727elcitra/ten.sserp-nemey://sptth

عربي، فلكلٍ وِجهةٌ هو مولّيها يبتعد فيها عن القديم، وإن ظنّ أنه مقترب وبالسلف الصالح مقتد، السَّيِّدات بالأمس، كرابعة وأخواتها، باكيات في صلاتهن بكاءً يفوق الحدّ، يُحْدث البكاء علامة في وجههن، متعبّدات طوال الليل وأطراف النهار، صوّامات لا يفطرن تقريباً، لا يطلبن المال مهما كانت الحياة قاسية! إلا أن حديثهن بمثابة ثورة على التقليد الإِسْلاَمي، فإحداهن تريد أن تطفئ النار! تحمل بعض الماء مسرعة فيسألها أحدهم إلى أين تذهبين؟ أريد أن أطفئ النار! فعلها يدلّ على شفقة ورحمة الأنثى بمساكين أهْل الدنيا، إحداهن تصرّح في حديثها مع ربّها: أما كان لك عذاب أقوى من النار؟! أما كان لك من سجن لمن عصاك سوى جهنم؟! إحداهن تبدّل وجهة ذي النون المصري وهو يسير في شوارع مصر، يقول لها: استري وجهك بخمار، فتجيبه الْمَرْأَة: وما يصنع الخمار بوجه قد علاه الاصفرار؟ قال: ومن أيّ شيء الاصفرار؟ قالت: من محبّته! ثم قالت: إليك عني يابطال، فإنّي شربتُ البارحة بكأس المحبة، فبت مسرورة، فأصبحت اليوم من حب مولاي مخمورة!

لم يكن المجتمع الإِسْلاَمي منغلقاً كما يصوّره أهْل التدين الظاهري اليوم وكما تفعل بعض البيوتات تبعاً للعادات (الإِسْلاَمية)، فقد كانت السَّيِّدة العابدة الذاكرة لله تستقبل الرِجَال: تسمعهم، تجادلهم، تؤدّبهم، تعلمهم، تبدّل وجهتهم لم يكن المجتمع الإِسْلاَمي منغلقاً كما يصوّره أهْل التدين الظاهري اليوم وكما تفعل بعض البيوتات تبعاً للعادات (الإِسْلاَمية)، فقد كانت السَّيِّدة العابدة الذاكرة لله تستقبل الرِجَال: تسمعهم، تجادلهم، تؤدّبهم، تعلمهم، تبدّل وجهتهم، حتى إذا سألها أحدهم: «كيف لك أن تخالطين الرِجَال» لسان قلبها ينطق: «كيف يُذْنِب المرء في عمل لله؟!». إحداهن كانت سبباً لأن يبتهل أحد المتَصَوْفة الكبار من النقشبندية إلى ربّه، ألا يفرّق بين رجل وامرأة اعتماداً على صورة الجسد وطينته «فنور الروح لا يؤنث ولا يُذكّر»، فعل هذا الصُّوفِي الجامي بعد أن قرأ حكاية امرأة صوفية من مصر، أوردها اليافعي في كتابه «روض الرياحين»، واستطاع الجامي فيما بعد، عند كتابته لديوانه الشِّعري «سلسلة الذهب» أن ينظم من هذه الحكاية عقداً لؤلؤياً جميلاً.

إن كثيراً من النسوة العابدات تمكن من «التحرر» أو «الاستقلالية» في ممارسة الأنشطة الصُّوفِية، كالسفر بحثاً عن مشايخ الطريق ولقاء إخوان الطرق ومذاكرة علوم

الأحوال معهم، متجاوزات للأحكام الشرعية المتعلقة بالخلوة بين الأجنبي والأجنبية، ففي العلاقة الروحية تغيب أحكام الجسد وفروق الجنس، كما رصدت ذلك عرين قدسي، في اختيارها لنموذج فاطِمَة النيسابورية وعلاقتها بأبي يزيد البسطامي.

الْمَرْأَة المُتَصَوْفة ودورها كأم وزوجة:

في المساحة التالية نتطرق إلى موضوع الْمَرْأَة المتَصَوْفة ودورها كأم وكذلك كزوجة. ولعل السؤال هو عن الحياة الاجْتمَاعيّة المسكوت عنها للمتصوّفات بشقيّها الخاص والعام، أي دورها كأم وزوجة، وتفاعلها مع المجتمع بأبعاده السياسية والاجْتمَاعيّة والاقتصادية. فمن ناحية كونها أماً وزوجة تبرز خصوصية التَّصَوُّف النسائي عن تصوف الرِجَال، فالتَّصَوُّف الذي يعني الخروج عن حدود الجسد وعالم المحسوس والتحليق في عالم الروح قد يتعارض مع تصور التفاصيل الحياتية العادية لِلْمَرْأَة، وتعكس بعض تراجم هؤلاء النسوة ما يمكن وصفه بالصراع بين رغبتها في التفرغ للعبادة والتبتّل وبين أعباء الزوجية والأمومة، فكان هناك تنازع بين وجوديها الاجْتمَاعيّ والروحاني تطلّب ألواناً إضافية من المجاهدة عانتها الْمَرْأَة لإدارة هذا الصراع وعقد مصالحة بين الجانبين، مما كان يستحق التسجيل. ومن ناحية أخرى، فرغم معاناة الْمَرْأَة تشتتاً بين واجباتها الدنيوية وتطلّعاتها الروحية، لم تتخلّ عن دورها كزوجة وأمّ، أي واجباتها ومسؤولياتها تجاه الزوج والأبناء، وذلك لحضور فكرة الاستخلاف والتكليف بالإعمار في ذهنها. كذلك، فإن استحضار صورة المتصوّفات كزوجات يعدذْن الطعام وينظفن المنازل وكأمهات يحملن أبناءهن ويرضعهن، وفي الوقت ذاته يعكفن على الصلاة والاستغفار والتسبيح يردّ مقولات الاستشراق المبنية على تشبيه التَّصَوُّف بالرهبنة، إذ الأخيرة تقوم على تجنّب الدنيا والانعزال عنها، ومن ثم كانت الراهبات في التَارِيخ المسيحي باستمرار قلة معزولة في الأديرة، بعكس المتصوّفات المسلمات المنخرطات في الحياة.[31]

الْمَرْأَة الْوَلْية:

ولما كان التنافس في سبيل التزكية والرجوع إلى الله مجال مفتوح بين الرِجَال والنِّسَاء

31-منى علي علام. النساء والتَّصَوُّف: خصوصيّة التجربة وإشكاليّات التَارِيخ. نشر في السفير العربي بتَارِيخ 41/مارس/8102م على الرابط D%68%9D%48%9D%7A%8D/%41/30/8102/84402/ra/moc.ibararifassa://sptth -1A%8D%7A%8D%3B%8

على حد سواء، وقد سجلت أدبيات المتَصَوْفة العديد من النماذج الحية لِلْمَرْأَة التى وصلت إلى مرتبة التحقق في المنهج الصُّوفِي عبر تَارِيخها الطويل. رغم قلة النِّسَاء الصَّالِحَات مقارنة مع الرِجَال الصالحين، فإن تيار التَّصَوُّف كان أكثر تقبّلاً لحضور الْمَرْأَة داخله، فتفوقت النِسَاء كمًّا وكيفا مقارنة بالوسط الفقهي، وكان هناك العديد من النِّسَاء البارزات في مجال الولاية والصلاح في المغرب، وأن الذاكرة الشعبية قد خلّدت أسماء لم تذكرها النصوص التَارِيخية، من هؤلاء ‘‘لالة ميمونة» التي يتناولها الباحث نموذجاً للصلاح النسوي باعتبارها رائدة التَّصَوُّف النسوي الشعبي في المغرب. وبوجه عام يخلص جدّي إلى أنه «على الرغم من أن الْمَرْأَة استطاعت بممارستها الدينية الصُّوفِية حيازة موقع لها في نسق الولاية والصلاح، وتمكنت من تجاوز الصورة السلبية التي علقت بها في الأدبيات الفقهية والأخلاقية، وضمنت لنفسها الحضور في المجال العام عن طريق الأدوار التي أدّتها داخل الحقل الصُّوفِي، وعلى المستوى المجالي من خلال الأضرحة التي شيدت لتخليد ذكراها المقدسة وإقامة مجموعة من الطقوس والممارسات للتبرّك والشفاعة بها، فإن الصلاح النسوي ظل متحَكّماً فيه من طرف الصلاح الرجولي الذي امتلك وحده مفاتيح الدخول لنسق الولاية والصلاح ومنح رخص الاعتراف والمشروعية». فلم يكن لِلْمَرْأَة الْوَلْية أن تحقق ولايتها سوى بالارتباط بوليّ ذكر، إما عن طريق خدمته أو الزواج منه. كذلك، فإن الاعتراف لِلْمَرْأَة بالولاية وإثبات صلاحها ظل مرهونا بأدائها لأدوارها الأسرية ومرتبطاً في المجمل بمقدار خدمتها وطاعتها للرجل، أباً أو زوجاً أو أخاً كان. كما تطرّق الباحث لإشكالية الجسد بالنسبة لِلْمَرْأَة المتَصَوْفة، فقد قُدّمت الْمَرْأَة الْوَلْية الصَّالِحَة في صورة عجوز «قد لصق جلدها بعظمها وعليها كساء خلق»، وهو ما يعني، وفق الباحث، أن الجسد مثّل عائقاً أمام التدرج في مراتب الصلاح، فكان لا بد لِلْمَرْأَة من التخلص من كل معالم الأنوثة حتى تستحق مقام الولاية والصلاح.[32]

سلّطت كثيراً من الضوء أنّا ماري شيمل، في كتابها «روحي أنثى» على نماذج عديدة من النِّسَاء العابدات، والتي أظهرت من خلالها مكانة الْمَرْأَة ودورها في

32- منى علي علام. النساء والتَّصَوُّف: خصوصيّة التجربة وإشكاليّات التَارِيخ. نشر في السفير العربي بتَارِيخ 41/مارس/8102م على الرابط http://:assafirarabi.com/ar/20448/2018/03/14/%D8%A7%D9%84%D9%86 (printed reversed: sptth//:assafirarabi.moc/ra/84402/8102/30/41/%D8%A7%D9%84%D9%86%86) -1A%8D%7A%8D%3B%8D

التَّصَوُّف الإِسْلاَمي، فكانت روح الأنثى حاضرة، أماً ومربّية ومرشدة وزوجة ومتفوقة على الرِجَال الكبار، فيظهر ذو النون المصري كطفل بين يدي امرأة حكيمة هي فاطِمَة النيسابورية، التي لفتت نظره إلى أنّ الصُّوفِي الحقّ لا ينظر إلى العلّة الثانوية، وإنّما يلاحظ العلة السرمدية ليبقى مع الأصل، والشَّيْخ الأكبر ابن عربي يصبح ياقوتة قلب أمّه فاطِمَة، وينفخ الملاك الغائب في قلب الرومي فينشد أنّ «الْمَرْأَة خلّاقة لا مخلوقة».

رغم ما حظيت به الْمَرْأَة من مكانة وتأثير في عالم التَّصَوُّف باعتراف كبار أعلامه، إلّا أننا لا ننتظر من الأدبيات الصُّوفِية في حديثها عن الْمَرْأَة أن تكون أكثر جمالاً وإنصافاً لها، فتلك الأدبيات ابنة عصرها، فأغلب من نقلوا لنا المرويات المعبّرة عن ثراء تجربة الْمَرْأَة الصُّوفِية ومشاركتها في إعادة بناء وتشكيل حيوات الكثيرين، نقلوا مرويات أخرى مضادة، لا تختلف عن مرويات المدونة الفقهية التي يندد بها بعض المنتسبين إلى الفضاء الصُّوفِي، ويكفي المرء أن يراجع الفصل الخاص بالتزويج وأحكام النِّسَاء في كتاب «قوت القلوب» لأبي طالب المكيّ، فالْمَرْأَة هي مثال النفس الأمّارة بالسوء واللوامة، وهي الحجاب الذي يقطع على المريد سيره إلى ربّه، والحديث عنها حديث عن مفعول لا فاعل! وقد ورث كثير من الصُّوفِية أفكار صاحب القوت ورسّخها في أذهان مريديه وقارئيه، وظلّ التدوين في شأنها مستمراً شعراً ونثراً[33].

ومن خلال إشارات لنساء متصوفات، أفراد في حقل التَّصَوُّف، نستشف نحن أهْلية الْمَرْأَة كجنس للعرفان والقرب الإلهي، وبالتالي مشروعية أخذ الرجل عنها، وتربيته في مجالسها، وتأدبه بنهجها وطريقها.

يقولون في ابن عربي ما يقولون، وتظل تربة ضمت رفاته في قاسيون وجهة اتقياء زائرين، وتستمر تجربته الروحيّة مداداً لكتابات عارفين عالمين، ومتطلعين متعلمين، وما بين عوام يعتقدون ولايته، ويتبركون بزيارته، وبين خواص أرباب تدوين وتسطير، يغمسون أقلامهم في تصورات فكره ولحظات تجربته، مسافةٌ لا يردمها إلا تفرّد شخصه، الذي استطاع وصل القمة بالقاعدة.. فارتقى عوالي مراتب الخصوصية،

//:sptth:Jcc6Tav9CTKK:ehcac=q?hcraes/moc.tnetnocresuelgoog.ehcacbew//:sptth-33 %8D52%AA52%8D52%-6852%9D52%5852%9D52%-6828701/elcitra/ten.22feesar -1852%9D52%8852%9D52%5B52

دون أن يفارق جموع عوام المسَلِّمين.لذا يكون الرجوع إلى نصه وإلى حياته – وخاصة في موضوع الْمَرْأَة – هو اطلاع على موقف عالم إسلامي كبير، اتحد فكره بوجوده، بحيث إننا كثيراً ما نكمل بحثنا لفكرة من أفكاره بالنظر في تفاصيل حياته. واقترح قراءةً لِلْمَرْأَة في نصوصه وحياته من منطلقين، وبموجبهما سوف أقسم بحثي:

- المنطلق الأول، ننظر إلى الْمَرْأَة الفرد، ونبحث مفاهيم ابن عربي وتجاربه بخصوصها، كذات وشخص له هوية وإمكانات، وله كمال يخصه في مقابل كمال الرجل.
- المنطلق الثاني: ننظر إلى الْمَرْأَة الآخر، ونقرأ نصوص ابن عربي وحياته حول الْمَرْأَة في علائقها، وفي وجودها كجزء له دور في شبكة علاقات تمتد رقائقها منها لتتصل بالوجود بأكمله.

واعتقد أن هاتين المقاربتين لِلْمَرْأَة، سوف تجعلان بحثنا ينفذ إلى القضايا الجوهرية الخاصة بالْمَرْأَة على امتداد التَارِيخ، وصولاً إلى يومنا الواقع على مشارف القرن الواحد والعشرين، ويفتح أيضاً آفاق قناعات جديدة علها تخدم أجيال مستقبلنا.

الْمَرْأَة الفرد:

يزدوج النص الصُّوفِي في نصين، عندما ينظر إلى كينونة الْمَرْأَة، وعندما يتعاطى مع إمكاناتها وأهْلياتها وحدود قدراتها :النص الأول: يبطن، وإن كان لا ينص صراحة، القول بقصور الْمَرْأَة، وعدم أهْليتها للتصدي للحياة العامة، لذا يحبسها في إطار الحياة الأسرية الخاصة.. والْمَرْأَة الكاملة في هذا النص هي الأم الحاضنة المربية، والزوجة الصَّالِحَة المدبرة، الودود الصبور الشكور، هي الأم والابنة والأخت والزوجة، لا كينونة ذاتية لها، بل كينونتها عين أدوارها وعلاقاتها الأسرية، والمسرب الوحيد من هذا السد الأسري يفتح على خارج الكون، ويظهر في علاقتها بخالقها ومعبودها. وهنا أيضاً الكثير من الضوابط والعديد من الاستحسانات، التي تحثّها على جعل علاقتها بالله علاقة ثنائية بعيداً عن الجمع والجماعات.

أما النص الثاني فهو أكثر التفاتاً لجهة كينونتها الذاتية، وأكثر إضاءة لأهْليتها الروحية، وقدراتها في مجال الرياضات والمجاهدات، وبالتالي يفسح لها مجالاً في مراتب الولاية الذكورية بالأصالة.

ومن خلال إشارات لنساء متصوفات، أفراد في حقل التَّصَوُّف، نستشف نحن أهْلية الْمَرْأَة كجنس للعرفان والقرب الإلهي، وبالتالي مشروعية أخذ الرجل عنها، وتربيته في مجالسها، وتأدبه بنهجها وطريقها. ها هو الحسن البصري يقول لصحبه مدللاً على شخص السَّيِّدة رابعة: هيّا بنا إلى المؤدبة.. وفي مجلسها تتداول مع أهْل النخبة من الحضور، فنرى من طرحهم جميعاً لمفاهيمهم الصُّوفِية علو تجربتها على تجربتهم، وبالتالي يصبح نصها هدفاً لمجاهدة رجل وتحققه من أمثال الحسن البصري ومالك بن دينار.. ويقول عنها محيي الدين بن عربي: رابعة العدوية المشهورة التي أربت على الرِجَال حالاً ومقاماً.

وهذه أيضاً فاطِمَة النيسابورية أستاذة ذي النون المصري؛ وهذا أبو يزيد البسطامي يقول لشيخ الملامتية: تعلّم الفتوة من زوجتك. فالْمَرْأَة هنا، بشهادة البسطامي، وضعت قدمها في مقام يقصّر عنه أبطال الرِجَال، لأن الفتوة اقتحام وقوة ونصرة.

وبطل شيخ الصُّوفِية الأكبر ابن عربي ليذهب في الموقف الثاني إلى نهاياته الأخيرة. أما نقطة البداية فكانت في رأينا تجربته السلوكية التي أفسحت المجال أمام قناعاته الفكرية بالأهْلية الروحية لِلْمَرْأَة، لذا ننطلق من هذه الأهْليّة الروحيّة لننظر في أهْليّة الْمَرْأَة العِلْمية وأهْليتها السياسية.

الأهْلية الروحية:

ولاية الْمَرْأَة:

يافعاً خدم ابن عربي بنفسه سنين، امرأة من العارفات بإشبيلية.. لها حال مع الله، هي فاطِمَة بنت ابن المثنى القرطبي، والتي تقول عن نفسها-، إنَّ الله اعتنى بها، وجعلها من أوليائه واصطنعها لنفسه. ومما يلفت النظر قول ابن عربي أنه خدمها سنين، فهو بحسب معرفتنا بمسار حياته الصُّوفِية لم يخدم رجلاً من العارفين سنين. كما أنه لم يعترف لرجل من العارفين بالولادة عليه، ولادة روحية معنوية، هي وحدها ناداها بقوله: يا أمي. وإذا توقفنا عند تَعْلِيمها له نرى بدايات وحدته الوجودية، تقول لابن عربي:»عجبت لمن يقول إنه يحب الله ولا يفرح به وهو مشهوده، عينه إليه ناظرة في كل عين، لا يغيب عنه طرفة عين»، وعندما تسأله:»يا ولدي ما تقول فيما أقول؟ يجيبها: يا أمي القول قولك»[34].

34- المصدر نفسه.

حيثما أتى ذكر المتصوّفات في الإِسْلاَم يبرز اسم المتَصَوْفة الشهيرة «رابعة العدوية». وبغض النظر عن الاختلاف القائم حول بعض تفاصيل في سيرتها وبعض ما هو منسوب إليها من أقوال أو أشْعار، ورغم ما تمثله من مكانة عظيمة في تَارِيخ التَّصَوُّف الإِسْلاَمي نالتها بما أحدثت من نقلة للتصوف من الزهد إلى العشق الإلهي، فإن رابعة لم تكن استثناء نسائيّاً في ميدان انفرد به الرِجَال. إذ تمدّنا كتب التراث وعلى رأسها كتب الطبقات والتراجم بأسماء عدد كبير من النِّسَاء المتصوفات على مدار التَارِيخ الإِسْلاَمي الممتدّ زمانيّاً ومكانيّاً، بما يعني حضوراً فاعلاً لِلْمَرْأَة في هذا الميدان، اهتم الباحثون بدراسته ولا يزالون، سواء في العالم العربي والإِسْلاَمي أو في الغرب[35].

رابعة العدوية:

في هذا الجزء من الكتاب نورد طرفاً من حياة واحدة من أشْهَر المتصوفات عبر تَارِيخ التَّصَوُّف الإِسْلاَمي، السَّيّدة رابعة العدوية، حياتها، وطرفاً من أقوالها في العشق الإلهي. والسَّيّدة العدوية هي محطة يقف عندها كل من يلجأ إلى الحديث عن تَارِيخ التَّصَوُّف، فهي تستوقفه بحكم أنها صوفية مميزة يرجع لها الفضل في إشاعة لفظ الحب عند من جاء بعدها من الصُّوفِية حين لم يكن الكلام في الحب ممهداً، تلك هي(رابعة العدوية) وهي خير مثال على حرية الْمَرْأَة ودورها وتأثيرها في المجتمع حيث تعتبر رابعة العدوية نقطة تحول في الزهد الإِسْلاَمي الممهد لظهور الصُّوفِية والتَّصَوُّف، ومن هنا جاءت شهرتها حيث وصفها ابن خلكان قائلا: (كانت رابعة العدوية من أعيان عصرها، وأخبارها في الصلاح والعبادة والعِلْم)[36].

وهي أنها أول من أرست قواعد الحب والحزن في «التَّصَوُّف الإِسْلاَمي»، وقد عرفت بـ«شهيدة العشق الإلهي»، فقد ذكرها الجاحظ في كتابيه ضمن الزهاد والنساك من أهْل البيان، ويرجح أنها ولدت سنة 105هـ وتوفيت عام 185هـ وهي تواريخ غير دقيقة نظرًا لوجود بعض المصادر التي تشير إلى وفاتها عام 135هـ، وأنها عمرت 80 عامًا؛ وهي بحسب شيمل من أوائل المتَصَوْفة الذين تحولوا بالتَّصَوُّف من الزهد القاتم إلى العشق الإلهي ومناجاة المحبوب الأعلى، وقد لقبت برابعة البصرة، إذ كانت

-35

-36 علي كاني. الْمَرْأَة في ميزان الصُوفيَّة. على الرابط sptth://kasnazan.com/1926/

مدينة البصرة هي مسقط رأسها[37]. كانت ترى في العبادة التي مبناها ''الخوف'' من العقاب و''الطمع'' في الثواب سلوكاً يماثل سلوك عبد السوء الذي إذا خاف أطاع وإذا أمن الثواب عصى. أما عبادتها هي فمبناها على «الحب» الذي غايته الوصول إلى رضا المحبوب حتى يكشف للمحب الحجب التي تحول دونه ودون رؤية وجه المحبوب، فإذا انكشفت الحجب تحققت الرؤية:

أحبّك حبيّن حُبَّ الهوى   وحُبّــاً لأنَّـك أهْـلٌ لـذاك

فأما الذي هو حُبُّ الهوى   فشغلي بذكـرك عمّن سواك

وأما الذي أنت أهْلٌ له   فكشفُكَ للحُجْبِ حتى أراك[38]

وقد حظيت رابعة باحترام كبير بين المفكرين والعلماء المسلمين، ولم تكن مجرد تابعة لشيخ أو عالم، بل كانت ملهمة لغيرها، تقف رأساً برأس مع أعلام التَّصَوُّف كالحسن البصري وإبراهيم بن أدهم والجنيد البغدادي، وغيرهم من الرجال المتصوفين.[39]

وعن رابعة تشير الباحثة عزة جلال في دراستها «سيرة المتصوفات في التَارِيخ الإِسْلاَمي» إلى أن دور رابعة العدوية قد أضاف إلى مفهوم التَّصَوُّف جانباً جديداً وهو «العشق الإلهي»؛ إذ تعاملت – بحسب الباحثة– مع الذات القدسية بوصفها معشوقًا، وهو ما توارثه من بعدها المتصوفون؛ إذ كان بمثابة طفرة فلسفية روحية في التَّصَوُّف بحسب عزة جلال. ومن أقوال السَّيِّدة رابعة نقتبس التالي من حكم:

إلهي أنارت النجوم، ونامت العيون، وغلّقت الملوك أبوابها

وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك

إلهي هذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر

فليت شعري أقبلت مني ليلتي فأهنأ؟

أم رددتها علي فأعزى؟

37- رابعة العدوية ليست الوحيدة.. دور النساء المنسي في تَارِيخ التَّصَوُّف الإسلامي. ehcacbew//:sptth. aes/moc.tnetnocresuelgoog

38- أرزازي محَمْد. صورة الْمَرْأَة في الخطاب الصوفي – ابن عربي نموذجاً–. ورقة منشورة على الرابطtsirec.pjsa.www//:sptth. 600001/2/5/602/elcitrAnwod/ne/zd

39- محمد حسين الشيخ. كيف كسرت النساء احتكار الرجال للصوفية؟. منشور على الرابط

-18%9D%A8%9D%38%9D%/golb/ra/moc.tayrfah//:sptth %8D%3B%8D%68%9D%48%9D%7A%8D%-AA%8D%1B%8D%3B%8D%38%9D% %8D%7A

فوعزتك هذا دأبي ما أحييتني وأعنتني

وعزتك لو طردتني عن بابك ما برحت عنه

لما وقع في قلبي من محبتك.[40]

* * *

يا رب أتحرق بالنار قلبًا يحبك

ولسانًا يذكرك

وعبدًا يخشاك؟!

* * *

سوف أتحمل كل ألم، وأصبر عليه

ولكن عذابًا أشد من هذا العذاب يؤلم روحي

ويفكك أوصال الصبر في نفسي

منشؤه ريب يدور في خلدي:

هل أنت راضٍ عنى؟ تلك غايتي.

* * *

سيدي بك تقرب المتقربون في الخلوات

ولعظمتك سبح الحيتان في البحار الزاخرات

ولجلال قدسك تصافقت الأمواج المتلاطمات

أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار

والفلك الدوار، والبحر الزخار، و القمر النوار

والنجم الزهار، وكل شيء عندك بمقدار

لأنك الله تعالى العلي القهار.

قال سفيان الثوري لرابعة: ما حقيقة إيمانك؟ فقالت له: ما عبدته خوفًا من ناره، ولا حبًا لجنته، فأكون كالأجير السوء، بل عبدته حبًا وشوقًا إليه.

ومن شعرها:

وزادي قليلٌ ما أراهُ مُبَلّغِيْ– أَللزَّادِ أبكِي أمْ لِطُولِ مسـافتي

40- _mtu&moc.elgoog=ecruos_mtu?061906/tsop/moc.lasrmla.www//:sptth moc.elgoog=rerrefer_mtu&moc.elgoog=ngiapmac_mtu&cinagro=muidem

تُحرِّقُني بالنار يا غايةَ المنَى–فأين رجائي فيك؟ أين مخافتي؟[41]

موضوع الْمَرْأَة والتَّصَوُّف في رأي ابن عربي:

إن موضوع الْمَرْأَة والتَّصَوُّف في رأي ابن عربي يمكن التطرق إليه من جانبين: جانب نظري وجانب تطبيقي. فالجانب النظري يتمثل في منزلة الْمَرْأَة الصوفية وإمكانية بلوغها درجة الإنسان الكامل مثلها ومثل الرجل. والجانب التطبيقي يتمثل في النماذج الحية للنساء الصوفيات اللائي ومنهن من تتلمذ عليهن ابن عربي نفسه، ومنهن من تتلمذن على يديه[42].

يستمد ابن عربي كعادته القاعدة الأساسية لآرائه من النصوص القرآنية والسنية. ويذهب به البعد الفلسفي الصوفي إلى الاعتقاد بأن اللإنسان هو عبارة عن تركيب بين الأنوثة والذكورة لأنه بذلك يبلغ الكمال ويستحق منزلة الخلافة التي لم تقتصر على الذكورة ولا على الأنوثة، بل تجمع كائناً واحداً اسمه الإنسان، الجزء المذكر فيه خلقه الله بيديه، والجزء المؤنث فيه بعثه الله كاملاً من الجسم المذكر[43]. وقد أكد ابن عربي علاقة الأمومة التي تربطه بهذه العجوز التي كانت إذا زارتها أمه الحقيقية «نور» تقول لها: «يانور» هذا ولدي وهو أبوك، فبريه ولا تعقية» فالعجوز هذه جردت والدته من أمومتها له، بل حولتها إلى بنت له وهو أبوها[44]. أما النساء اللائي تتلمذن على يد ابن عربي وألبسهن ما يسميه الصوفية بالخرقة (كسوة الشرف الصوفي) بلغ عددهن خمس عشرة امرأة من الميريدات، ولم يُلبس ابن عربي هذه الخرقة إلا لاثنين من الرجال المريدين فقط.[45]

شيخة ابن عربي:

رغم تلقي ابن عربي تعاليم دينه على أيدي العديد من العِلْماء وأقطاب الصُّوفِية، فإن بنت المثنى كان لها التأثير الأعمق في نفسه رغم قصر الفترة التي تلقى فيها العِلْم على يديها والتي لم تتعد العامين، إلا أنهما أثرا فيه بصورة جعلته يفرد لها المساحات الكبيرة في مؤلفاته وكتبه. يذكر العالم الصُّوفِي في مؤلفه أن خدمته للقرطبية وانتفاعه بما

41- المصدر نفسه.

42- الصادق عوض بشير. سر قوة الْمَرْأَة عند ابن عربي. الدار العربية للعلوم والنشر. بيروت، 4102م، ص22.

43- المصدر نفسه.

44- المصدر نفسه ص 711.

45- المصدر نفسه، ص 811.

أفاض الله عليها من علمه كان أحد أسباب تكلمه بعلم الحروف «علم الأولياء» مقراً بولادته المعنوية منها دون سواها، وفي هذا يقول: «تصبح الْمَرْأَة . فيما لو أصبحت قطباً خليفة . هي صاحبة الوقت وسيدة الزمان، خليفة الله في أرضه، ونائبة سيد المرسلين في أمته، وارثة للاصطفاء والاجتباء والخصوصية الآدمية».

ويقر محيي الدين وطلابه الذين خلفوه من بعده، أن فاطِمَة المثنى كان لها الدور الأكبر في تغيير نظرة مولانا لِلْمَرْأَة، وهي القناعة التي عبر عنها بقوله إنه لا مانع تكوينياً أو كونياً من وصول الْمَرْأَة إلى أعلى مراتب الولاية.. وإن كان قد قال أنه لم يقع ضمن خبرته لقاء امرأة في موقع القطب، صاحبة الزمان، الغوث الخليفة. لكنه يرى أن النِّسَاء والرِجَال، يشتركون في جميع مراتب الولاية حتّى في القطبية؛ فكل ما يصح أن ينال الرجل من المقامات والمراتب والصفات يمكن أن يكون لمن شاءَ الله لها من النِّسَاء؛ لذلك فطريق الولاية أمام الْمَرْأَة مفتوح، لا سقف يحدّها إلا مرتبة النبوة وشخص النبي (صلى الله عليه وسلم)، فالْمَرْأَة وإن لم تظهر بالفعل في دنيا الناس في موقع القطبية إلا أنّه في قدرتها ذلك، وبالتالي في عالم الروح تتساوى الحظوظ بين الْمَرْأَة والرجل، وينعكس هذا التساوي في نظرة أعلام الصُّوفِية لها[46].

يقول ابن عربي: «خدمت أنا بنفسي امرأة من المحبات العارفات بإشبيلية يقال لها فاطِمَة بنت ابن المثنى القرطبي خدمتها سنين وهي تزيد في وقت خدمتي إياها على خمس وتسعين سنة وكنت أستحي أن أنظر إلى وجهها وهي في هذا السن من حمرة خديها وحسن نعمتها وجمالها، تحسبها بنت أربع عشرة سنة من نعمتها ولطافتها، وكان لها حال مع الله وكانت تؤثرني على كل من يخدمها من أمثالي وتقول:(ما رأيت مثل فلان، إذا دخل عليَّ دخل بكلِّه لا يترك منه خارجاً عني شيئاً. وإذا خرج من عندي خرج بكلِّه لا يترك عندي منه شيئاً). وسمعتها تقول:(عجبت لمن يقول إنه يحب الله ولا يفرح به وهو مشهوده، عينه إليه ناظرة في كل عين لا يغيب عنه طرفة عين، فهؤلاء البكاءون كيف يدعون محبته ويبكون؟! أما يستحيون إذا كان قربه مضاعفاً من قرب المتقربين إليه؟! والمحب أعظم الناس قُربةً إليه فهو مشهوده، فعلى

46-رنده عطية. فاطِمَة القرطبية.. الزاهدة التي زرعت حب الْمَرْأَة في صدر ابن عربي. على الرابط ehcacbew//:sptth. /moc.tsopnoon.www//:sptth:J4WYO1e2lHjt:ehcac=q?hcraes/moc.tnetnocresuelgoog d-b-xoferif=tneilc&as=lg&knlc=tc&ra=lh&5=dc&+27273/tnetnoc

من يبكي؟! إن هذه لأعجوبة). ثم تقول لي:(يا ولدي، ما تقول فيما أقول؟ فأقول لها: يا أمي القول قولك. قالت:(إني والله متعجبة، لقد أعطاني حبيبي فاتحة الكتاب تخدمني فوالله ما شغلتني عنه). فذلك اليوم عرفت مقام هذه الْمَرْأَة لما قالت إن فاتحة الكتاب تخدمها، فبينما نحن قعود إذ دخلت امرأة فقالت لي: يا أخي إن زوجي في شريش شذونة أُخبِرت أنه يتزوج بها فماذا ترى؟ قلت لها: وتريدين أن يصل؟ قالت: نعم»[47]

ولدت فاطِمَة في قرطبة و بدأت رحلتها الروحانية في صغرها و كانت تجلب رزقها من الخياطة حتى أُصيبت في يدها ففقدت مصدر عيشها واضطرت أن تعيش بقية عمرها في ظروف صعبة جداً، حتى إنّ أكلها كان مما كان يلقيه الأغنياء في حاوية القمامة، غير أنها كانت تحَمْد ربها وترى هذه المحنة نعمة، وقد تابعت رحلتها الإيمانية حتى وصلت إلى درجة عالية من التقى والورع والعِلْم بالدين، فكان يقصدها الكبار والصغار والرِجَال والنِّسَاءِ للتزود من علمها ومن حبها الإلهي. وقد تتلمذ ابن عربي عندها في بداية شبابه وكانت هي شيخة في التسعين وخدمها عدة سنين وقام هو واثنان آخران ممن تتلمذوا على يديها ببناء بيت صغير من قصب لها لتستطيع أن تعيش فيه، وقد سكنت فيه حتى مماتها. وقد تعلم منها ابن عربي كثيراً حتى قال عنها:»كانت رحمة لهذا العالم". وقال عنها أيضاً: عذراء، هيفاء، تقيد النظر من العابدات السائحات الزاهدات...إن أسهبت أتعبت وإن أوجزت أعجزت وإن أفصحت أوضحت. شمس بين العُلماء، بستان بين الأدباء. علمها عملها. عليها مسحة مَلَكٍ وهمة مَلِكٍ. وكانت تقول: «أعطاني حبيبي فاتحة الكتاب»، فكانت تقرأ الفاتحة بنية شيئ فيكون. وافتها المنية دون أن تترك لنا كتاباً ولم تبنِ قصوراً، ولكن إرثها يكمن في شخص الشَّيْخ ابن عربي الذي دوَّن حياتها في كتبه والتي استطاعت أن تزرع في قلبه أهمية الْمَرْأَة.[48]

47- ابن عربي. الفتوحات المكية. ص- 743.

48- رحلة مع حمزة يوسف على الرابط /548992853828052/moc.koobecaf.ra-ra//:sptth /257690375291637/stsop

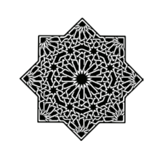
«رِجَال الله»..

في ذكر النِّسَاء التقيات تشير آنا ماري شيمل إلى أن ما وصل إلينا من سير النِّسَاء العابدات، كان يشير إلى وجود نشاط صوفي نسائي مكثف امتد من العصور الإِسْلاَمية الأولى وحتى العصور الوسطى، وقد كان يطلق عليهن: «رِجَال الله» في إشارة إلى أن الْمَرْأَة إن توجهت إلى طريق الله، ليست بأنثى وإنما بالأحرى رجل. وقد فسر محيي الدين بن عربي ذلك بمعنى «الرجولة الحقيقة» التي تكتمل بتطهر الإنسان بنور العقل وتركه ظلام الشهوات وملذات الدنيا، فليست كل امرأة امرأة، وليس كل رجل رجلًا، كما ورد في الشِّعر الفارسي[49].

وفي خاتمة هذا الباب تكتب الباحثة في مجال التَّصَوُّف منى يسرى نقلاً عن كتاب «بركة النساء» للكاتب وأستاذ الأنثربولوجيا بجامعة ابن طفيل في القنيطرة بالمغرب رحال بوبريك ما يلي: « في التَّصَوُّف الإِسْلاَمي إنّ الفروق بين الرجال والنساء، تكاد تنمحي في الطريق إلى الله تعالى، بالنظر إلى ما كُتب في سير الأولين، كما أورد كتاب فريد الدين العطار «سير الأولياء»، متحدثاً عن رابعة العدوية، كإحدى أعلام الولاية النسائية في التَارِيخ الديني، استخدم العطار النصّ الديني في الحديث النبوي: «إنّ الله لا ينظر إلى صوركم»، تعليلاً على تلاشي الذكورة والأنوثة في طريق الحبّ الإلهي.[50]

49- رابعة العدوية ليست الوحيدة.. دور النساء المنسي في تَارِيخ التَّصَوُّف الإسلامي.
aes/moc.tnetnocresuelgoog.ehcacbew//:sptth

50- منى يسري. بركة النساء: من طرد المرأة من محراب القداسة؟ على الرابط /ra/moc.tayrfah//:sptth
%3B%8D%68%9D%48%9D%7A%8D%-9A%8D%38%9D%1B%8D%8A%8D%/golb
-1A%8D%7A%8D



الباب الثالث

قبس من تَارِيخ الْمَرْأَة المتَصَوْفة في السُودَان

بدايات تَعْلِيم الْمَرْأَة الدور الصُّوفي:

بدأ التَعْلِيم في السُودَان على يد خلاوي تحفيظ القُرْآن الكريم، وذلك منذ القرن السادس عشر وحتى القرن التاسع عشر. ونعني بذلك أن هذه المدة قد تميزت بوجود الخلوة منفردة، فلم يكن ثمة مؤسسة تَعْلِيمية أخرى سوى الخلوة التي كانت تقوم بتدريس القرءان الكريم وعلومه.[51]

في عصر الفونج بدأية تأسيس الدولة السُودَانية الحديثة نبغ عدد من نساء السلطنة في العِلْم وكن يدرن الخلاوي، وكان النِسَاء يقمن برعاية الحيران والطلاب والاهتمام بطعامهم ولبسهم وتَعْلِيمهم مما يدل على اسهام الْمَرْأَة في التَعْلِيم». شاركت الْمَرْأَة في مجلس العِلْم، حتى وصل بعض النسوة إلى تَعْلِيم غيرهن وكان منهن المتصوفات اللائي سعين للتَعْلِيم»[52].

يقول الشيخ بابكر بدري:» التَعْلِيم الديني لِلْمَرْأَة السُودَانية يرجع التَارِيخ المعروف منه إلى ثلاثمائة وعشرين سنة إذ الذين علمتهم وجعلت أدفع معارضي بالاقتداء

51-عبد الرحمن ود الكبيدة. التربية والتَعْلِيم بين الماضي والحاضر.وانظر كذلك: نظرات في التَعْلِيم الديني في السُودَان.
.www:JcVsHDqYr5Wf:ehcac=q?hcraes/moc.tnetnocresuelgoog.ehcacbew//:ptth
lg&knlc=tc&ra=lh&48=dc&2meelatwaebrat-932/afagas/ra/php.xedni/ten.adiebekledaw
d-b-xoferif=tneilc&as=

52-سوزان النور الجيلي. النشاط الديني والاقتصادي والاجْتمَاعيّ والثقافي في السلطنة الزرقاء 5051-1281م. رسالة ماجستير قدمت لكلية الآداب –جامعة النيلين- قسم التَارِيخ- 8102م، ص 131.

بهم، أولهم والد أولاد جَابِر الأربعة ثم الشَّيْخ ولد أبي صفية، والشَّيْخ الجعيل الْوَلِي، والقاضي عربي بكردفان، والسَّيِّد محمد عُثْمَان الميرغني، والحاجّ عطوة، والفقيه محمد المبارك جد الشَّيْخ أبو القاسم هاشم لوالدته، والفقيه الأَمِين الضرير، والمهدي عليه السلام، كلهم علموا بناتهم، أو امروا بتَعْلِيم بنات غيرهم. واخصهم بذلك السَّيِّد محمد عُثْمَان الأكبر الذي أمر بفتح الكتاتيب ليعلم البنات القُرْآن بسواكن». إضافة لما قاله الشَّيْخ بابكر بدري من أمر تَعْلِيم البنات فقد كانت هنالك مساهمات اخرى في مجال التَعْلِيم الديني لِلْمَرْأَة في فترتي التركية والمهدية. فقد قامت السَّيِّدة أمونة بنت عبود بتأسيس مكتبين لتَعْلِيم البنين والبنات كما اهتمت الإدارة التركية بتَعْلِيم الْمَرْأَة خاصة في مجال الطبخ والتدبير المنزلي. ومن النِّسَاء اللائي اهتممن بالتَعْلِيم الديني في فترة المهدية أم كلثوم بنت الشَّيْخ القرشي، وكانت تدرس البنات والبنين. والشَّيْخة مَرْيَم بنت حاج عطوة، في الدامر. والشَّيْخة خديجة بنت الفكي علي وأمها فاطِمَة أم النصر أبو رحالة، في أم درمان.إضافة إلى إسهام الشَّيْخة بنت عطا والشَّيْخة خديجة الأزهري والشَّيْخة خديجة عبد الرحيم في التَعْلِيم الديني. هذا هو حال تَعْلِيم البنات في الفترة من حوالي 1680م إلى 1900م[53].

حفلت كتب وفيات الأعيان بتراجم أعلام الرِجَال، وتبنى النهج نفسه الشَّيْخ محمد نور بن ضيف الله في كتاب «الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والشِّعراء في السُودَان»، ولم يفْرِد لأعلام النِّسَاء حيزاً في طبقاته، بل ذكر ثلة منهن في سياق حديثه عن تراجم بعض أعلام الرِجَال. فالفقيهة العالمة فاطِمَة بنت جَابِر، التي وصفها وَدْ ضيف الله بأنها كانت نظيرة إخوانها في العِلْم والدين، أشار إليها عرضاً ضمن تراجم أولاد جَابِر الأربعة، وكذلك في ترجمة ابنها الشَّيْخ محمد بن سرحان العودي، الذي أصَّل لكسبه المعرفي من جهة أمه، قائلاً: «فما طابت تلك الثمرة إلا من تلك الشجرة»، إلا أنه لم يأت بفذلكة وافية عن الشَّيْخة الشجرة فاطِمَة بنت جَابِر. ولذلك عزا بعض النقَّاد ضعف التوثيق لتراجم أعلام النِّسَاء في كتب الطبقات إلى ثقافات المجتمعات الذكورية، وأحياناً إلى قلة ارتباط الْمَرْأَة بالشأن العام.[54]

53-سمير مُحَمْد علي حُمد. أماني ريناس.. أما آن لها أن تعود إلى قمة الهرم.http://www.sudanese.com/sudanile/230311

54- أحْمد أبو شوك. الأُسْتَاذْة إنعام عبد الرحمن المهدي (ت. 10 يوليو 2020): كانت كالغيث أينما هطل نفع https://sudanile.com/%D8%A7%D9 84%D8%A3%D8%B3%D8%AA%D8%A7%

إنه التسامح. وتجد السَّيِّدات لهن خلاويهن ومسايدهن وينفقن عليها من حر مالهن، وهناك شيخات يُسلِكن الناس الطريق، ويسيرن بهم في طريق (القوم). يذكر الطيب منهن فاطِمَة بنت جَابِر بن عون من نسل غلام الله بن عايد من جزيرة (ترنج)، ويذكر عائِشة بنت القدال، وبتول الغبشة وهي والدة الشَّيْخ هَجُوْ، وأنه زار مكانها ب»الحاجّ عبد الله»، ويروي الطيب شيئاً عن أمونة بنت عبود وكيف تعرف على اسمها من كتاب (نزهة الألباب) الذي ورد في كتاب (الثقافة العربية في السُودَان)، وكتاب رفاعة رافع الطهطاوي في السُودَان، وأنها شقيقة مهيرة بنت عبود، ولا ينسى مَرْيَم بنت حاج عطوة وفاطِمَة بنت أسد وأم كلثوم بنت القرشي والشَّيْخة أم كلثوم، ويمضي الطيب للحديث عن الشَّيْخة عائِشة الشَّيْخ أبو دليق وعن الشَّيْخة خديجة يحدثنا عن إكرامها الإمام عبد الرحمن المهدي، وكيف أن الإمام طيب الله ثراه جعل بناته تلميذات في خلوتها رغم كثرة خلاويه. ويمضي الطيب ويورد الشَّيْخة فرح بنت بيتاي والشَرِيفة مَرْيَم الميرغنية وكانه يقول: إذا كانت مصر (مؤمنة بأهْل الله) كما يقول برعي السُودَان فإن السُودَان مؤمن بدور مسايد هؤلاء (الشَّيْخات).

ما الدلالة في إيراد هذه الأسماء من السَّيِّدات الفضليات؟ إنه الرد على الأدعياء بأن السُودَان القديم لم يمنح الْمَرْأَة حقاً، وأن الرجعية مارست عليها إقصاءً، بينما الرِجَال العظماء في سوداننا سموا بأسماء أمهاتهم؛ مِن «وَدْ أُمْ مَرْيُوْمْ» إلى «هَجُوْ». وفي المِسِيد يقوم الطيب بتوثيق (الثورة الثقافية) التي قام بها الخليفة عبد الله خليفة المهدي، فلم يلق القول على عواهنه – وهو الأنصاري – ولكنه ينشر وثيقة كتبت بخط المادح أَحْمَد وَدْ سعد (كمنشور مشهود) وأودع في مكتبة الشَّيْخ أَحْمَد العجب، وتقول الوثيقة: إن مسجد الخليفة فيه خمسمائة حلقة للقرآن، وإن على كل من يعرف القُرْآن أن يعلِّم غيره. وأن هذه سياسة أدت إلى انتشار الخلاوي و»التَّكَايَا» في أنحاء مدينة أم درمان وخاصة بين «الزرايب»، وهي كلمة تعني أحياء القبائل القادمة للعاصمة الوطنية. ويقتفي الطيب أثر ما تبقى من خلاوي الزرايب ويعثر على خمسين منها ويذكرها بالاسم ويقول لنا: إن من فوائد سياسة خليفة المهدي أن الخلوة كانت جزءاً من مكملات الشخصية الاجْتمَاعيّة، ولهذا يبرر الطيب لماذا أنشأ رجل مسيحي مثل بولس خلوة للقرآن؟ يعني أن أمثال بولس كانوا يهتمون بما نسميه اليوم الدور الاجْتمَاعيّ للمؤسسات المالية، بمعنى أنه إذا لديك

شركة لابد لها أن تسهم في التنمية الاجْتمَاعيّة، أي أن تخصص جزءاً من الأرباح للتنمية الاجْتمَاعيّة[55].

وقال وَدْ ضيف الله: إن سبب صلاح أولاد جَابِر دعوةٌ صالحة من أمهم صافية قالت فيها: «الله يجعلكم يا وِلِيْدَاْتِي أوتاداً في الأرض»، فسمعت قائلاً يقول في الهواء: «آمين[56].».

وفي سيرة خوجلي بن عبد الرحمن قال وَدْ ضيف الله: وأمه اسمها ضوة بِتْ خوجلي. وبدأ الكتاب عند عائِشة الفقيرة بنت وَدْ قدال.

وفي احتفال اليوبيل الفضي لكلية المعلمات بأم درمان عام 1947م جاء في خطاب الشَّيْخ بابكر بدري أمام الحفل الآتي : «سمعت بعض الناس يعتقدون أني أول من نظر في تَعْلِيم البنت السُودَانية، مما دعاني للبحث الدقيق عن هذه الحقيقة الغامضة، فهاكم ما حصلته من بحثي في الكتب التَارِيخية القليلة وما عرفته بسؤالي مَن كان لهم معلومات بهذا الشأن:

أولاً: تَعْلِيم البنات كان قاصراً على حفظ القُرْآن الكريم وكتب الدين.

ثانياً: إن أول بنت تعلمت هي فاطِمَة بنت جَابِر بن بلال التي حفظت القُرْآن على والدها، وقرأت العلوم الدينية على أخوانها الأربعة الذين هم أول من نقل مختصر خليل للسودان، وذلك قبل ثلاثمائة وأربعين سنة، وفاطِمَة هذه هي والدة الشَّيْخ صغيرون الذي ختم المختصر خمسين مرة في خمسين سنة. وبواسطة تلاميذه الذين منهم الشَّيْخ خوجلي انتشر مختصر خليل في جزيرة سينا.

ثالثاً :حصلت فترة طويلة لم أقف فيها على خبر لتَعْلِيم البنت حتى أوائل القرن الثالث عشر الهجري حيث بدأه القاضي عربي المتوفى سنة 0621هـ بواسطة زوجته الفقيرة آمِنة الهوارية، فعلمت بناته منها ومن غيرها، وبعض بنات الحي القريب، وكان مجموع ما تعلمن عندها ممن حفظن القُرْآن إحدى عشرة بنتاً، واستمر التَعْلِيم من حفيداته اللائي يبلغن تسعاً، منهن الفقيرة ميمونة بنت عبد القادر التي علمت بنات المهدي « جزء عم»،

55- الطيب محَمْد الطيب....أو السُودَان المتجول... فقيدنا الكبير %9D%=q?hcraes/moc.elgoog.www//:sptth %7B%8D%9B%8D%+CA%8D%7A%8D%DA%8D%+58%9D%A8%9D%1B%8D%58 %9D%48%9D%7A%8D%+9A%8D%EA%8D%A8%9D%4B%8D%+9A%8D%88%9D %7A%8D%1B%8D%28

56- المصدر نفسه.

وأختها رقية. واقتدى بالقاضي عربي الشَّيْخ البَدْوِيّ أبو صفية، وكلاهما بكردفان بالقرب من مدينة الأبيض. وممن حفظن القُرْآن وقرأن الكتب الدينية آمِنة بنت وهب، والدة الشَّيْخ أبو القاسم هاشم، تعلمت على والدها الفقيه محمد ولد مبارك بقرية بري المحس[57].

وأيضاً «بتول الغَبْشَةْ» والدة الشَّيْخ هَجُوْ وأخت الشَّيْخ يعقوب جد اليعقوباب، وكانت لها مدرستها الخاصة فى سنار لتَعْلِيم الصبيان وكانت تجود القُرْآن وتحفِظه، وكانت ناسخة ماهرة للكتب مما زاد فى شهرتها وعلو صيتها، وكان فى قرية «شركيلة» فى كردفان سيدتان هما «عائِشة» و»آمِنة» انقطعتا لتَعْلِيم أولاد المسَلِّمِين القُرْآن الكريم فى مسجد أنشأته خصيصاً لهذا الغرض.

وفى قرية «البشاقرة غرب» كان بعض النسوة يعلمن الناشئة القُرْآن الكريم، وقد نبغت منهن «الجاز بنت إسماعيل» حفيدة الفقيه محمد راد الله حفيد الشَّيْخ أرباب بن عون المعروف بـ»أرباب العقائد» مؤسس مدينة الخرطوم، وكانت تحفظ القُرْآن ومختصر خليل وتقرأ للفقيه المحدث التابع ابن سيرين[58].

إذن فالْمَرْأَة بلغت مرتبة تمكنها من تَعْلِيم الرِجَال والقُرْآن والعِلْم. ومن يدري ربما كانت حلقتها تضم عدداً من النِسَاء أو البنات، إذ ليس ما يمنع من ذلك، فقد رأيناهن يشاركن الأولاد في حلقة الشَّيْخ حَمَد وَدْ أم مريوم، وكن أكثر منهن عدداً، كما إن اشتغال فاطِمَة بنت جَابِر بالعِلْم - وهي من بيت علم ودين، ولأسرتها مكانة اجتماعية - كان كفيلاً لأن يمزق الستار الذي يحجب عنها الرؤية لترتاد بعد ذلك حلقات الدروس. ولئن درست فاطِمَة بنت جَابِر في مدرسة الأسرة، فأين تعلمت بنت القدال؟ أليس هذا دليلاً على أن المجال كان واسعاً أمام الْمَرْأَة حتى تصل درجة الجلوس للتدريس؟[59]

رأينا الْمَرْأَة في هذا الدور تعلم الرِجَال. وهناك مواقف نتبين منها أنها ساهمت في نشر العِلْم بطريقة غير مباشرة، فواحدة قدمت في سبيل تَعْلِيم ولدها ليخلف أباه كل ما عندها من مجوهرات لأحد الشيوخ. ويذكر وَدْ ضيف الله أن ابنها هذا بعد أن تعلم على يد هذا الشَّيْخ، بلغ درجة عالية في الدين والصلاح، وصار مثل الشَّيْخ، وفاق جميع إخوانه، وصار قاضياً يحكم بالمتفق عليه والقوي من الخلاف. ومن ذلك أن امرأة أخرى عرض

57- آمال عباس. الذكرى تنفع المؤمنين. على الرابط sptth://www.abokarla.ten/249718%/D8%

58-الجيد عبدالعزيز. الْمَرْأَة السُودَانية عالمة ومعلمة sptth://www.abokarla.ten/282415%/D8%A

59- المصدر نفسه 212.

عليها ولدها أن تقبل الزواج من أستاذهما نظير أن يذهب من بربر إلى شندي ليعلمهما العِلْم فوافقت في سبيل تَعْلِيم ولدها.

وأخرى آثرت الزواج من فقيه عالم على الحياة مع صوفي مجذوب لا يشعرها بأهميتها، وفي سبيل (أن تقرأ مع الحيران، والرياضة بالليحان) تنازلت عن صداقها، وتركت أولادها، وهجرت بيت الزوجية لتعيش مع الفقيه العالم.

على أن دورها لم يتقتصر على التعلم والتَعْلِيم، وإنما نراها تمارس التَّصَوُّف، وتدعي لنفسها الكرامات. ومن ذلك أن فاطِمَة بنت جَابِر عرفت نوايا ملك الشايقية في قتل ابنها، فدعت عليه مما تسبب في سقوطه عن صهوة جواده، بل إن عظمة أولادها فيما يذكر وَدْ ضيف الله ترجع إلى دعوة صالحة من أمهم، ويروي عنها أيضاً أنها وزوجها مارسا العمل بالتَّصَوُّف الفردي دون أن يدعوا أحداً للانتظام معهما، كما أن شهرة الشَّيْخ خوجلي كانت بدعوة من والدته، وفوق ذلك كان يُكنى بأبي الجاز نسبة إلى ابنة له بهذا الاسم، وابن البتول كني بابنته لذات السبب[60].

هذا، ونجد مثالاً لاهتمام الْمَرْأَة بما يدور من صراع بين المتَصَوْفة والفقهاء، ذلك الصراع الذي طغت فيه شهرة الصُّوفِية على الفقهاء، حتى اضطر الأخيرون إلى الجمع بين الفقه والتَّصَوُّف. ويبدو أن صدى هذا الصراع كان يشغل بال الْمَرْأَة كثيراً. ويدل على ذلك أن ابنة الفقيه دفع الله ابن محمد أبو إدريس قالت لوالدها الذي يدرس الفقه: (يابا ناس ولد عبد الصادق ملكو العرب والفنج، وأولاده شالوا الدليب فوق الفيلة من الصعيد إلى السافل، وحيرانه بيوردا خيله من المندرة إلى البحر.. وإنت ومَحَمْد أخوي بلا قال المصنف ما سمعنا لكم شيء)[61]. فالتمسك الجامد بالنص الفقهي كان فى عهد الفونج، حالة يضيق منها حتى العوام، وتستفز النسوة في مد ألسنتهن بتعيير الفقهاء، كما في المثال أعلاه لابنة الشيخ دفع الله وأخاها محمد"[62].

ولمكانة الْمَرْأَة المرموقة في عصر الفونج فقد كان وَدْ ضيف الله حريصاً على أن يذكر نسب الشَّيْخ من جهة أبيه ومن جهة أمه وقد يذكر بناته مثلما يذكر أولاده .وطوال عصر الفونج ومروراً بالمهدية وإلى عهد قريب كان كثير من المتَصَوْفة وأعيان البِلاد، يعزون

60-المصدر نفسه ص 41/312.

61- المصدر نفسه ص 412.

62-عبد الله الشَّيْخِ. فإنْ شِئتَ أنْ تحيا سَعيداً، فَمُتْ بهِ شَهيداً، وإلّا فالغرامُ لَهُ أهْل..! gro.arkifla.www//:sptth/ 1=di_egap&1421=di_elcitra?php.a_weiv_egap_elcitra

نجاحهم في الحياة سواء من علم أو تجارة أو رئاسة أو سلطة سياسية ونفوذ أو ذرية صالحة إلى دعوات من أمهاتهم.[63]

ومكانة الْمَرْأَة في سلطنة الفور لا تدانيها مكان الْمَرْأَة في أي مجتمع آخر من الممالك السُودَانية منذ بدايات انتشار الإِسْلاَم في السُودَان، ومن عادة الفور أن يثقلوا مهور البنات ولذلك يفرحون بولادة الإناث أكثر من ولادة الذكور، ويقولون إن الأنثى تملأ «الزريبة» خيراً والذكر يخربها، ومن عادات الفور أن الشباب لهم في كل بلدة رئيس، وكذلك النِّسَاء لهن من الممالك قبل الإِسْلاَمية. يقول التونسي إن الرِجَال في دارفور لا يستقلون بأمر البتة إلا الحرب، وما سوى ذلك فهم والنِّسَاء سواء، بل أكثر الأشغال وأشقها على النِّسَاء[64].

وفي الفكر الجمهوري شرع الأستاذ محمود محمد طه في التربية السلوكية على النهج الصوفي منذ خمسينات القرن الماضي ونشأت في نهاية الستينات وبداية السبعينات ما سميت «بيوت الأخوان الجمهوريين» في حارات مدينة المهدية. وهي بيوت يسكنها الشباب غير المتزوجين الذين التحقوا بالدعوة. بين ما يجري في هذه البيوت من صلوات جماعية وقيام منتظم للثلث الأخير من الليل وجلسات سلوكية تجري يوميا في هذه البيوت، إضافة إلى جلسات سلوكية وعرفانية وحلقات ذكر تجري يومياً أمام منزل الأستاذ محمود محمد طه تشكلت المدرسة التربوية السلوكية الجمهورية. غير أن تسليك النساء جاء متأخراً قليلاً على تسليك الرجال بحكم أن التحاق النساء بصورة مستفيضة جاء متأخراً على التحاق الرجال[65].

جعل الأستاذ محمود منزله مدرسة للتسليك والتربية الروحانية للنساء. وقد كانت غالبية من التحقن بنهج السلوك في منزل الأستاذ محمود من المتعلمات وأغلبهن من أسر جمهورية وقلة منهن من أسر غير جمهورية لم تعترض عليهن في الالتحاق بالدعوة الجمهورية. يجري نهج السلوك والتربية في منزل الأستاذ محمود عبر الخدمة لضيوف المنزل الذين لا ينقطعون آناء الليل وأطراف النهار وعبر الصلوات الجماعية وصلاة الثلث الأخير من الليل وحضور الجلسات السلوكية والعرفانية. وقد ابتدا تسليك النساء في بدايات السبعينات بأعداد <u>قليلة انحصرت في</u> بنات الأسرة وبعض بنات قدامي الجمهوريين ولم تنخرط النساء في هذه

-63

-64 آمال عباس. الْمَرْأَة السُودَانية إشراقات الماضي وظلماته (4). A%8D%/255797/ten.abokarla.www//:sptth %3A%8D%1B%8D%58%9D%48%9D%7

-65 مقابلة مع النور حمد الترابي. الخرطوم، عبر الواتساب بتَارِيخ 2202/21/32م.

المدرسة التربوية السلوكية باعداد مستفيضة إلا قبيل منتصف السبعينات. نتيجة للجهد المكثف في العبادة وإحسان المعاملة سمح للنساء الجمهوريات للخروج بكتب الدعوة إلى الأسواق في منتصف السبعينات. وشاركن من ثم مع زملائهن من الرجال من إدارة أركان النقاش في الجامعات وفي الأسواق في كل مدن السُودَان. كما شاركن في كتابة المنشورات وفي الكتابة إلى الصحف وفي تلبية دعوة وسائل الإعلام كالإذاعة والتلفزيون[66]. كما يحسب لغالبيتهن في مجال تطبيق قيم التَّصَوُّف في توخي البركة والبساطة ومحاربة العادات الضارة أنهن وأسرهن رضين الزواج نظير مهر قدره جنيه سوداني واحد، وبالملابس القديمة والأثاث القديم، نظير التفويض في العصمة وفقاً للمذهب الحنفي واشتراط عدم قيام الزوج بالتعدد على الزوجة إلا لضرورات محددة منصوص عليها في عقد الزواج وبرضا الزوجة وإن لم ترض تستخدم تفويضها في العصمة وتنفصل[67].

الثقافة الصُّوفِية والْمَرْأَة السُودَانية:

كانت وضعية الْمَرْأَة السُودَانية متميزة وحاضرة وفاعلة في الشأن العام منذ حَضَارَة مروي التي تميزت ببروز الْمَرْأَة الملكة وظهور دور الْمَرْأَة في الجوانب الدينية والسلمية والحربية والاجْتمَاعيّة. وإذا كان هناك من يقف ضد حقوق الْمَرْأَة إلى الآن باسم الإِسْلاَم فإن إسلام السُودَانيين الصُّوفِي المتسامح الذي ينظر للقيمة الإنسانيَّة قد جعل الْمَرْأَة خليفة في بقعة المِسِيد بعد والدها، كما أن الشَّيْخ خوجلي نفسه قرأ القُرْآن على بنت القدال.[68]

بعد أن توغل الإِسْلاَم فيه عرف الإِسْلاَم في السُودَان نزعة إنصافية نحو الْمَرْأَة .فمن رجال الدين من خلف ابنته على سجادته مثل الشيخ أبو دليق الذي خلف ابنته عائشة وكان له ولد غيرها. ومنهم من كان حريصاً على تعليم الْمَرْأَة في زمان كانت فيه الْمَرْأَة الأوربية مطعون في إنسانيتها ومرفوض تعليمها. قال الشيخ فرح وَدْ تكتوك حكيم التَّصَوُّف السُودَاني:

وعلِّمْ لِمَا ملكتْ يداك عقائداً　　كـــذا أصْـلُ الـطريـقةِ لا تَذَرْ

66- المصدر نفسه.

67- المصدر نفسه.

68- إبْرَاهِيْم يوسف فضل الله. أكتوبر وحقوق الْمَرْأَة. منشور على الرابط http://www.alfikra.org/article_page_view_a.php?article_id=1066&page_id=1&keywords=%D8%B9%D9%84%D9%8A+%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A8%D9%8A+%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%84%D8%A8%D9%8A%D8%A7%D9%8A%D8%A9

بنـاتٍ وأبناءاً شـباباً عجـائـزاً   خديماً وحُرَّاتٍ كذا عبْدُكَ الذَّكَر[69]

في عرضها لكتاب الدكتور مختار إبْرَاهِيْم عجوبة الموسوم بـ (الْمَرْأَة السُودَانية إشراقات الماضي وظلماته) تكتب الأُسْتَاذْة الصحفية آمال عباس:»جاءت الإشراقات قليلة، يقول المؤلف:«على كل حال فإن المؤسسة الصُّوفِية قد حافظت إلى حد بعيد على مكانة الْمَرْأَة الدينية والاجْتِمَاعيّة والاقتصادية المرموقة المتوازنة من الكوشيين والمرويين كأم وأخت وكزوجة وكابنة وكزوجة ابنٍ ومريدة، بل كمطلقة، وساعدوهن في اختيار ما يلائمهن من الأزواج كما ساعدوا الأزواج في اختيار ما يلائمهم من النِسَاء. ولم يميز الصُّوفِية من الصفات والأخلاق والحقوق والواجبات الشخصية بين الرِجَال والنِّسَاء، كما تدل على ذلك أشْعار وحكم الشَّيْخ فرح وَدْ تكتوك «.[70]

يورد البروفسور مختار عجوبة نقلاً عن محمد الطيب أنه لمكانة الْمَرْأَة المرموقة في عصر (الفونج) فإن وَدْ ضيف الله، كان حريصاً على أن يذكر نسب الشَّيْخ من جهة أبيه ومن جهة أمه وقد يذكر بناته مثلما يذكر أولاده، ويضيف: أن الثقافة السُودَانية تقوم في نجاح الذرية، على دعوات الأم ورضائها، ويعتني الملوك والسلاطين بعلاج أمهاتهم إلى درجة تقاسم الملك مع من قام بالشفاء.

النِّسَاء الصُّوفِيات والنِّسَاء المؤمنات لهن دورٌ كبيرٌ في صناعة رِجَال الله. وإذا رجعنا لتَارِيخنا في السُودَان فإن هناك نساء صنعن رِجَالاً، منهم العبيد ودريا، ومنهم الشَّيْخ حَمَد وَدْ أم مريوم. ففي أقطاب في السُودَان مضافون إلى أمهاتهم، أو هنَّ صنعن تَارِيخهم. وإذا رجعنا بالذاكرة في أنبياء أيضاً ارتبطوا بأمهاتهم، فعندنا عيسى بن مَرْيَم، لأن مَرْيَم هذه هي أمه، وهو معجزة إلهية كونية، ولذلك السُودَانيون ينظرون إلى اسم مَرْيَم أنه رمز الطهر والنقاء والإلهام الإلهي، وينظرون إلى مَرْيَم على أنها الأم الطاهرة التي ولدت النبي الرسول المعجز من قبل الله، سيدنا عيسى، ولذلك نجد اسم مَرْيَم هذا كثير في السُودَان، منهم مَرْيَم الميرغنية ومَرْيَم المحسية. وكلمة مَرْيَم هذه كلمة عِبْرِية معناها العابدة أو الزاهدة. ومن الأنبياء الذين ارتبطوا بأمهاتهم سيدنا يونس بن متى، ففي إحدى التفاسير القديمة أن متى هي أمه.

69- الصادق المهدي. دور الأحزاب السياسية في تفعيل دور الْمَرْأَة السياسي في السودان. منشوار على الرابط
47=elcitra_di&olucitra_rimirpmi=egap?php.pips/ten.akar3amla.www//:ptth

70- آمال عباس. الْمَرْأَة السُودَانية اشراقات الماضي وظلماته (3). المنشور بتَارِيخ 7102/7/3م على الرابط sptth://www.
8179701/abokarla/moc.sseradus

والإِسْلاَم نشر مفهوم أن النِّسَاء شقائق الرِجَال، وفي الثقافات القديمة النِّسَاء كانت من سقط المتاع، تورث كما يورث المتاع، ولكن الإِسْلاَم رفع قدرها من ضِعَةٍ وأحياها من وأْدٍ وجملها وزيَّنها وكمَّلها، وجعلها شقائق الرِجَال في كل شيء، وربطها القُرْآن في المعطوف والمعطوف عليه في سورة الأحزاب في قوله تعالى:(إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا). مسلمة، ومؤمنة، وقانتة، وصادقة، وصابرة، وخاشعة، ومتصدقة، وصائمة، وحافظة لفرجها، وذاكرة. فهنَّ شائق الرِجَال حتى في هذه الصفات. ولذلك هنَّ من صنعن رِجَالاً[71].

رِجَال عرفوا بأمهاتهم وبناتهم:

وفي السُودَان تطلق الكنى للشَّيْخ في غالب الثقافة الصُّوفِية في البِلاد بالْمَرْأَة. فقد ينادى الشَّيْخ باسم أمه وهذا كثير في أوساط شيوخ التَّصَوُّف فعلى سبيل المثال: وَدْ أُمَّرَيُوْمْ، وَدْ أَبْ صَفِية، وَدْرَيَّا، وَدْ أُمْ حَقِّيْنْ. وقد ينادى الشَّيْخ باسم ابنته على سبيل المثال: أَبُوْ اْلجَاز، أَبُوْ اْلنَّسِيْمْ، أَبُوْ اْلسَّارَّة، أَبُوْ اْلشُّوْلْ، أَبُوْ اْلتَّايَةْ، أَبُوْ اْلرِّسَالَة، أَبُوْ عَشَّةْ (عائِشة)، أَبُوْ الْبَتُوْلْ، أَبُوْ عَزَّةْ.

ومن مشائخ السُودَان الذين نسبوا إلى أمهاتهم أو بناتهم، الشَّيْخ الْعِبِيْدْ وَدْ رَيَّهْ والشَّيْخ حَمَدْ وَدْ أُمْ مَرْيُوْمْ، والشَّيْخ الأَمِيْن وَدْ أُمْ حَقِيْنْ، والشَّيْخ إِبْرَاهِيْم وَدْ أُمْ الْحِسِيْنْ (إِبْرَاهِيْم الكَبَّاشِيْ)، وسُمي جبل «أُمْ علي» — في شمال السودان – تيمناً بالشَّيْخ على وَدْ حامد (أَبُوْ عَصَاتَاً سِيْفْ)، والشَّيْخ الطيِّب وَدْ أَبُوْ صَفِيَّهْ، والشَّيْخ أَبُوْ عَاشَّهْ المِشَمِّسْ بأبي حراز، والشَّيْخ بُرْ أَبُوْ الْبَتُوْلْ، والشَّيْخ أَبُوْ عَزَّهْ بغرب السُودَان.[72]

ومن الذين عُرفوا أكثر بأسماء أمَّهاتهم نجد شاعر القوم الكبير إِبْرَاهِيْم وَدَّ أَحْمَد وهو من قبيلة المسلمية بشرق النيل ونواحي البطانة، وهو شاعر الكباشي الشهير باسم إِبْرَاهِيْم وَدْ نفيسة، فاقترن اسمه بها وفاءً لها، إذ هي من عشيرة الشَّيْخ حسن وَدْ حُسُوْنَهْ. وقد جمع إِبْرَاهِيْم وَدْ نفيسة بين مدح الشمائل النبوية وبين قصيد القوم في التغنّي بمآثرهم في الدعوة

71–مقابلة مع الأُسْتَاذْ على هاشم السراج عبر مكالمة صوتية – الخرطوم بتَارِيخ 2202/01/02م.

72–عبد الله أحْمد خير السَّيِّد. إلى كل امرأة سودانية – الى زوجتى جميله بِتْ عبد الله. على الرابطsptth://www.
-48%9D%38%9D%-98%9D%48%9D%7A%8D%/286864/ten.abokarla
-78%9D%3A%8D%1B%8D%58%9D%7A%8D%

إلى الله، وعلى رأسهم شيخه وشيخ والده الشَّيْخ إِبْرَاهِيْم الكباشي. وقد ترجم له في دراسة وافية شيخ شعراء السُودَان، العلامة عبد الله الشَّيْخ البشير الذي كان قد قام بها لجامعة الخرطوم وطبعت أخيراً وهي «ديوان وَدْ نفيسة»، وحين سألته – في محاورة أجريتها معه ونُشرت بحياته بمجلة المتلقى – عن دوافع دراسته لـ»ود نفيسة» فقال شيخ الشِّعراء:« إنه شاعر غوَّاص لا يرضى بالمحاور والأصداف، ويبحث عن أغلى جواهر المعاني والمفردات، والغوص في بحره صعب وشاق كما وجدته!!» وأكمل حديثه قائلاً: لو خُيِّرتُ بين أن أحقِّق المعرِّي أو ابن الرومي أو إِبْرَاهِيْم وَدْ نفيسة لما اخترتهما.!!فهو صاحب القصيدة المشهورة:
جيت فوق جبلو ها بقيت قبلو

الكباشي القيدو في شبلو

وكان شيخنا عبد الله الشَّيْخ البشير يطرب كلما أنشدنا قول وَدْ نفيسة:

شُوْقُوْ مِنْ ٱلنُّوْرْ كِيْفْ لِبِسْ حُلَلُوْ

يَسْقِي سِرَّ اللَّه مِـنْ بَطُـــنْ قُلَلُوْ

تلكم هي بعض وقفات وَدْ نفيسة وهو يخلع حلل الوفاء على والدته السَّيِّدة نفيسة محسوبة الشَّيْخ حسن وَدْ حُسُوْنَةْ من خلال قراءته الباصرة للشَّيْخ الكباشي ومآثره هي التي ألهمت شيخ الشِّعراء، تلكم الدراسة القيِّمة التي صدرت الآن، وقد تناغم معهما في ذلك د. الشاهدي الوزاني – الدكتور المغربي المقيم بالمدينة المنورة وهو اختصاصي في الطب النفساني – الذي حقَّق أطروحة الشَّيْخ الكباشي «إرشاد المريد»، وهو ما فعله شاعر القوم إِبْرَاهِيْم وَدْ نفيسة الذي يحلو لي أن أسميه بـ «متنبئ حومة الكباشي الروحية».[73]

ومن النِّسَاء اللائي وقفن من وراء نجاح أبنائهن نطالع اسم السَّيِّدة «مقبولة» والدة الإمام عبد الرحمن المهدي، وقد سمعنا من أهْلنا – وهم أبناء أمراء وشهداء في أم درمان وسنار والمغاوير وقوز بَدُرْ والجَبَلَابْ والعكد والموسياب – الكثير عن أسرة الإمام المهدي، ولا سيما هذه السَّيِّدة البرّة الوهّابة الودود، حيث كان لها موقف مشهود حين قُتل أبناء الإمام المهدي في معركة الشُّكَّابَةْ وهم من أمهات أخرياتٍ، فدفعت به للاستشهاد – على كونه ليس بأفضل من إخوته – وحين عاد إلى أم درمان كانت والدته السَّيِّدة «مقبولة» من وراء إيقاد نار القُرْآن وتكية الضيفان وساحة الإحسان فكانت بإيجاز من وراء تلك

73–عمر بشير. بين ريَّا وهدية أمهات واهبات (1- 3(. منشور بتَارِيخ 3102/3/21م على الرابط sseradus.www//:sptth. 92913/ahabitnila/moc

الشجرة دانية الثمار ووارفة الظلال التي هي السَّيِّد عبد الرحمن المهدي. فكانت بحسن صنيعها راعية من طرف خفي لذلك الغراس في ساح المكرمات ودروب المبرات.. ومما أرثته في ابنها الزعيم ذلك الصبر الجميل وذيّاك الاحتمال النبيل، مما دفع الشاعر الضخم «عَكَيرُ ٱلدَّامَرْ» لأن يقول في حق «ابن مقبولة» الإمام عبد الرحمن المهدي طيب الله ثراهم أجمعين:

تَسْلَمْ يَاْ ٱلزَّعِيْمَ يَاْ ٱلتَّلْفَاْ سَــاعْةَ الْعَتْرَةْ
يَاْ جَبَلَ ٱلضَّرَىْ وَيَاْ ٱلرَّيْ نَهَــارَ الْخَتْرَةْ
عِنْدَكْ خَصْلَةْ وَكْتِيْنْ تَدِّيْ إِيْدَكْ تَتْرَىْ
زَيْ وَرَقَ الْأَرَاْكْ ٱلْـشَّمَّ رِيْحْـةَ ٱلنَّــتْرَةْ

وعلى ذات النسق الجميل وقفت والدة الشَّيْخ الجعلي مؤسس «مَسِيدْ كَدَبَاْسْ»، وهي من بيت القُرْآن العريق بـ«الْغُبُشْ»، جامعة القُرْآن الكريم التي خرجت عباقر القادة العظام في الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر، وشاهدنا مِن رفاقه مَنْ تخرج بالغبش ببربر غربي النيل أمثال الإمام المهدي، حينما ذهب الشَّيْخ مع المهدي قامت والدته برعاية أمر المسِيد بكل مطلوباته.

ومثلها على قياس آخر كانت الحاجّة آمِنة بِتْ الخليفة «حَسَبَ الرسولْ وَدْ بَدُرْ»، والدة مولانا الشَّيْخ الطيب الجد – قاضي المحكمة العليا الذي صار خليفة للسجادة البدرية اَلْقَادِرِيَّة – والشَّيْخ الخليفة حسب الرسول «أبُّو» والشَّيْخ الطاهر الجد، وأخواتهم، والتي كانت تحفظ القُرْآن على عهد والدها الذي كانت خليفة له عقب رحيله في «1930م»، ولها أخت واحدة ولم يكن لها أخ، «فشالت الشيلة»، فكانت شاية وتاية وتكية لكل قادم، وقد ورد اسمها مقترناً مع والدها في العديد من القصائد والأمداح ومن ذلك «الكان داكا».. حين قيل عن الخليفة حَسَبَ الرَّسُول:

وَدَّ اشْــقَــرَ الْخَــلَــوَاتْ
وَكْتَ الْعِيْشْ بِقَاْ بِالْمَلْوَاتْ
يَاْ أَبَّ آمِنة حُوْبْتَكْ جَاتْ

ويقول وَدْ الرَّضي الذي أسماه شيخه الخليفة حَسَبَ الرسول «تنبيه الغافلين»، فنجده يقول:

أروني أَبَّ آمِنة وِيْنْ مِثْلُو
فـقــيرَ ٱلـــلُّوحْ يِلَمِّسْلُو
مهـــابةْ وْصَــوْلَةْ يِلْبَسْلُو
وَإِلْيُــهْ أَحَــبَّ مِنْ نَسْلُو

ومن النِّسَاء اللائي وقفن من وراء نجاح أبنائهن، نجد سليلة البيت العركي الأصيل والدة الشَّيْخ دفع الله الصائم دِيْمة، التي عُرفت بالعطف على الحيران حين وقفت من وراء اقتحام ابنها الطالب بالمعهد العِلْمي حين «شيد للمَسِيد داراً بهية فاستوى جلالا» - كما قال ترجمان ملحمة المِسِيد شيخ شعراء السُودَان - فزهت أُمْ بَدَّةْ بنار «التُّقَّابة»، في تناغم بين نار القُرْآن للقراءة والحفظ، وبين نار القرى للحيران والضيفان والإحسان. ومن شعرائنا الذين افتخروا بأدوار أمهاتهم في صناعتهم الشاعر إسماعيل حسن وغنائه لوالدته «حَدَّ الزِيْن»، وهناك الشاعر مبارك المغربي الذي قال عن والدته العمرابية وعن كفاحها، وهي والدة الأطباء الكبار عبد السلام المغربي وإِبْرَاهِيْم صالح المغربي واخواتهما فقال عنها وعلى خريجة جامعة الحياة المفتوحة والكفاح المثابر:

ويكفي أَنَّكِ دُونَ علمٍ   وَهَبْتِ العالِمِينَ الأذكياءَ[74]

ومن خلال النماذج التي تم التوثيق لها، وجدنا أنه ومن غير المألوف أن الأم تخاطب ابنها خطاباً روحياً بقولها: «أبوي»، ومنهن من تخاطبه بقولها: «شيخنا»، كما أن الزوجة قد خاطبت أيضاً زوجها بلفظ «أبوي». ولعل الأبوة الواردة في مثل هذا الخطاب هي الأبوة الروحية، وليست الجسدية والبايلوجية. فمثلاً الشَاعِرَة شادية فضل الله «أبو الْعُوْل» حفيدة الشَّيْخ عَبْدُ الْمَحمُودْ نورَ الدائم، وفي قصيدة مرثية طويلة في زوجها الراحل الشَّيْخ الجيلي الشَّيْخ الحفيان تخاطبه في إحدى قصائدها قائلة»:

مُنُوْ الْمِثْلَ الْخَبِيْر شَالْ الْحُمُوْلْ لَمْلَمْ
مُنُوْ مِثْـلَ أَبُوْيَ ٱلنَّـــطَّــقَ الْاَبْكَمْ
ٱلتَّعْــبَان كَتِيْـرْ فِي بِيْتْ أَبُوْيَ بِنْجَمْ
مِنْ بعدَ الفُراق يا أَبُوِيْ حياتْنَا عَدَمْ

74-عمر بشير. بين ريَّا وهدية أمهات واهبات (3)3. منشور بتَاريخ 3102/3/21م على الرابط sseradus.www://sptth. 92913/ahabitnila/moc

ويقال إن سبب نيل الولاية والمكانة السامية التي يتربع عليها بعض مشائخ السُودَان الكبار، هو برُّهم الشديد بأمهاتهم.

موقف بعض الصالحات من الزواج:

وعن موقف الْمَرْأَة الصوفية من الزواج – وهو ما نجده دائماً قريناً بالتَّصَوُّف السني – نسوق ثلاث أمثلة في ذلك. أما الأول فهو موقف السيدة الزاهدة الصالحة بتول الغَبْشَاْ ورفضها السكون إلى بيت الزوجية، وقد أرغمت القبول والأذعان لذلك تحت تهديد والدها بسلب إيمانها، والمثال الثاني هو السيدة فاطمة بنت أسد حفيدة الشيخ حامد أبو عصا، والتي هي كانت على الدوام ترفض فكرة الزواج مؤثرة ذلك التفرق لرعاية طالبات القرآن الكريم اللائي كن يدرسن عندها وللعبادة، غير أنها كانت قد غيرت من موقفها بعد أن بلغت السبعين من عمرها إثر رؤية منامية جمعتها مع جدها الشيخ أحمد أبُوْ سَبِيْبْ الذي قال لها إن أهل الحضرة يقولون إن في عقبك ذرية صالحة، والمثال الثالث هو من الجارة الشمالية مصر والصالحة الشيخة نور الصباح. تقول قصة نور الصباح الآتي:» جاء الخلاف مع الدها حين طُلبت للزواج، فعندما علمت أن والدها يُقيّم عرض الزواج، غضبت نور الصباح وأخبرت والدتها: «نحن أهل الله وأهل البيت وخُدَّام للصوفية والأولياء، ولا أريد أن أتزوج»، وطلبت من والدتها أن تبلغ والدها بذلك. لكن والدتها لم تخبر الأب بكلمات ابنتهما؛ لأنه ليس من المفترض أن تعترض فتاة على رغبة والدها. عندما استمر الأمر ذكَّرت نور الصباح والدتها بما قالته لها، ورغم أن والدتها كانت تخشى من رد زوجها، أخبرته أخيرًا بمعارضة ابنتهما للزواج. وغضب الشيخ الغباري من رغبة ابنته ونزعتها الاستقلالية، فقرر تحديد موعد الزواج، لأنه كان قلقاً من أن يعلم الناس بعناد ابنته، ما سيترتب عليه إحراج له وللعائلة. المفاجأة كانت عندما هربت نور الصباح بأعجوبة من غرفة زفافها، حيث كان الباب مغلقًا عليها، ولم تكن للغرفة نوافذ. وهي كرامة يعرفها القاصي والداني عنها، ومن وقتها بدأ التعامل مع «نور الصباح» على أنها «الشيخة صباح.« سيرة الشيخة صباح رصدتها ستيفاني بويل، وأسهب فيها الباحث في التَارِيخ الاجتماعي إدوارد ريفزEdward.B. Reeves ، في كتابهThe Hidden Government : of Egypt–الحكومة المخفية في مصر.[75]

75– محمد حسين الشيخ. كيف كسرت النساء احتكار الرجال للصوفية؟. منشور على الرابط sptth://tayrfah.moc/ra/golb/%A8%9D%38%9D%18%9D-%AA%8D%1B%8D%3B%8D%38%9D-%8D

مناصرو الْمَرْأَة من مشايخ الصُّوفية:

إن الْمَرْأَة عند المتَصَوْفة في السُودَان تمعت وما زالت بحترام وتقدير كبيرين من قبل قادتها ومرشديها داخل هذه المدرسة التزكوية الضاربة في الجذور في البِلاد. غير أن تَارِيخ المنهج في القُطر يحدثنا عن نفر من هؤلاء المرشدين، الذين قادوا مبادرة الدفاع والاهتمام بقضايا الْمَرْأَة، كل في المجتمع والزمان الذي عاش فيه. ولعل من أشْهَر من قاد هذه المبادرات المجتمعية لصالح قضايا الْمَرْأَة كان الشَّيْخ حَمَد وَدُّ أُمَّرْيُوم(1645–1730م)، الشَّيْخ بَدْوِيّ وَدَّ أَبُوْ صَفية، الشَّيْخ محمد علي العجيمي (1890–1952م)، الشَّيْخ محمد الصابونابي (1898–1984م، والشَّيْخ عَبْدَ الرَّحِيمِ البُرْعِيّ الكردفاني (1923–2005م).

الشَّيْخ حَمَد رائد تَعْلِيم النِّسَاء 1645–1730م[76]:

عندما تفتح كتاباً عن تَارِيخ التَعْلِيم في السُودَان خاصة تَعْلِيم الفتيات، يتحدث المتعلمون عن الراحل المقيم بابكر بدري، و هو كلام جيد لأنه عن التَعْلِيم بمفهومه الحديث؛ المدرسي، لكن تَعْلِيم الْمَرْأَة في السُودَان موضوع له جذور بعيدة جداً

%8D%7A%8D%3B%8D%68%9D%48%9D%7A%

76–الشَّيْخِ حَمد بن مَحَمْد بن علي بن عمر بن ماضي بن مَحَمْد أبي الجويد بن حُمد بن يعقوب بن مجلي بن جلال الدين بن عبد الرحمن بن أَحَمْد بن مَحَمْد بن أحَمْد بن مَحَمْد بن عوض بن عبد الخالق بن عبد المنعم بن يحي بن يعقوب بن نجم بن عيسى بن داؤود بن مَحَمْد بن نوح بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه. ولد بجزيرة تُوْتِي عام 5501 هجرية حفظ القُرْآن الكريم على يد الشَّيْخِ أرباب بن عون (أرباب العقائد) كما درس عليه علم التوحيد والتَّصَوُّف ودرس الفقه المالكي على الشَّيْخِ عبد الرحمن وَدْ حَمْدتو والشَّيْخِ أَحَمْد بَابْاْ كان وقافاً عند حدود الله تعالى متقياً لمحرماته معظماً لحرماته. شديداً على نفسه في عزائم الأمور وعلى من عرف عنه الصدق من أتباعه. لا يخشى السلاطين ولا يطمع في عطاياهم ناهيك عمن دونهم من خلق الله. كان – رحمه الله – لا يخالط أهْل الفسوق ولا يجاملهم ولا يشهد جنائزهم ولا يعود مرضاهم ولا يشهد زواجهم مما أثار استغراب أهْل عصره حتى لقبوه بـ (الْمُشَاقِقْ). وكان يهتم بالنساء ويحرص على تَعْلِيمهن أمور دينهن وينهاهن عن الاختلاط بالرِجَال الأجانب والتطلع إليهم وعن رفع أصواتهن و إبداء زينتهن. وكان لا يتحرج من النصيحة ولو لضيوفه و زواره فكان يبذل لهم النصيحة ولا يبالي أغضبهم ذلك أم أرضاهم. وكان يعدل بين أزواجه إلى حد المبالغة في الإنصاف ويغضب على من أخل بحقوقهن من أهْله و أتباعه وربما أوقع عليه العقوبة. وكان يتورع في مأكله ومشربه وعلف دوابه غاية الورع سداً للذرائع وقطعاً للشبهات، كما كان لأجل ذلك يأكل من عمل يده بالزراعة ويطعم أهْله. وكان مترفعاً عن الشهوات من التلذذ بالمآكل والمشارب والملابس ويقف عند حد الضرورة منها ولا يزيد على ذلك كما كان مترفعاً عن الصغائر ومتنزهاً عن سفاسف الأمور. مكثراً من ذكر الله وتلاوة القُرْآن عاكفاً على أداء الفرائض و اغتنام الأوقات بالنوافل مواظباً على قيام الليل والدعاء والضراعة.

من أقواله: (أحَمِدَ الله سِيْدي و أشكره من سَنَةْ أُمْ لَحَمْ (5901 هجرية) ما نمت اختياراً ولا نَقَدْتَّ قَنْقَرَةْ ولا قَرَشْتَ قَصَبَةْ. الزمن الذي أنقد فيه قنقرة أو أقرش فيه قصبة. أَسَوِّى فيهُ تسبيحات)، ومنها: (لا تجوز قراءة القُرْآن لجأهْل بأحكام الدين)، ومنها: (أولُ أمري أقوال، وثاني أمري أفعال، وثالث أمري مقاصد).

من أقوال العارفين فيه:

قال الشَّيْخِ حَمَد وَدَّ ألتُرابي: (اللهمَّ انفعني ببركة الشَّيْخِ حَمَد وَدُّ أُمْ مَرْيُومْ فإنه عبد الله تعالى لا خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته بل لما يستحق – سبحانه وتعالى – من العبادة لذاته).

وقال الشَّيْخِ مَحَمْد وَدْ الطريفي: (العطاءُ من الله، لو كان العطاء بالعمل نِحْنَ يا فُقَرَاء ما فِيْنا مَنْ خدم الله خدمة الشَّيْخِ حَمْد وَدْ أم مريوم). توفي إلى رحمة الله تعالى عام 2411 هجرية عن سبع وثمانين سنة، ودفن بمقبرته بالخرطوم البحرية وبنيت عليه قبة فخمة. وله من الأبناء مَحَمْد النور ومَحَمْد المقبول ومَحَمْد الشفيع وله من البنات ست النساء وأم كلثوم وخديجة وعاتكة ومَرْيَم وحورية.

وعميقة، الخلوة والمسِيد هما مؤسسات تَعْلِيمٍ فتحت أبوابها أمام النِّسَاء منذ الفونج والفونج كتَارِيخ مرتبط بسلطنة الفور ولهما ملامح متشابهة فيما يتعلق بتَعْلِيم النِّسَاء[77].

الشَّيْخ حَمَدْ وَدُّ أُمَّ مْرِيُوْمْ هو مصلح اجتماعي عاش 87 عاماً قضى سائرها في خدمة الدين تَعْلِيماً وتدريساً، وهو كان مناصراً قوياً لِلْمَرْأَة. من حرصه الشديد على تَعْلِيم المجتمع كان هناك أكثر من خمسمائة بيت في حلة حَمَد تحَفِّظ القُرْآن، فالشَّيْخ حَمَد علمهم وعمل على تحفيظهم كتاب الله، وكانت النسوة في بلدته يحفظن أيضاً مختصر خليل في الفقه المالكي[78].

درس الشَّيْخ حَمَد القُرْآن على يد خالته فاطِمَة والدة الشَّيْخ خوجلي أبوالجاز، وهي التي سمته حَمَدْ وَدُّ أُمَّ مْرِيُوْمْ على اسم أمها، وهي عادة قديمة ومتأصلة عند أَهْل السُودَان حتى قبل دخول الإِسْلاَم.

الشَّيْخ حَمَد سبق عصره من خلال تعامله مع تَعْلِيم الْمَرْأَة. اشتهر بأمه لأنها نشأت وتربت في بيت علم وصلاح، فهي امرأة متدينة، مجودة للقرآن، صالحة، وكانت عالمة درست وعلمت الكثير من النِّسَاء، وكانت لها مكانتها من ناحية أمها ومن ناحية أبيها، حيث كانوا رِجَالاً صالحين، لأجل هذا لُقب الشَّيْخ بأمه[79].

رائد تَعْلِيم المرأة هو جدنا الشَّيْخ حَمَد وَدْ أم مريوم أول من أسس خلاوي لتَعْلِيم النِّسَاء ووقف مسانداً لهن وسوف وجعل لهنَّ خلوات ومساكن على شاطي النيل الأزرق. كان غالبية أتباع الشَّيْخ حَمَد وَدْ أم مريوم من النِّسَاء، واهتم الشَّيْخ بتَعْلِيم النِّسَاء وجعل لهن خلوات في المكان المنحصر بين موقع كبري النيل الأزرق والقصر الجمهوري على شاطيء النهر، وكانت هنالك خلوات في مكان إدارة الوابورات علي شاطيء النهر المعاكس وكل هذه الخلوات كانت متشابهة البناء على طريقة حُجرات زوجات النبي صلى الله عليه وسلم. ولقد رثاه أحد تلاميذه بالأبيات التالية:

77- lmth.3/nr/5680283721/gsm/092/draob/gsm/moc.enilnoesenadus//:sptth

78- الشَّيْخ حُمد وَدْ أم مريوم مؤسس الخرطوم بحري. حلقة توثيقية على الرابط /moc.ebutuoy.www//:sptth QCD1e5du4Q7=v?hctaw

79- المصدر نفسه.

أبــونا أبُوْ دِلِقــاً مَـــــرَقَّعْ   العِنْدُه الـراي والصِّح المِفَقَّع

أبونا الْمَنَع من المناكِرِ والكباير   أبونا الخَلَّى الفزاريات فقاير

والفـزاريات؛ هـم نسـاء فـزارة، والدلـق المرقع؛ هـو اللبـاس المرقـوع كنايـة عـن الزهـد، والصِّح المفقع؛ هو اللامر الصحيح البيِّن. أي جعل من نساء فزارة فقيهات وشيخات لما يوليه لتَعْلِيمهن من أهميَّة. الرجل في تقديري هو أحد رُوَّاد تكريم الْمَرْأَة وتَعْلِيمها واحترام حقوقها من التَارِيخ الوسيط[80]. وقد كتب عنه ود ضيف الله: هو أوَّلُ إنسانٍ سوداني يدعو لترك عادة خفاض النِّسَاء،وأكثر مَنْ تبعوه النِّسَاء، وكان يُعَلِّمهن، ويأمر بإكرامهن (وَدْ ضيف الله، ص: 176).

بَدَوِيّ وَدْ أب صفية:

ومن مشايخ التَّصَوُّف السُودَاني والذي وقف مناصراً لقضايا الْمَرْأَة خاصة تَعْلِيمها الشَّيْخ بَدَوِيّ وَدْ أب صفية. تحكي سيرته الذاتية أنه الشَّيْخ أَحْمَد البَدَوِيّ بن عبد الرحمن بن عبد الصمد بن البَدَوِيّ الرقيق (الحجازي)، وأمه صفية بنت الشَّيْخ موسى البديري الدهمشي، فهو حسينيٌ أباً بديريٌ أماً، اشتهر بكنية جده أبو صفية وأيضاً يكنى «بأبي شَنَبْ». ولد في الأبيض 1180هـ وقرأ القُرْآن على جده الشَّيْخ موسى أبو صفية... ثم هاجر إلى (كُتْرَانْجْ) حيث درس العِلْم نحو 16 سنة على يد الشَّيْخ أَحْمَد عيسى الأنصاري ثم رجع إلى كردفان بعلم وفير وتحقيق وورع وزهد.[81]

وأنشأ عدة خلاوي خاصة بالنِّسَاء لدراسة القُرْآن والفقه ونجحت نساء كثيرات في ذلك، وأن بناته السبع يعرفن القُرْآن فبرعن في التدريس خاصة بنته المجاهدة «زينب» التي قُتلت غلية ومصحفها بيدها بإيعاز من «الزبالعة»[82]، والسبب في قتلها أنه لما دخل «الزبالعة» كردفان تصدى لهم وَدْ أب صفية واستأصلهم من كردفان، ولما جاءت الحكومة التركية أعطته جاهاً وكسوة، وبنت له مسجداً بالطوب الأحمر، فلم يقبل وودفع الكسوة لبعض الفقراء ولم يدخل المسجد بل كان يصلي في «الراكوبة»، ولما سألوه قال شكي كبير في هذا البناء.[83]

80- الشَّيْخ حُمد وَدْ ام مريوم... محرر العبيد ونصير النساء. على الرابط .koobecaf.www//:sptth /886401790233032l/stsop/349367116937385/moc

81- الطيب محْمَد الطيب. المَسِيد، مصدر سابق ص933.

82- الزبالعة مجموعة مفارقة للجماعة وينعتهم المجتمع القديم بالخامسية بمعنى الذين أحدثوا أمراً فوق المذاهب الأربعة عند المسلمين.

83- المصدر نفسه، ص 043.

الشيخ محمد علي العِجِيْمِي 1890–1952م[84]:

ومن مشائخ الطريق الصوفي الذين اهتماماً واضحاً بقضايا الْمَرْأَة الشيخ محمد علي العجيمي. وقد انداحت دائرة الطريقة العجيمية وازدهرت مجالس ذكرها في كافة الأنحاء لتشمل الرجال والنساء الأمر الذي لم يكن مألوفاً في ذلك الزمان حيث كان أمر الدين والذكر، حتى أمد قريب من تَارِيخ بلادنا، يبدو كأنه شأن خاص بالرجال وحدهم دون سواهم.

كانت جمهرة النساء يشددن الرحال من تخوم القرى المجاورة (الأركي، النافعاب والعقبة) لحضور مجالس ذكر السيد العجيمي التي باتت مفتوحة للجميع نساء ورجالاً في وعي غير مسبوق بأهمية الْمَرْأَة وتقديراً لمكانتها في الإِسْلاَم مما يمكن القول معه أن الوعي بقضية نهضة الْمَرْأَة لدى السيد العجيمي، وفى تلك الحقبة الزمنية كان مبكراً بالسُودَان، مما أوجد للطريقة مشاكل عديدة.[85]

وعن دور الشيخ العجيمي في اهتمامه بالْمَرْأَة كتب الدكتور عبدالله علي إبراهيم مقالاً بعنوان (الشيخ العجيمي: الفقير والنساء في مجتمع القرى التي بلا رجال)، جاء فيه: « وحدثنا الشيخ عبد الباقي حديثاً ذكياً ثاقباً مما هو فريد في باب

84- ولد السيد محمد علي العجيمي في قربة البَرّصَةْ التابعة محلية مروي الولاية الشمالية في أوائل القرن الرابع عشر . على الأرجح . ثم طلب العلم وحفظ القرآن علي يد الشيخ عبد الرحيم كرار بقرية الْمَقَلْ، ثم اتجه إلى بلدة ٱلدَّبَّةْ لتجويده، ثم على يد الشيخ أحمد وَدِيْدِيْ ببلدة الْبَكْرِيْ، ثم التحق بالشيخ محمد البدوي محمد نقد البديري. عاد السيد العجيمي بعد ذلك إلى بلدته ومسقط رأسه البرصة وهو في العشرينيات من العمر وبنى داراً لتعليم القرآن الكريم والسنة المطهرة وباشر التدريس بنفسه. وبعد أن ذاعت شهرته في المنطقة وحوليها قصده كثير من الطلاب وشدت إليه الرحال، ثم أحضر علي نفقته الخاصة كثيراً من العلماء للتدريس، وكان منهم علماء من الشناقيط من موريتانيا، وقد تخرج علي يديه كثير من الحفظة والعلماء.

كانت طريقته ونظرته للتصوف متقدمه على المألوف في ذلك الزمان حيث كانت تناقض الكبرياء والأنانية وحب الدنيا والمال والتزلف إلى السلاطين والأعيان، بل شنها حرباً على تعدد الطرق والطوائف التي كانت قد تأثرت بسيطرة الأحزاب السياسية، ودعا لوحدة الطريق إلى الله حيث أن التعدد يفرق ولا يوحد و كان يدعو تلاميذه وأحبابه بإخواني الفقراء إلى الله. وسميت زوجته بأم الفقراء ثم بعد وفاته عرف تلاميذه بالعجيمية نسبة إلى السجادة العجيمية التي أسسها.

وقد أبرز العارف بالله السيد العجيمي رضي الله عنه في كل هذه المؤلفات المتنوعة عبقريته ومقدرته الفائقة وتمكنه من زمام اللغة، فضلاً عن ذلك العلم اللدني الذي أكرمه الله به، متخذاً من هذه اللغة وسيلة لنشر المباحث الإسلامية، ففي قصائده نجد الدعوة لوحدة الصف ولتمكين العقيدة وتصفيتها مما علق بها من شوائب ودعوة إلى ممارسة العبادات وفعل الطاعات ومراعاة الله في السر والإعلان، وفي جانب المعاملات وصلة الأرحام إعماراً للعلاقات الأسرية وخارج نطاق الأسرة بين كافة أهل الله نبذاً للفرقة المضلة والدعوة إلى مجتمع الوحدة والتآلف والفضيلة والمحبة.

ولهذا الصوفي الزاهد مؤلفات في علم السلوك منها: كامل الأنوار، وجواهر الأصول في ذكر أهل البيت، وحزب أسماء الله الحسنى، وله ديوان شعر ومنظومة في آداب السلوك والتائية.

توفي الشيخ محمد على العجيمي ببلدته البرصة في العام 2591م وهي القرية التي أصر على المقام فيها وعدم مبارحتها، ليواصل أبناؤه من بعده المشوار على ذات الطريق وأختهم رقيه معهم، لتبقى خلوتهم بالبرصة منارة للعلم، مشتعلة نار القرآن فيها، ومتسعة حلقات الذكر والمدارسة.

85- محمد علي. البرصة احتفال الطريقة العجيمية بذكرى شيخها. على الرابط 61/ten.abokarla.www://sptth
%8D%18%9D%AA%8D%DA%8D%7A%8D/%12206

علم الاجتماع الديني. قال لنا: والده رأى هجرة الرجال إلى المدينة طلباً للعمل في حين تركوا زوجاتهم من خلفهم في القرية. وخاف الفقير على دين النساء وقوامهن النفسي في إثر اغتراب الرجال. فأخذ يجتمع بهن يرشدهن في دينهن ويصبرهن على بعد من كن يسكن إليهم. ويسليهن بذكر الله والعبادة. ولما رأى خصومه جلوسه زي النساء على غير العادة عدوه باطنياً موبوء يطلب الجنس بذرائع الدين. وكان ذلك اختلاقاً يائساً. وقال لنا شيخ عبد الباقي: إن النساء كن أفضل حيران الفقير ديناً وخلقاً. وكن السبب في تجنيد بعولتهن إلى الطريقة. فلما عاد الرجال إلى القرى في الإجازة وجدوا زوجاتهم وقد بلغن في الدين وأدب الزوجية مبلغاً عالياً. وكان العم عطا المنان جَلَّابْ، والد الصديق العتيق سيد أحمد وإخوانه، ومن أولئك الذين سلكوا طريق الفقير إجلالاً لزوجاتهم.[86]

النساء وجدن الطريق ممهداً وميسوراً إلى دائرة السيد محمد علي العجيمي الذي منح قضية تنوير الْمَرْأَة حظاً كبيراً من الاعتناء حيث كانت للمرأة مكانة في مجلسه خلاف ما هو شائع في حقبة الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي، في وقت كان أمر الدين والتَّصَوُّف يكاد يكون قاصراً علي الرجال لوحدهم. وقد أثار اعتناء السيد العجيمي بعض اللغط في ظل مجتمعات محافظة لم تألف شهود الْمَرْأَة لمجالس الذكر، بيد أن العجيمي مضى في مسعىً لتنوير الْمَرْأَة والارتقاء بها غير عابئ بالشبهات التي درج مناوئوه على إثارتها في وجه الطريقة العجيمية من حين لآخر، وقد كانت الْحَرَمْ والفَخْرِتَاجْ وما سواهن من النساء من ضمن العديدات اللائي تشربن بمحبة الطريقة العجيمية ونهلوا من معينها[87].

86- عبد الله علي إبراهيم. الشيخ العجيمي: الفقير والنساء في مجتمع القرى التي بلا رجال. مقال منشور بتَارِيخ 2/أغسطس 1202م على الرابط http://alsudanet.com/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE-

87- فتح الرحمن القاضي. في رثاء الاختين الحرم والفخر تاج المدني حجر. على http://www.facebook.com/778632145592718/posts/126966941315553/



قبة الشيخ محمد علي العجيمي- البرصة- ريفي مَرَوِيْ

الشَّيْخ محمد الصابوني 1898–1984م:

ومن الذين أولوا تَعْلِيم الْمَرْأَة مكانة كبرى في مسيرة منهجهم الصُّوفِي الشَّيْخ محمد الصابونابي (1898–1984)[88]. وعن اهتمام وحرص الشَّيْخ على ضرورة وأهمية

88-ولد رضي الله عنه في سنة 8981م بقرية أم الطاهر جنوب سِنْجَةْ في رحارح مَسِيد أبيه الشَّيْخِ أحْمد الصابونابي حيث العِلْم والقُرْآن والإرشاد، فحفظ القُرْآن الكريم في صباه ثم أقبل على العلوم الدينية الأخرى دراسة وفهماً، كما أنه كان يجالس العُلَماء ويتلقى عنهم عند ذهابه إلى الحرمين الشَرِيفين، علاوة على أن بعضاً من علماء المغرب العربي كانوا يأتون إلى مَسِيد الشَّيْخِ الصابونابي يتدارسون معه علم العربية والعلوم الشرعية الأخرى، ويجلسون معه فترات طويلة. أخذ الشَّيْخِ رضي الله عنه العهد – مبايعة الطريق- على يد والده قبل أن يبلغ سن العشرين في الطريق السَّمَّاني.

وقد بدأ الشَّيْخِ مُحَمْد الصابونابي رسالته من داخل المسجد، حيث قام بتحفيظ القُرْآن الكريم في المسجد وخَرج عدداً كبيراً من الحفظة، كما كان له باع كبير في تدريس العلوم الإسلامية الأخرى مثل علم التجويد والفقه والتوحيد والتَّصَوُّف والنحو. وقد كانت له معرفة تامة باللغة العربية، لذا كان مسجده عامراً بالقرآن، وإقامة الصلوات ودراسة العلوم وليالي الذكر والإنشاد الديني الذي قام به كنهضة جديدة من خلال تأليفه للمَدائِح النبوية علي روايات مختلفة.

شغف الشَّيْخِ منذ صباه بحب النبي صلى الله عليه وسلم، فبث ذلك في مَدائِحه ذائعة الصيت والتي ابتدأ نظمها في صباه،

تَعْلِيم الْمَرْأَة تحكي ابنته الصَّالِحَة الشَّيْخة والمعلمة حاجة لَيْلَى وتقول: «كعادة اهْل التَّصَوُّف بالسُودَان وحرصاً منهم على استمرار نشر الدين بالدعوة إلى الله، فيقوم الشَّيْخ بنفسه أو من يثق في معرفته ومقدراته ورسوخه في العِلْم المحدد، ليقوم بتلك المهمة المقدسة قام والدنا الشَّيْخ محمد الصابونابي بتَعْلِيمنا أنا وإخوتي وأخواتي، ابتداءً بالقُرْآن وعلوم أخرى. درست القُرْآن على والدي في سن مبكرة، وكان له اهتمام خاص جداً بتَعْلِيم البنات. فمن اللائي حفظن على والدي أخواتي وكذلك والدتي كانت من الحافظات، ثم تتابع تأهيلنا على يد الوالد لندرس عليه العلوم الأخرى، بعد القُرْآن كالفقه والتوحيد والسيرة. حتى أن ولدنا الشَّيْخ كان حافظ المعلقات السبعة ويقول أنها أصل لغة العرب ومن لايعرفها لايدرك معاني القُرْآن. والتَعْلِيم الديني المبكر في حياتنا من قبل الوالد كان أساساً لمواصلة رسالة المِسِيد التي تهدف لإصلاح الناس وإرشادهم للحق، وكان الشَّيْخ قدوتنا في ذلك[89].

ومن خلال تأهيل الشَّيْخ لنا علِمنا وفهِمنا أن الشَّيْخ يعدنا لمرحلة قادمة لنواصل بعده المشوار في تحمل رسالة المِسِيد، وقد كان ذلك بعد رحيل الشَّيْخ في العام 1984م، حيث وجدنا الحاجّة ماسة لنشر وتوصيل كل ما عرفناه من معارف

وقد جارى في بدايته شعراء المِدائِح الذين اشتهروا بمَدائِحهم في ذلك الحين من أمثال: حَاجَ الماحي وأبو شريعة وقَدُّوْرَةْ وغيرهم، ثم ابتكر فناً جديداً ولوناً آخراً وهو مجاراة أغاني الحقيبة، وألف في كل ديواناً منفصلاً، يعرف الأول بديوان مَدائِح ٱلطَّارْ وهو الذي جارى فيه شعراء المِدائِح السابقين، والآخر هو ديوان مَدائِح الرِّقْ وهو الذي جارى فيه أغاني الحقيبة. كما نظم آخر في الوعظ والإرشاد على طريقة ٱلدُّوْبِيْتْ المعروفة، وله ديوان آخر تعرف قصائده بـ (السفائن). ألف الشَّيْخِ محَمْد كتباً كثيرة من ذلك كتاب الدر الجمان، إيماننا بالله في التوحيد ومنظومة تتعلق بالطلاق والعقد وكتباً في الفقه والمواريث والحديث وعلوم القُرْآن وصيغ متعددة في الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم.

تعتبر المِدائِح عموماً وسيلة فعالة الإرشاد الناس وتوعيتهم، ولقد كانت لمِدائِح الشَّيْخِ محَمْد الصابونابي دور كبير في إرشاد الناس وتبصيرهم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وشمائله، هذا إلى جانب الإرشاد المباشر الموجه إلى الأتباع والمريدين في الأعياد والمناسبات المختلفة، وقد أسلم على يده من الوثنيين من قبائل جنوب النيل الأزرق، وأصبحوا هداة إلى الله تعالى في تلك الجبال. كما أنه كان هنالك كثيرٌ من الأشخاص انتفعوا بمجالسته، ونهلوا من علمه الغزير فأصبحوا صالحين مصلحين انتفع بهم الناس. وقد أسلم على يديه الكثير من الوثنيين وخاصة بمنطقة جبال ٱلْأَنْقَسَنَا، وقد أسهم مساهمة فعَالة في نشر الدعوة الإسلامية في تلك الجبال، التي تقع غرب مدينة ٱلدَّمَازِين، وهي منطقة تداخل لغوي يتحدث سكانها بلهجات مختلفة، ويدينون بالوثنية.

انتقل الشَّيْخِ محَمْد إلى جوار ربه في سنة 4041هـ الموافق 4891م بعد أن خلف سيرة عطرة وترك أبناء وأتباعاً ساروا على نهجه ودربه وصدق شاعره إذ يقول:

شيخ الطريقة والحقيقة والوفاء ... سجلت أشياء فلن ننساها

مناها مَدائِح ونشر طريقكم ... ومناقب أخرى حكينا سواها

(المصدر: الطريقة السَّمَّانية المنهج التَارِيخ والمستقبل للدكتور عبد الجليل عبد الله صالح)

89- النعيم محَمْد الهادي الصابونابي. سيرة الشَّيْخِة الأُسْتَاذْة والشاعرة لَيْلَى محَمْد الصابونابي. 2202/9/1م.

وعلوم، خصوصاً القرآن لمن يحتاجونه، وهذا امتداد طبيعي لرسالة الشَّيْخ في مجال الدعوة. وقد كان توجيه الشَّيْخ المباشر لِي للاهتمام بتَعْلِيم الْمَرْأَة وبث المعرفة والعِلْم والدين وسط مجتمع الناس»[90].

فخلوة القُرْآن للنساء كنمط تَعْلِيم حديث لم تألفه الْمَرْأَة من قبل ولا توجد خلاوي للنساء لتَعْلِيم القرآن، فكان الشَّيْخ محمد الصابونابي من السباقين في هذا الجانب، فحرصاً على تَعْلِيم بناته وبنات التابعين للشَّيْخ (الراغبات) بدأ ينداح تَعْلِيم القُرْآن لِلْمَرْأَة، إلى أن قامت خلوة النِّسَاء لتحفيظ القُرْآن الكريم تديرها الشَّيْخة ليلى الشَّيْخ بأمر من والدها ومباركته لذلك. وانطلقت المسيرة قوية ورأت النور وأصبحت مثلاً يحتذى به، بل نموذجاً يصلح تطبيقه في المجتمعات الريفية. كانت للخلوة إسهامات واضحة وتحول متطور ونتائج لا تخفيها العين في مجال نشر القُرْآن وعلومه، وقد بلغت جمعيات القُرْآن الكريم والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة جمعية، وهي تؤدي عملاً ممزوجاً متعدد الأغراض، ديني ودنيوي (تحفيظ ونشاطات مدرة للدخل) ومن هذا التوضيح اتبعت وسائل مختلفة لنشر المنهج الدعوي.

وكان الشَّيْخ محمد الصابونابي يعلمهن مع حفظ القُرْآن الشجاعة الأدبية، وذلك بنظم المدِائح وعرضها لبعضهم البعض في شكل دائرة. وجهد الشَّيْخ محمد الصابونابي مع بناته التسعة ليتمكنَّ من حفظ القُرْآن الكريم، وقد حفظ منهن بتول الشَّيْخ محمد، والزلال الشَّيْخ محمد. والائي ختمن، جلالة الشَّيْخ محمد، وليلى الشَّيْخ محمد. أما بقية أخواتهن فقد حفظن أجزاء من الكتاب الكريم. واللائي ينظمن الشِّعر من بنات الشَّيْخ محمد أربعة، وهنَّ جلالة الشَّيْخ – لها ديوان مطبوع غير منشور – وكذلك نوال الشَّيْخ وبركة الشَّيْخ، لديهن مؤلفات من الْمَدِيحِ أيضاً لم تنشر بعد[91].

90-المصدر نفسه.

91-المصدر نفسه.



الشَّيْخ محمد الصابونابي 1898-1984م

عَبْدَ الرَّحِيمِ البرُعِيّ(1923–2005م):

ومن رِجَال المنهج الصُّوفِي في البِلاد في عصرنا الحديث والذي قام بدور رائد ومشهود تجاه قضايا الْمَرْأَة، من حث على التَعْلِيم، الزواج والعفة، ومحاربة بعض العادات الضارة بصحتها وحياتها، الشَّيْخ عَبْدَ الرَّحِيمِ البرُعِيّ الكردفاني[92].

-في السبعينات دعا الشَّيْخ البرُعِيّ لعقد مؤتمر في مقر إقامته بالزريبة بالتعاون مع كلية الطب جامعة الخرطوم. كان هدف الشَّيْخ البرُعِيّ والفكرة الأساسية من وراء المؤتمر محاربة بعض العادت الضارة للبنات خصوصاً (الختان)، وقد عُقد بمساعدة

92-ولد الشَّيْخِ عَبْدَ الرَّحِيمِ البرُعِيّ بقرية اْلزَّرِيبَهْ التي تقع في منتصف خريطة السُودَان الجغرافية وتتبع لولاية شمال كردفان وتقع شمال شرق مدينة الأُبَيِّضْ وتبعد عنها حوالي 001كلم، كما تقع جنوب غرب مدينة الخرطوم وتبعد عنها حوالي 003كلم. ولد عام 3291م. من أب ينتمي لقبيلة الْكَوَاهْلَة القاطنة في ضواحي الْمَنَاقِلْ بقرية الشَّيْخِ عبود النصيح. وأمه من قبيلة الجعليين، تنحدر من سلاله الشَّيْخِ سلمان العوضي بضواحي شَنْدِيْ. قرأ القُرْآن على يد الشَّيْخِ ميرغني عبد الله من أبناء الجعلين، بعدها جلس لدراسة العِلْم على يد والده الشَّيْخِ مُحَمْد وقيع الله. كان والده عالماً بارعاً حفظ القُرْآن وقرأ على يد كبار علماء عصره، وكانت تأتيه أمهات الكتب من كبرى دور النشر بالقاهرة وبيروت ودمشق، وكان وقتها يطبع اسم الشخص المرسل إليه الكتاب على ظهره بماء الذهب. كان والده الشَّيْخِ مُحَمْد وقيع الله داعياً إلى الله وفق المنهج الصوفي الذي تربى عليه في كنف الطريقة السَّمَّانية التي أخذها وتلقى آدابها على يد العارف بالله الشَّيْخِ عمر الصافي شيخ الْكرِيْدَهْ. بعد وفاة والده في العام 4491م، ولي الخلافة وعمره واحد وعشرون عاماً. في الستينات أنشأ المعهد العِلْمي بالأضافة لخلوة لتحفيظ القُرْآن الكريم. في عام 0791م افتتح المعهد العِلْمي بالزريبة رسمياً وبدأ في تدريس الطلبة. أبونا البرُعِيّ يقرض الشِّعر في شته أبوابه وفنونه، وشعره في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والوعظ والإرشاد ومحاربه نزوح الشباب إلى المدن وشتى نواحي الحياة، وقد اشتهر أبونا الشَّيْخِ البرُعِيّ بغزارة إنتاجه من المدائِح النبوية الشَرِيفة التي وجدت إقبالاً واستحساناً في السُودَان والوطن العربي. ولشيخنا الجليل كتاب آخر منظوم بعنوان «هداية المجيد في علوم الفقه والتوحيد». أقام أول زواج جماعي بالزريبة في عام 3691م بواقع 361زيجة، وكان المهر وقتها عشرة جنيهات للبكر وخمسة للثيب، ومن ثم توالى قيام برامج الزواج الجماعي التي رعاها الشَّيْخِ وامتدت لتشمل كافة مناطق السُودَان، ووصلت لعدد 0005 ألف زيجة في آخر زواج جماعي أقامه الشَّيْخِ رحمه الله عليه. نال أبونا الشَّيْخِ البرُعِيّ الدكتوراه الفخرية من جامعة الجزيرة، ومن جامعة أمدرمان الإسلامية عام2991م. لشيخنا البرُعِيّ مشاركات خارجية سواء على المستوى العربي أو العالمي في المؤتمرات أو المناسبات الدينية. لقد انتقل أبونا الشَّيْخِ البرُعِيّ إلى ربه شهر فبراير عام 5002م وخلفه ابنه الشَّيْخِ الفاتح. (المصدر: 118419572206803/stsop/923643944026701/moc.koobecaf.www//:sptth

بعض الأطباء بالإضافة إلى طلابهم من الكلية المعنية. لدعم هذا الاتجاه نجد أن الشَّيْخ في أحاديثه، خطبه، علاوة على أشْعاره شديد الحرص التطرق لقضايا الْمَرْأَة، وهو في هذا وقف مدافعاً وداعماً لها[93].

وعن دور مولانا الراحل المقيم الشَّيْخ «البرعي» تجاه قضايا الْمَرْأَة، تقول الشَّيْخة جميلة عوض:» إن أبانا البرُعِيّ كان يقف دائماً مع الْمَرْأَة ويؤيد النِّسَاء ويرفع من قدرهن، ويتبادل معهن الحديث بتواضع شديد كعادة آبائنا المشايخ، وظل شيخنا يكرم الْمَرْأَة لأنه يحس بعظمتها كإنسانة، وفي مَدائِحه يوصي بإكرامها وتَعْلِيمها أمور دينها، كما يدعو لعدم ختانها في مقطع يقول فيه:

قَــطْ لا تَخْتِنُوْهِنْ   والْدِّيْنَ الْحَنِيْفْ عَلِمُوْهِنْ
وَمَا تَلْبَسِيْ اْلضَّيِّقْ   واطْــرِيْ الْقَــبُـرْ ضَيِّقْ
والْــمَرْأَةْ لَــوْ قُــرَّةْ في العِيْنْ
لا بُدَّ مِنْ تَعْرِفْ عُلُوْمَ اْلدِّيْنْ

وأضافت: الإنسان السُودَاني لا يحتاج للتعريف بالشَّيْخ «البرعي» وإسهاماته الجليلة في مناصرة قضايا الْمَرْأَة المسلمة»[94].

الزواج الجماعي:

ومن أوضح ملامح اهتمام الشَّيْخ البرْعِيّ بقضايا الْمَرْأَة هو تبنيه تزويج الأيامى أو ما عرف باسم «الزواج الجماعي»، فالشَّيْخ البرْعِيّ كان يرى أن الْمَرْأَة هي من المواقع التي يؤتى منها المجتمع، فلا بد من تقوية تَعْلِيمها الديني وأمر عصمتها، لذلك تحرك البرْعِي فيّ اتجاه تعزيز وتسهيل أمر الزواج بصورة عامة، بل شرع في إقامة المناسبات الجماعية الزواج المدعوم وقد ساهم في ذلك كثير من أهْل الخير خاصة عندما أصبح الأمر ظاهرة وبدعة حسنة، بدأ الأمر بسيطاً في بوادر عهد البرُعِيّ في الستينات بزيجات تجاوزت الـ160 زيجة وانتهى في خواتيم أيامه بألفية تربو على

93- 5002 yrteoP esiarP īfūṢ sih fo ygolohtnA nA :naduS fo i‘aruB .hilaS .lilagludbA
- 3291: برعي السُودَان: مختارات من شعر مديحه الصوفي. -naduS-iaruB/moc.nozama.www//:sptth
9D%-68%9D%7A%8D%FA%8D%88%9D%3B%8D%48%9D%7A%8D%-ygolohtnA
KDH25QL80B/pd/AA%8D%7A%8D%1B%8D%7A%8D%AA%8D%EA%8D%58%

94- الشَّيْخِة «جميلة»: أبونا «البرعي» كان نصيراً للمرأة!! مقال منشور في صحيفة المجهر بتَارِيخ 51-2-3102م على الرابط 6329/sevihcra/moc.rahgemle//:sptth

الـ5000 زيجة. كان أثر الزواج الجماعي ناجحاً إلى حد بعيد، رسَّخ أكثر وحدات بناء المجتمع الأساسية وهي الأسرة، وحدَّ كثيراً من تعرض الرِجَال والبنات إلى الفتن وقلل من المساحات التي يباح فيها الهوى لأصحابه،كما رسخ العمل كواجب لإعالة الأسرة الجديدة فتكاملت هذه الجهود لتصنع مجتمعاً مستغنيٍ قوامه الأسر الصَّالِحَة المهدية والمدعو لها بالبركة، ثم أنه زواج ميسور ومبارك في الغالبِ، وأنا أعرف عشرات الزيجات بين أبناء أخوتي وأهْلي، لم يتشرد أي طفل من أطفالها وهي الآن أسر مستقرة في بَارَا وفي الأبيض وفي الْبَانْ جَدِيدْ[95].

الْمَرْأَة في شعر الشَّيْخ عَبْدَ الرَّحِيم البرْعِيّ:

كانت قصائده تحمل دروساً في السيرة النبوية وتحض الشباب على العمل والأخلاق.عرف باهتمامه بالشباب والأيامي، وأقام حفلات الزواج الجماعي، وظل ينادي بتخفيض المهور ومحاربة العادات الضارة واحترام الْمَرْأَة وتقديرها[96].كُتبت المدحة التالية بمناسبة الزواج الجماعي المقام بزريبة الشَّيْخ عبد الرحيم البرْعِيّ رحمة الله، عليه فهو الدليل النبيه والمرشد الرباني والعارف العالم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والمصلح الاجْتمَاعيّ لكافة الإنسانِيَّة بوعظه ومدحه وعبقرية بساطة شعره الدارجي والفصيح، أترككم ونفسي مع تلك الدرر النفيسة نفعنا الله وإياكم بها.

(الَأيَامىْ)

الَأيَامىْ، الَأيَامىْ.... زِيْنَـتَ الَايَامَ

***

يا ربَّ الأَنَامَ ... صَحِّيْ الْقَلْبُهْ نَامَ

بالهادي الخِتَامَ ...وَاصْحَابُوْ الْكِرَامَ

***

كان خَيرَ الأَنامَ... أوصى بالْأيَامَى

والْضُّعَفَا اليَتَامى ... وأيضاً ذو الفِطَامةْ

95-جبريل الفضيل مُحمْد. قصة الاثر الاجْتمَاعيّ لابونا الشَّيْخِ البرْعِيّ في كردفان(3). على الرابط sseradus.www://sptth. 5660501/abokarla/moc

96- الشَّيْخِ عبد الرحيم البرْعِيّ محطة لابد من التوقف بها. على الرابط /3/draob/gsm/moc.enilnoesenadus://sptth lmth.2/nr/1545119611/gsm

***

قالْ مَنْ تَرْضُوْا دِيْنُهْ ... بِالإِسْلاَمْ يَدِيْنُ
الحـافِـظْ يَمِيْـنُـهْ ....ذُوْ خُـلُـقَاً أَمِـيْنُ

***

أسْرِعُوْا زَوِّجُوْهُمْ .....وَقَطْ لَا تْحَوِّجُوْهُمْ
بِالخَيْرْ تَوِّجُوْهُمْ ....كَيْ تَبِيْضْ وُجُوْهُمْ

***

شِيْنَاتْ أَشْطُبُوْهِنْ ...قَطْ لا تَرْغَبُوْهِنْ
بِمَشُوْرَةْ أبُوْهِنْ ... كُـــلَّ ٱلنَّاسْ أبُوْهِنْ

***

صافي حلالْ مَقُوْتِنْ طيِّبْ حَالِيْ قُوْتِنْ
دِلْكَةْ مَسُوْحْ زُيُوْتِنْ.. جُوَّهْ قَعَرْ بْيُوْتِنْ

***

أعْطُوْهِنْ أُجُوْرِنْ ..وَاْحْذَرُوْا مِنْ فُجُوْرِنْ
في ظُلُمَاتْ دُجُوْرِنْ تنْعَمُوْا في حُجُوْرِنْ

***

في الحالْ اِعْتَنُوْهِنْ.. بِالطِّيْبِ اِفْتُنُوْهِنْ
بالدِّيْنْ مَتِّنُوْهِـنْ ... قَـطْ لا تَخْتِنُوْهِنْ

***

بِيْ سُوْرَةْ تبَارَكْ .... ربَّنَـا جَادْ وُبَارَكْ
بِزَوَاجْنَا المبَارَكْ ... كَـمْ مَوْلُوْدْ مُـبَارَكْ

***

صَلَـوَاتَاً سريعةْ ... لِلْذَّاتَ الْـوَرِيْـعَـةْ
بُرْعِيْ نَظَمْ ذَرِيْعَةْ ... لِزَوَاجَ ٱلشَّرِيْعَةْ

قصيدة الزوجة المبروكة:

وبما أنه ظل مناصراً لِلْمَرْأَة فإن الشَّيْخ البرْعِيّ في هذه القصيدة المعنونة بـ (الزوجة المبروكة) نجده راح يعدد خصال هذه الزوجة التي وصفها بالمبروكة، وهي حاملة ومصدر لكريم ولجميل الصفات. تقول أبيات القصيدة:

احْفَظْ خِلّي نصفَ الدِّينِ.. بزواجك بذاتِ الدِّينِ
يا مالِكنا يوم الدِّينِ.. اسْتُر عرضي واحفظ دِيني
يسِّر لِيْنَا ذات الدِّين.. لِزَواج إخوتي في الدِّينِ

***

تلك الزوجةُ المبروكة.. المرغوبة ما متروكة
للزوج طايعَةْ بل مملوكة.. طيبة وخالصة ما مشروكة

***

البلد الأَمِين الطيّب.. يُخرج نبتُه صالحْ وطيّب
تهوى الزوج وليهو تطيّب.. كي يصبح نشيطاً طيّب

***

ذات إحسان أميرة وملكة.. سالِمْ جسمها مِن عِلكةْ
تهجاك بالروائح تلكَ.. العود والْمَسُوح والدِّلكةْ

***

دائماً تبتسِم في وَجْهُوْ.. تُرضيه في قفاهُوْ وُّوَجْهُو
فهيْ دِيْمَةْ قِبلَةْ وَجْهُوْ.. ترعاهُ زَيْ مِرايَةْ وَجْهُو

***

فهي شريكتو في حياتُو.. بل أنيستو في بياتو
بيها تنـمحي سيئاتـو.. أيضـاً تنصلِح نيّاتو

***

جاتْ مِن خِيرَةَ أَهْلِ بِلادها.. مَاهَا ذاتْ مُكُرْ وبَلادةْ
تحفظ نفسها وأولادَها.. بيتها ومالها وبِلادها

***

مهما دُمتَ لا تظلِمْها.. والدِّين الحنيف علِّمْها
مِن نُعماكَ لا تحرمهـــا.. وارعى حُرمتها واكرِمها
***

الـــــزواج من النبيْ سُنّة.. صدَّقنـــا بهِ وآمنّا
من النَّار وقايةْ وجُنَّة.. يسعد بي دخول الجَنَّة
***

قالْ رسولْنا خيرَ النّـــاسِ.. الأَعزب أشرَّ النّـاسِ
ساب الآخرة للموت ناسي.. ديمة مُجالِس الخَنَّاسِ
***

نحن أسقطْنا لِيْكَ الشَّبْكة.. والشّيلة المسبّبة شِبْكة
ثُمَّ الشنطة الجّابت ربكة... أحزن الشياطين أبكى
***

صلِّ يا مَنْ بِشَرْعُهْ يتوّج.. لِيْ مَن قوَّم المتعوّج
البرُعِيْ للبضاعة يروّج.. دايماً للأيامى يزوّج



الشَّيْخ عَبْدَ الرَّحِيمِ البرُعِيّ1923–2005م

الشيخ الشَرِيف أبوالقاسم محمد أحمد بانقا (ت.2021م):

والشيخ الشَرِيف أبو القاسم محمد أحمد بانقا (ت.2021م) تلميذ العارف بالله الشيخ عبد الباقي المكاشفي برفاعة لم يهمل جانب المرأة فكما اهتمَّ بتثقيف الرجل اهتمَّ أيضاً بالمرأة أيما

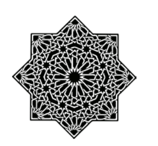
اهتِمام، فهي صنو الرجل في الحقوق الواجبات الشرعية، وهي مربية الأجيال وعليها مدار العصر واهتمَّ بها لأنها ألصق بتربية أبنائها من أبيهم لوجودها معهم في البيت جل الوقت، فحفظت في المسيد القرآن وعلومه المختلفة وتفقهت في علوم السنة والفقه والتوحيد وكل نشاطات المسيد الفكرية والاجتماعية والروحية فأصبحت لا تقل عن الرجل في شئ من علوم الدين والدنيا، ولها دورها الفعال في المجتمع كما نشاهده الآن، فهي لا تقل عن الرجل في شئ بل تزيد عليه في تربية النشء إن وجهت توجيهاً دينياً صحيحاً[97].

والشيخ الشَرِيف أبو القاسم وارث محمدي، ظل يرشد ويرقي في طريق الرجعى إلى الله الكثير والكثير ممن طرق الباب منشداً التسليك والإرشاد من الرجال والنساء على حد سواء. ولعل نوعية ممن سلكن على يده المباركة طريق القوم القادري المكاشفي برفاعة الكثير من بنات الطبقة المتعلمة والمثقفة من الأخوات اللائي تلقين تعليماً فوق الجامعي. وما يميز العديد منهن أنهن شاعرات مجيدات أتين بالروائع والدرر في مدح الجانب النبوي الشَرِيف، إلى جانب قصائد الرثاء التي نظمنها بكاءاً على رحيل مرشدهن الشَرِيف أبو القاسم (انظر الباب الخامس).



الشيخ الشَرِيف أبو القاسم محمد أحمد

97- سعد الدين منصور. الشريف أبو القاسم محمد أحمد بانقا سيرة ومسيرة. كتاب تحت النشر.



الباب الرابع

نماذج من رائدت الأثر الصُّوفِي في السُودَان

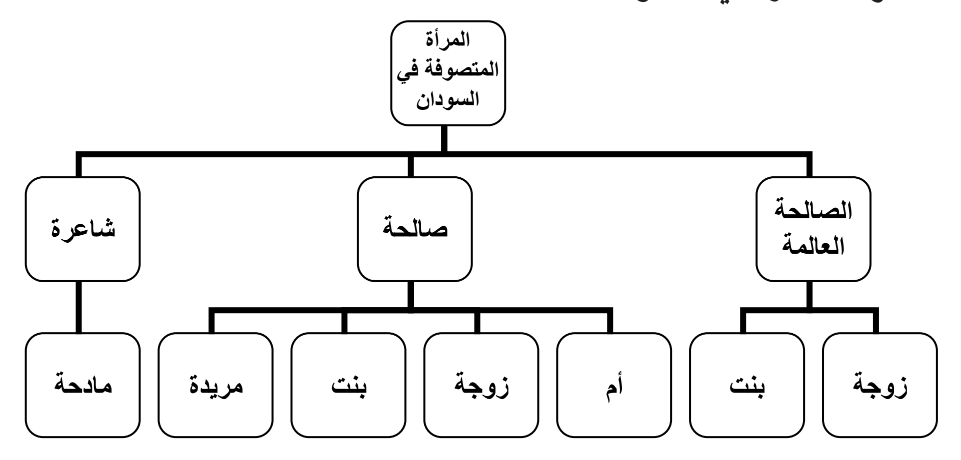
الْمَرْأَة الصُّوفِية في السُودَان:

يقول الباحث عبد الملك عُثْمَان: إن (الطرق الصُّوفِية تمنح النِّسَاء حقوقاً متساوية بالرِجَال، وتعتمد في ذلك على مقولة الشَّيْخ محي بن عربي «على الْمَرْأَة والرجل أن يشتركا في جميع المراتب حتى في القطبية»). ويضيف في ذات المنحى قائلاً:(لذلك نجد أن هنالك متصوفات سودانيات بلغن درجة الْوَلِي الصالح، ومصطلح «وليّة» عند الصُّوفِية لا يعني كما يعني في مجتمعات أخرى، امرأة خاضعة لسلطة ولي أمرٍ ما، بل يعنون بها وليةً صالحة، ولعل أشْهَر هؤلاء الشَرِيفة مَرْيَم الميرغنية التي لها مدفن يزار حتى اليوم في بلدة سِنْكَاتْ، في شرق السُودَان، وينظِّم لها مريدوها ومريداتها ذكرى سنوية (حولية) كبيرة».

ويشير عُثْمَان إلى أنه «بالنسبة للمتصوفة بشكل عام، والسُودَانيين منهم بشكل خاص، لا يوجد تمييز واضح بين الأتباع من الرِجَال والنِّسَاء. كل شخص يكافأ بكسبه، والمتَصَوْفة يَبدون أكثر تقبلاً لحضور الْمَرْأَة بينهم، وكثيرون منهم يجيزون إمامة الْمَرْأَة للصلاة، كما أن معظم المتصوفات يتعففن عن الزواج بل يذهبن إلى مراتب بعيدة، بأن يفنين أجسادهن في المسالك الصُّوفِية والارتقاء إلى الكمال الروحي، فلا يتزوجن ولا ينجبن، وإنما يعشن عزلة وخلوة». ويلفت إلى أن «الطرق الصُّوفِية تمنح النِّسَاء حق الإنشاد والغناء والابتهالات، وتحتفي بأصواتهن ولا تعتبرها كما السلفيين والمتشددين عورة، ولا تأبه كثيراً للحجاب، وتعتبره خيراً بحال الالتزام به، لكن لا تميّز

ضد غير المحجبات»[98].

الْمَرْأَة المتَصَوْفة في السُودَان:



كما في الشكل أعلاه وبحسب ما أرى يمكن تصنيف الْمَرْأَة المتَصَوْفة في السُودَان إلى ثلاث مجموعات على النحو التالي: الصَّالِحَة، الشَاعِرَة والمادحة. الصَّالِحَة تشمل (الصَّالِحَة العالمة وغير العالمة). فالصَّالِحَة العالمة ومن خلال الشخصيات التي وثقت لها شملت (زوجة لصالح أو بنت لرجل صالح). أما الصَّالِحَة من غير العالمة كانت (أم، زوجة، بنت ومريدة).

والمجموعة الثانية من الْمَرْأَة المتَصَوْفة هي الشَاعِرَة وفي ثنايا الكتاب هنالك شَاعِرَات مثلن أزواجاً لصالحين، كما شملت المجموعة الشَاعِرَة المريدة المنتمية للطريقة الصُّوفِية.

أخيرا فإن المجموعة الثالثة من الْمَرْأَة المتَصَوْفة كانت المادحة وفي غالب الأحيان قصرت هذه الفئة على مريدات للطريق الصُّوفِي.

إن تَارِيخ تَعْلِيم الْمَرْأَة في السُودَان قديم، وصحائف التَارِيخ تحدثنا عن سيدات سودانيات تعلمن في مدارس تحفيظ القُرْآن حتى أجدن الحفظ والتجويد، وواصل بعضهن الدراسة فتفقهن في الدين على مذهب الإمام مالك، وقرأن علوم العربية والتجويد والحديث. كان ذلك في عهد مملكة الفونج في القرن السادس عشر الميلادي، ولم يكتفين بالتَعْلِيم بل راح فريق منهن ينشئ المدارس لتَعْلِيم الصبية والفتيات، وكانت

98-عبد الجليل سليمان. الصُوفيَّة في السُودَان... كل الطرق تؤدّي إلى الله حتى الغناء والرقص. على الرابط ehcacbew://sptth. aes/moc.tnetnocresuelgoog

مدارسهن مختلطة تقبل الصغار من الجنسين[99].

ويتضح لنا أن الْمَرْأَة لم يقف حرصها على طلب العِلْم، بل تعداه إلى التضحية بالجهد والمال في سبيل نشر القُرْآن والعلوم. وفي كتاب (الطبقات) حكايات يسوقها المؤلف عرضاً تدل على أن الْمَرْأَة السُودَانية كانت تعرف قيمة العِلْم وتضحي في سبيل تحصيله أعظم التضحيات[100].

بروز هذه التجارب النسائية الفذة، أظهر الكثير من الإجحاف الذي كان على حقوق الْمَرْأَة، حتى إن الباحث الطيب محمد الطيب الذي عُرِف بلغة التلطيف والحياد في دراساته الشعبية، يقول بصريح العبارة:(ولكن المؤرخين ورواة التراجم المحليين بل والمجتمع السُودَاني كله ظلوا يغمطون الْمَرْأَة حقها). من مفارقات هذه الثقافة المتحيزة، أن يترجم للشَّيْخ، ولا تكتب سيرة صاحبة الخلوة التي تعلم فيها الشَّيْخ، كما هو الحال مع الشَّيْخة الفقيهة عائِشة بنت القدال، يؤرخون لتلميذها الشَّيْخ خوجلي أبو الجاز ولا يؤرخون لها!. الأمر نفسه مع الشَّيْخة بتول الغبشة، التي لم يترجم لها إلا عندما تناولوا سيرة ابنها الشَّيْخ هَجُوْ بن بتول. رغم ذلك فرضت نفسها كحافظة للقرآن ومجودة له، وتصدَّت للتدريس، وفي زهدها يقال أن لقب (الغبشة) جاء لخشونة جلدها؛ لأنها لم تأخذ بأسباب الترف ومنها استعمال الدهون للزينة.

أعداد كبيرة من النِسَاء فرضن أنفسهن، رغم الصعاب الاجْتِمَاعيّة والثقافية، يقرأ ذلك في التراث الشفاهي لكل مناطق السُودَان.أما في التَارِيخ المدون، فحتماً هناك أعداد هائلة طواها النسيان، وذلك، إما لضغوط ثقافة الذكورة أو لأن التوثيق نفسه شحيح في تلك الفترة الباكرة .

مما ينقل هناك، نختار نماذج منهن رغم أن السلسلة طويلة، إلا أن الوقوف على بعض التجارب، قد يلقي بعض الضوء على مجاهدات الْمَرْأَة.

تَارِيخ السُودَان مليء بالنِّسَاء الصَّالِحَات والمتصوفات سليلات بيوتات العِلْم والمعرفة على الرغم من أن المصادر الصُّوفِيةلم تفرد لهن أبواباً أو تراجم بذاتها بل جاءت أخبارهن مضمنة إلى سيرة الرِجَال الصالحين، ما إذا كانوا أباءاً، أزوجاً، أو

99- مقرر اللغة العربية (المرحلة الثانوية). وزارة التَعْليم العام، المركز القومي للمناهج والبحث التربوي، بخت الرضا، 8002، ص 39.

100-

أبناءاً. غير أن المصادر الشفهية تزخر بسيرة الكثير والكثير منهن.

وفي السُودَان بات التَّصَوُّف ظاهرة اجتماعية، هو أمر يستدعي التساؤل أين دور الْمَرْأَة المتَصَوْفة مع الحركة داخل المسايد وتكايا. وبما أن كتب التَارِيخ وسير الصالحين لم تسجل بشكل تفصيلي عن اسهاماتها في الخدمة داخل التَّكَايَا من الصباح الباكر وحتى الأوقات المتاخرة من الليل، إلا أنها ذات حضور قوي، بل أن كل تفاصيل الإكرام للحيران والضيوف الذين يقصدون المِسِيد نجده يقع على عاتق الْمَرْأَة خصوصاً في الماضي القريب، قبل دخول التكنلوجيا وأجهزة إعداد الطعام والشراب الحديثة.

الْمَرْأَة هى أساس التَّصَوُّف؛ إذ أنهن يعلمن الأبناء الفكر الصُّوفِي فضلاً عن أنهن يقمن بإطعام الطعام لمريدى الطرق فى الفعاليات كالاحتفالات وحلقات الذكر ويعتبرن مربيات الأجيال على المنهج الصُّوفِي.

لم يكن زهد هؤلاء النسوة أو تصوفهن محض تقليد أو تجريب، وإنما كان نابعاً من إيمانهن القوي الحق، وثبات شخصيتهن، فكان عن ذلك بطريقة أدبية، عن طريق الشِّعر والأمثال والحكم، من شدة حبهن لله وزهدهن في الدنيا»[101]

بنات «أبو دنانة» الصَّالِحَات السبعة:

أنجب الشَرِيف حَمَد أبودنانة بنات صالحات أنجبن بدورهن أولياء صالحين ساهموا وبحد كبير في تشكيل ورسم خريطة السُودَان الروحية والعِلْمية، هؤلاء الصَّالِحَات هن:

السَّيِّدة آمِنة: والدة الشَرِيف محمد سوار الذهب.

السَّيِّدة حليمة: والدة الشَرِيف عبد الله الأغبش.

السَّيِّدة هدية: والدة الشَرِيف عمر وَدْ بلال جد العُمَرَابْ.

السَّيِّدة رابعة: والدة الشَرِيف شرف الدين بالزيداب.

السَّيِّدة عائِشة: والدة الشَرِيف عجيب الْمَنْجُلُكْ.

السَّيِّدة صبحة: والدة الشَرِيف إدريس وَدْ الأرباب.

السَّيِّدة مكة: والدة الشَرِيف وَدْ عبد الصادق ساكن الْمُنْدَرَةْ بشرق الجزيرة. وله ولد واحد هو الشَرِيف حسن البيتي، ذريته منتشرة في الخرطوم ودنقلا. بقية الشيوخ

101- محمد عايد صالح العكيدي. أدب النساء الصُّوفِيَّات في العصر العباسي دراسة موضوعية وفنية. جامعة آل البيت كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية وآدابها، 6102، ص-8.

أمهاتهم من ذرية بنات الشَرِيف حَمَد أبو دنانة[102].



امرأة في ساعة ابتهال ودعاء

بتول الغبشا بِتْ الشَّيْخ بانقا الضرير:

تنتمي السَّيِّدة بتول الغبشا إلى أسرة اليعقوباب، وهي واحدة من أعرق وأشْهَر العائلات السُودَانية التي عرفت بالصلاح ونشر الدعوة في البِلاد على المنهج الصُّوفِي امتداداً من دولة الفونج وحتى تَارِيخ اليوم. واليعقوباب نسبة إلى يعقوب بن الشَّيْخ بانقا الضرير، ويعقوب هذا هو شقيق للسيدة بتول الغبشا، الشخصية المراد التوثيق لها.

هي إحدي ابنتي الشَّيْخ بانقا الضرير (كريم الضيف) - ثاني رجل يأخذ الطريقة اَلْقَادِرِيَّة على يدي الشَّيْخ تاج الدين البهاري عام 1577م - وابنته الثانية هي زينب نقاوى أم الشَّيْخ «عبد الرازق أبو قرون».

ورد اسم السَّيِّدة بتول الغبشة في طبقات وَدْ ضيف الله في ترجمة الشَّيْخ بانقا الضرير:(ويكفي في ذلك تربيته لابنه يعقوب وبتول بنته)، والمرة الثانية في ترجمة هَجُوْ وَدْ حماد ابن بتول الغبشة.

والدها الشَّيْخ بانقا وهو محمد بن الشَّيْخ موسي أبو دقن، الذي وفد إلى منطقة

102- cipot-122t/moc.7ooy.aibarbakm://sptth

سنار سائحاً من الأقليم الشمالي، وأمه بنت ملك الفونج المعروف عمارة دنقس. توفي الشَّيْخ موسي وكان ابنه محمد في السابعة من عمره بعد أن ترك وصيته في حال وفاته أن يوضع نعشه في مركب ثم يتركوها تسير لغايتها، وتم تنفيذ الوصية، وعند وصول المركب إلى الشمالية توقف المركب ودفن الشَّيْخ هناك في منطقة كَنُّوْرْ ورجع ابنه إلى سنار[103].

وقد ورد ذكرها في نساء رائدات في السُودَان، كانت عالمة زاهدة في الدنيا تدل صفتها على زهدها في الدنيا، حفظت القُرْآن على يد والدها، ودرست العِلْم على يد أخيها الشَّيْخ يعقوب بن الشَّيْخ بانقا الضرير، أقامت الخلاوي ودرست العِلْم، وأنفقت في سبيل الله، وأوقفت الأراضي لوجه الله سبحانه وتعالى، ظهر صلاحها في ابنها الشَّيْخ هَجُوْ أبقرن.[104]

قال خلفاء اليعقوقاب (لسونا) إن بتول الغبشا بنت بانقا كانت حافظة لعهد الله وحافظة لكتاب الله ومتفقهة في علومه، وقد قرأت في مَسِيد والدها «بَاَنَ ٱلنَّقَا»، وتفقهت في العلوم على أخيها الشَّيْخ يعقوب، وكانت تخط المصاحف الكريمة بيدها.

قال الشَرِيف حماد بن زين العابدين: كانت بتول الغبشا امرأة مستقيمة على بر وزهد وعلى عفاف وصيانة وعلى هدى وديانة ومعرفة بالله وحدوده... هذا ما عرفته عن ثقاة. أما ما يردد عن سياحتها وأكلها «الْقَرَضْ» و»السَّلَعْلَعْ» – نبات متسلق إذا التفَّ على شجرة أيبسها. انظر قاموس اللهجة والعامية في السُودَان للدكتور عون الشَرِيف – ورعيها الصيد فأنا لم أسمع به لا من والدنا ولا خليفته الشَّيْخ هَجُوْ، ولم أسمعه أبداً من ثقة، فهو كلام دراويش، وأنا لا أثبته ولا أنكره[105].

وقال الشَرِيف يعقوب بن زين العابدين (لسونا): إن الشَرِيف حماد بن عبد الله الحسني قد اتصل بالشَّيْخ «بان النقا»، وسلك عليه طريق القوم، وأن «بان النقا» زوجه ابنته بتول الغبشا فأنجبت له هَجُوْ المعروف بـــ (أب قرن).

جاء الشَرِيف حماد «الخفي» بن عبد الله الحسني حفيد الشَّيْخ عبد القادر الجيلاني

103- http://kaposhia.alhamontada.net/t2033-topic

104-عصام الدين مُحمَّد بانقا. الرازقية اليعقوباب (4)، مقالات منشورة على الرابط http://www.sudaress.com/alrihka/17001

105- وكالة السُودَان للأنباء (سونا)، أيام في مَسِيد ودبانقا. قسم التحقيقات. العدد رقم 110، الأثنين 12 جمادي الأولى 1400، الموافق 7 أبريل 1980م، ص30.

من المدينة المنورة، متخفياً في شكل سائح درويش، وقصد «بان النقا» في «الْوَعَرْ»، وقال:(جِيْتْ لِيْ أمانتي عِنْدَكْ). قال الشَّيْخ: نعم. وأرسل ابنه يعقوب فأحضر بتول الغبشا من سياحتها، وزوجها أبوها للشريف حماد الخفي، وكان مهرها أن تلى حماد الخفي آيات من كتاب الله الكريم.

وما كانت الغبشا تريد زواجاً حتى ولو من حماد الخفي حفيد الجيلاني، ولا تريد متعة (في دار الفناء)، وإنما تريد أن تظل بكل قلبها لله وحده، عابدة، قانتة سائحة في ملاذات ذكره. ولكن «بان النقا» أرغمها على قبول حماد زوجاً. وعندما دخل زوجها عليها فوجئ بها تتحول أمام عينيه المدهوشتين إلى أسد هصور فعاد أدراجه، وعندما دخل عليها في اليوم الثاني تحولت إلى مياه صارت ترتفع شيئاً فشيئاً حتى كادت أن تغرقه، فلم يجد بداً من النجاة بالخروج، وصارت تتحول أمامه كلما جاءها إلى حالات مختلفة حتى أكمل سبعة أيام، وعندئذ صارح الشَّيْخ «بان النقا» بأمرها، فقال لها أبوها: (لو كان ما تطيعي راجلك أسلب منك نعمة الإيمان)، ولا مفر من طاعة أمر الشَّيْخ، لأن إرادته نافذة فوق إرادة الجميع. ودخل عليها حماد الخفي وبنى بها، ولكنه لم يصبح ليله ذاك في «تبَاخَه» وإنما ساح في عبادة الله، ومن عجب أنه عند وفاته دفن في مكان قريب من قبر بتول الغبشا، ومكانها اليوم في منطقة «الحاجّ عبد الله» شمال سنار، وكانت تخط المصاحف[106].

و»الغَبْشَةْ»؛ لفظ يعني ألا يمس جسد المرأة شئ من الدهن أو الزيت أو ما يماثله من أسباب الترف والزينة. وكثرة استعمال الماء للوضوء جعل جسمها جافاً وأغبشاً، والغبشة تعني الزهد[107].

106-المصدر نفسه، ص-25.

107- cipot-3302t/ten.adatnomalha.aihsopak//:sptth



قبر السَّيِّدة بتول الغبشا– بقرية أْلدِّيْنِيْقِيْلَةْ– جنوب حاج عبد الله

زينب نقاوة بِتْ الشَّيْخ بانقا الضرير:

هي العبادة التقية الزاهدة والصَّالِحَة زينب «نقاوة» بنت الشَّيْخ بان النقا بن الشَّيْخ موسى أبو دقن. وهي شقيقة بتول الغبشا، وهما البنتان الوحيدتان للشَّيْخ بانقا.

يقول خلفاء اليعقوباب إن زينب «نقاوة» بنت بان النقا قد قرأت القُرْآن وعلومه على والدها، وتفقهت في علوم الدين على شقيقها يعقوب، وإن الشَّيْخ بان النقا زوجها لأحد مريديه؛ (حاج إدريس الرفاعي)، وأنجبت عبد الرازق «أبو قرون»، الذي نشأ وتربى وتلقى القُرْآن وعلوم الدين مع أبناء خاله مرزوق وموسى «أبْ قُصَّهْ» وحَمْدان وابن خالته هَجُوْ «أبْ قرن»[108].

والرازقية المعتزون إلى جدهم الشَّيْخ «عبد الرازق أبو قرون» حفيد بان النقا الكبير عبر والدته زينب نقاوة، وهؤلاء يتوزعون ما بين حوش بانقا وما حولها، كما لبعضهم سابق وجود فاعل بديار الفونج العظمى.[109]

عائشة بِتْ القدال:

الْمَرْأَة الصَّالِحَة العابدة والحافظة والمعلمة لكتاب الله والعالمة الفقيرة عائِشة بنت

108–وكالة السُودَان للأنباء (سونا)، أيام في مَسِيد ود بانقا. قسم التحقيقات. العدد رقم 011، الأثنين 12 جمادي الأولى 0041هـ، الموافق 7 أبريل 0891م، ص03.

109–عصام الدين مُحمْد بانقا. الرازقية اليعقوباب (4)، مقالات منشورة على الرابط /moc.sseradus.www//:sptth 10071/azhalrihka

الشَّيْخ الفكى محمد القَدَّالْ، تقف واحدة من أعظم رائدات التَعْلِيم الديني في السُودَان، حيث فتحت خلاويها لتدريس القُرْآن للبنات والأولاد على حد سواء. وهي قريبة الشَّيْخ خوجلي بن عبد الرحمن (1664–1743م) ومعلمته القُرْآن في طفولته، ولا علاقة لها بالشَّيْخ القدَّال بن إبْرَاهِيْم الفرضي الذي ينتمي إلى الفرضيين الذين كانوا يعيشون بمناطق المناقل وأم طلحة بغرب الجزيرة كما ذهب إلى ذلك مكمايكل مخطئاً، ووافقه على ذلك كل من يوسف فضل ضمناً، وكذلك عون الشَرِيف قاسم. فأولئك الفرضيون هم رفاعيون، بينما عائشة الفقيرة بنت ولد قدَّال محسية القبيلة، من محس توتي والخرطوم الكبرى. وهي خالة الشَّيْخ خوجلي علاوة على أنها كانت مربِّيته في صغره كما تقدَّم، لأنها ابنة الشَّيْخ خوجلي ولد قدَّال المحسي، بينما شقيقتها والدة الشَّيْخ خوجلي، هي ضَوَّة بنت خوجلي ولد قدَّال فيما بلغنا. وقد حدَّثني الخليفة الأُسْتَاذْ مجاهد أَحْمَد النور الزاكي التجاني، نقلاً عن النسَّابة الحاذق المعاصر أبي عامر الكنزي التوَّاتي، أنَّ عائِشة الفقيرة بنت ولد قدَّال، والدتها تسمى: «الرُقاقة بنت محمد الأرباب»، أخت الشَّيْخ إدريس ولد الأرباب، فهي ابنة أخته وهو خالها[110] .وقد كانت لها مدرسة فى النيل الأبيض لتَعْلِيم الأولاد والبنات[111] .

ورغم أن وَدْ ضيف الله لم يترجم لها ضمن علماء ذلك العصر، ولم يحدثنا عن ثقافتها، إلا أننا استناداً على نبوغ أحد تلاميذها وهو الشَّيْخ خوجلي نستطيع أن نطمئن إلى أنها كانت في مستوى معاصريها من العُلَماء...»[112]

أم مريوم بِتْ محمد القدال:

مَرْيُوْم تصغير مَرْيَم وهي، مَرْيَم محمد القدال، محسية الأم مغربية الأب، جدتها لأمها الشَرِيفة فاطِمَة بنت حَمَد أب دنانه، وأخوالها الشَّيْخ حسن وَدْ حسونة وإدريس وَدْ الأرباب. وكانت من أعلام عصرها، مشهورة بالتقى والورع. وفاقت شهرتها محيط موطنها جزيرة توتي ونيلين الجموعية، لما لها من مكانة وشرف وعلم. وبها لقب رضي

110–خالد فرح. عن غانَميْ الطبقات الكُردفانيينْ. 493521/elinadus/moc.sseradus.www//:sptth

111–sptth//:www.alrakoba.net/282415/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D9%8A%D8%AD%D9%84%D8%A9%D8%A3%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%A7%D8%AF%D8%AF%D8%A9%D8%B7%D9%84%D8%B9%D9%8A%D9%84%D8%A9%D9%8B%D8%A7%D9%84%D9%8B%D8%A8%D8%A9%D9%86%D9%8A%D9%88%D9%86-8%D9%86%D9%8A%D9%84%D8%A9%D9%8B%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A9%D9%85%D8%A9%D9%84%D8%A9%D9%8B%D8%A7%D9%85%D8%A9/

112–يحي مُحمْد إبْرَاهِيْم. تاَرِيخ التَعْلِيم الديني في السُودَان. دار الجيل بيروت، 7891م، ص312.

الله عنه. والده هو الشَرِيف محمد بن الشَرِيف علي بن الشَرِيف عمر بن ماضي.[113]

كانت مريوم متفقهة في علوم القُرْآن والعلوم الشرعية وكانت تعلم النِّسَاء بتوتي هذه العلوم. وأيضاً هي سليلة عائلة اشتهرت بالعِلْم والتَعْلِيم، وهي محسية سليلة المهاجرين الأوائل لهذه الجزيرة، والذين جاءوا خصيصاً لهذه المنطقة لنشر الإِسْلاَم وتَعْلِيم الناس تعاليمه وشعايره. وهذه المنطقة كانت تتبع لمملكة علوة المسيحية وعاصمتها سوبا شرق.

وولدت الفقيهة أم مريوم بعد قرن ونصف من مجي أسلافها. وممن اشتهروا أولاً من أسلافها الشَّيْخ إدريس وَدْ الأرباب جدها.

الشَّيْخ حَمَد سبق عصره من خلال تعامله مع تَعْلِيم الْمَرْأَة. اشتهر بأمه لأنها نشأت وتربت في بيت علم وصلاح، فهي امرأة متدينة، مجودة للقرآن، صالحة، وكانت عالمة درست وعلمت الكثير من النِّسَاء، وكانت لها مكانتها من ناحية أمها ومن ناحية أبيها، حيث كانوا رِجَالاً صالحين، لأجل هذا لقب الشَّيْخ بأمه[114].



الحاجّة مَرْيَم عابدين الحسن حفيدة الشَّيْخ ود أم مريوم

عائِشة بِتْ أبودليق:

تعتبر السَّيِّدة عائِشة بِتْ الشَّيْخ علي أبو دِلِيْقْ واحدة من أشْهَر صالحات

113- حفيد الشَّيْخِ حَمَد. المريوماب المنشأ والتَارِيخ التليد. على الرابط http://moryomap09.own0.com/t1-topic

114-المصدر نفسه.

السُودَان. هاجر والدها من اليمن واستقر بمنطقة تبعد حوالى 150 كلم شرق الخرطوم العاصمة، بعد أن تفقه وقرأ العِلْم على يد الشَّيْخ عبد الرحمن وَدْ جَابِر، وقد سلك طريق القوم على يد الشَّيْخ سلمان الطوالي. تعتبر عائِشة نموذجاً يقف دليلاً قوياً لقوة ومكانة الْمَرْأَة الصُّوفِية في تَارِيخ التَّصَوُّف السُودَاني. وقوة شخصيتها تتمثل في صلاحها وتقواها ورزانة عقلها ورجاحة الأمر الذي جعلها على دفة القيادة الروحية على مَسِيد أبيها الشَّيْخ على أبو دليق بعد وفاته. وإذا كانت القرون التي تلت القرن الرابع عشر، هي زمن ميلاد الثقافة السُودَانية الحديثة، أو(لحظة تبلورها)، فمركز الاهتمام كان منصباً آنذاك على الدعوة الدينية وإدارة الخلاوي. في هذا الجو الثقافي، خرجت نماذج نسائية شققن طريقهن وفرضن أنفسهن كأمهات مجتمع. يعدد الأُسْتَاذْ الطيب محمد الطيب، نقلاً عن كتاب (الطبقات)، أعداداً كبيرة من الأمهات الصلبات. والحقيقة الغالبة في هذه التجارب، هي أنهن استطعن أن يستثمرن نسمة حريات متاحة في بيوت آبائهن. ومنهن من أثبتت وجودها لدرجة إرباك الثقافة (الذكورية) السائدة في المجتمع. فعندما يُسأل مثلاً الشَّيْخ أبودليق عمّن يختار خليفةً له يقول لهم وهو في فراش الموت:(عاشة بنتي)!! وذلك رغم وجود ذكور في الورثة. لم يكن اختيار الشَّيْخ اعتباطاً، فقد ظل اسم الشَّيْخة عائِشة طاغياً على اسم زوجها حتى بعد ذهاب الشَّيْخ. اضطر المجتمع لإحداث معادلة، للتخلص من هذا المأزق بإطلاق اسم زوجها على نار القُرْآن، واعتبروها وقفاً على الشَّيْخة عائِشة بنت علي أبو دليق[115].

فالشَّيْخة عائِشة بنت الشَّيْخ أبودليق هي التي خلفت أبوها بعد وفاته دون إخوانها وتزوجت من الشَّيْخ بَدْوِيّ ابن أخ الشَّيْخ أبو دليق[116]. وولد منها (علي ـ النَّقَرْ ـ والشَّيْخ مضوي ـ عبد الله تاج الدين ـ ياسين) ونار الشَّيْخ بَدْوِيّ متوقفة عليها أي معتمدة عليها. وتوفي علي أبودليق ودفن بالنجفة وقبره ظاهر يزار[117].

-115

D%7A%8D%/85911/987654321/eldnah/maertstib/ude.hcetsus.yrotisoper//:ptth-116
D%7A%8D%BA%8D%48%9D%7A%8D%02%8A%8D%7A%8D%8A%8D%48%9
02%1B%8D%7A%8D%7B%8D%7A%8D%48%9D%7A%8D%02%98%9D%68%9
3=ecneuqes?fdp.02%A8%9D%1B%8D%8B%8D%68%9D%48%9D%7A%8D%

cipot-16t/moc.7ooy.bagled//:sptth -117

أبوديلق هو لقب لعم الشَّيْخ البَدْوِيّ لأنه كان يرتدي دِلِيْقْ، والدلق؛ هو الخرقة البالية (دُلْقَانْ)، وتصغيرها دليق[118].

وحادثة خلافة عائِشة أبوديلق لأبيها شبيهة بقصة تولي «لالة زينب» خلافة أبيها في الجزائر. كتب الباحث أمين أَحْمَد في دراسة له عن هذه التجربة الفريدة في التَّصَوُّف الإِسْلاَمي في العالم العربي ما يلي: «تعتبر زاوية الهامل القاسمية التي أسسها الشَّيْخ محمد بن أبي القاسم من أشْهَر الزوايا الموجودة في الجزائر نظير الأعمال التي قدمتها للمجتمع، في غياب شبه تام لسلطة فعلية تؤطر المجتمع وتهتم بحاجياته، وتنتمي زاوية الهامل للطريقة الرحمانية التي أسسها الشَّيْخ عبد الرحمان الأزهري. ولدت لالة زينب بقرية الهامل حوالي سنة (1268هـ/1852م)، وهي الابنة الوحيد للشَّيْخ «محمد بن أبي القاسم مؤسس زاوية الهامل. تعلمت القُرْآن وعلومه على يد والدها، ثم توجهت إلى الدراسات الشرعية فسمعت عن والدها شروح الصحيحين، وكتاب الشفا للقاضي عياض، كما درست التوحيد والفقه، وواصلت اطلاعها على أمهات الكتب الصُّوفِية كالرِّسَالَة القشيرية، إحياء علوم الدين، الحكم العطائية، فتكون لها بذلك رصيد معرفي في قضايا علوم الشريعة.[119]

ولقد عانت لالة زينب وحيدة أبيها محمد بن أبي القاسم ويلات التقاليد الاجْتِمَاعيّة المتوارثة التي كانت ترى في الْمَرْأَة الكائن العاجز عن تسيير شؤون الزاوية، فهي لا تحمل تلك القداسة الروحية والدينية التي قد يحظى بها الرجل باعتباره الزاهد والأقرب إلى التدرج في معارج الروحانية، وهي باعتبارها ذلك الكائن المدنس والأرضي الذي يدعوا إلى التشبث بالشهوة والجسد.

لكن نظرة والدها التي اختلفت على ما كان سائداً من ازدراء لدور الْمَرْأَة وحضورها ومكانتها داخل المجتمع، جعله يولي أهمية كبيرة إلى تربية ابنته على مبادئ الدين الحنيف وأخلاق الشريعة الإِسْلاَمية السمحاء، فتولى تَعْلِيمها بنفسه، ووفر لها معلم يحفظها ويعلمها تفسير القُرْآن الكريم.

118- ptth://www.wadmamdani.moc/vb/showthread.php?t=27818&page=8

119-أمين أحْمَد. حضور الْمَرْأَة الصُوفيّة في المجتمع الجزائري (لالة زينب نموذجاً). بحث منشور على الرابطptth://lagora-univ-oran2.org/ar%/D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9%D9%88%D8%AB%D9%A7%D8%A9%D9%81%D9%A7%D8%AB%D8%AB%D9%82%D8

وقد تولت لالة زينب بداية الأمر مفاتيح مكتبته الثرية لما لمسه منها من شغف متزايد بطلب العِلْم، بالإضافة إلى جرد أوقاف والدها الذي كان يطلعها على أهم أعماله ومنجزاته، كما تولت رعاية الأرامل والمطلقات المقيمات بالزاوية والذي بلغ عددهن أكثر من أربعين امرأة. لم تتزوج «لالة زينب» وسخرت حياتها خدمة للفقراء والمساكين، حيث تقول عن نفسها:» امرأة بكر، مرجوة الخير، موسومة عند العامة بالصلاح، تالية لكتاب الله، ذات عفة وصيانة، تنفق مالها في سبيل الله على ذوي القربى واليتامى».

وقد ترك والدها وصية يوليها من خلالها مشيخة الزاوية بعد مماته، حيث حكمتها لمدة سبع سنوات كاملة، حيث كانت الزاوية تمثل آنذاك أكبر مؤسسة دينية في المغرب الإِسْلاَمي. ومن كونها أول امرأة تتولى إدارة شؤون زاوية بهذا الحجم والمكانة فقد اعتبرتها الباحثة كلنسي سميث»CLANCY–SMITH» إحدى أبرز وجوه المقاومة الثقافية التي عرفتها الجزائر نهاية القرن التاسع عشر.

تولت مشيخة الزاوية بعد صراع مرير مع ابن عمها الشَّيْخ «محمد بن الحاجّ محمد "واستطاعت في النهاية أن تتغلب على مختلف العقبات التي وضعت في طريقها من طرف الإدارة الإستعمارية.

بوفاة الشَّيْخ «محمد بن أبي القاسم» برز في الأفق صراع كبير حول أحقية خلافته، فكانت ترى «زينب»ابنة الشَّيْخ أحقيتها في خلافة أبيها، بينما كان يرى ابن عمها « محمد ابن الحاجّ محمد» عكس ذلك، وأنه الأحق لمشيخة الزاوية، وتطورت القضية وتأزمت إلى أن وصلت للإدارة الفرنسية بما فيها مكتب الشؤون الداخلية والحاكم العام نفسه[120].

120-المصدر نفسه.



السيدة زينب القاسمية

عائِشة بِتْ الحاجّ عبد الله 1630–1710م:

هي التقية الصَّالِحَة عائِشة بنت الْوَلْي الكامل العارف بالله الشَرِيف الحاجّ عبدالله (1600–1680م) ابن الشَرِيف محمد ابن الشَرِيف علي القدوة، والتي ينتهي نسبها بالسَّيِّد عبد الرحيم القناوي المدفون في قِنَا بصعيد مصر. قدم والدها إلى السُودَان أيام الدولة السنارية داعيا إلى الله في العشرين من عمره، وقد كان شاذلي الطريقة. استقر الشَرِيف الحاجّ عبد الله بوسط السُودَان. فبعد أن قام بتاسيس دار له بالمنطقة أسس خلوة لتَعْلِيم القرآن. وبعد فترة من قدومه تزوج من السَّيِّدة آمِنة بنت الملك محمد الخليل من قبيلة الدباسيين، وأنجب منها ابنته الصَّالِحَة عائِشة، والتي بات يكنى بها (أبو عائِشة)، وقد رزق بمولود ذكر سماه محمد المجذوب إلا إنه توفي في صغره.

تزوجت عائِشة من ابن عمها الشَرِيف قناوي بن حسن الطيار (1620–1700م)، والذي قدم من قنا بصحبة أبيه إلى الشَرِيف الحاجّ عبد الله. ومن زواجهم المبارك كان قد رزقا بابن سمي بـ»صالح»، وصالح كان قد أنجب لاحقاً أربعة من الأولاد وهم: قناوي، دفع الله، النور ونورين. ومن هؤلاء الرِجَال الأربعة كانت ذريتهم

المباركة والمنتشرة في قرى: الدينيقيلة، الشَرِيف صالح، أبوسقرة، عمارة، الحاجّ عبدالله. والمعروف أن مدينة الحاجّ عبد الله الحالية الواقعة بين مدينتي سنار ومدني كانت قد تسمت عليه[121]. وتعتبر عائِشة أول من شيد قبة لوالدها الشَرِيف الحاجّ عبد الله.

تظل عائِشة بِتْ الحاجّ عبد الله إحدى النِّسَاء العابدات الصَّالِحَات القانتات الزاهدات اللائي حفظن كتاب الله وامتلأن بركة امتدت لأبنائها وأحفادها من بعدها[122].



قبة الشَرِيف الحاجّ عبد الله والد السَّيِّدة عائِشة – جنوب الجزيرة

121- الأَمِين حامد وعبد الجليل عبد الله. الحاجّ عبد الله الحياة والناس، كتاب تحت النشر.
122- المصدر نفسه.

أم حقين بِتْ الملك حماد 1747–1796م

ولدت هذه الْمَرْأَة العظيمة بحلفاية الملوك عام 1160هـ –1747م تقريباً. والدها الملك حماد من سلالة الملك سامكية أحد ملوك الجموعية، والدتها وناسة بنت الأرباب شمام العبدلابي من ذرية الشَّيْخ عجيب المانجلك المدفون بـ»قَرّيْ». وقد سميت أم حقين لأنها عزيزة النسبتين أماً وأباً. وقد ولدت الفكي الأَمِين وَدْ أم حقين عام 1185هـ.

والعلاقة بين العبدلاب والجموعية كانت علاقة متينة تمثلت في الشَّيْخ عجيب المانجلك والشَّيْخ حَمَد اْلنِّجَيّضْ بالجزيرة إسلانج، وقد بنى الشَّيْخ عجيب المانجلك للشَّيْخ حَمَد النجيض مسجداً بإسلانج. وهذه العلاقة المتينة بين الجموعية والعبدلاب تمثلت في تلك المصاهرة العظيمة بين والد الفكي الأَمِين وَدْ أم حقين محمد بن الأَمِين بن عدلان بن فرح بن باسكيل. وكانت نتيجة هذه المصاهرة المباركة الفكي الأَمِين وَدْ أم حقين الذي كان له فضل السبق في نشر القُرْآن الكريم وعلومه في ربوع الوطن والدول المجاورة، وخلاويه ببركته تشع إلى الآن بالقُرْآن منذ عهد السلطنة الزرقاء.

توفيت أم حقين تقريباً عام 1210هـ –1796م، وتوفى ابنها الفكي الأَمِين عام 1268هـ[123].



قبة الشَّيْخ الأَمِين وَدْ أم حقين

123–مسودة ورقية مرسلة من طرف الشَّيْخِ الخليفة صلاح الشَّيْخِ إدريس وَدْ أم حقين، بتَاريخ 2202/8/41م. ملحوظة: دار أم حقين الأن بحلفاية الملوك غرب السوق ومكان المدارس الآن وهو المكان الذي تشرف بولادة الفكي الأَمِين.

فاطِمَة بِتْ جَابِر:

تظل السَّيِّدة فاطِمَة بِتْ جَابِر علماً مميزاً يحكي عن عظم الدور الذي قادته الْمَرْأَة الصُّوفِية السُودَانية عبر التَارِيخ، وهي- بحسب ما ورد عن كتب التَارِيخ في البِلاد – أول بنت سوادنية تلقياً للعلم.

هي فاطِمَة بِتْ جَابِر أَحْمَد بن أبي الفتح عائد بن عبد المعبود بن إِبْرَاهِيْم المقبول بن أَحْمَد بن عمر الزيلعي.

كان لأسرتها الفضل الكبير في انتشار الدين والعِلْم في البِلاد. وفي هذا السياق يكتب البروفيسور أَحْمَد إِبْرَاهِيْم أبوشوك نقلاً عن الباحث الدكتور سمير والذي بدوره نقله من كتاب الطبقات: (أن الشَّيْخ إِبْرَاهِيْم البولاد بن جَابِر هو أول من درَّس «خليل» ببلاد الفونج، وشدت إليه الرحالة، ومدرسته في «خليل» سبع ختمات، وعلَّم فيها أربعين إنساناً). «وخلفه على سجادة أولاد جَابِر أخوه عبد الرحمن الذي جلس للتدريس والفقه وسائر الفنون،... وانتفعت به الناس، وبلغت ختماته في خليل أربعين ختمة».[124]

ومن آثارهم العِلْمية العِلْماء، نذكر منهم الشَّيْخ عبد الرحمن بن الشَّيْخ النويري المدفون بـ»أَرْبَجِيْ»، والشَّيْخ عبد الله بن دفع الله العركي، ويعقوب بانقا الضرير جد العقوباب، والشَّيْخ الحاجّ اللقاني، والشَّيْخ عيسى سوار الدهب بـ»تَنَقَّسِيْ»، والشَّيْخ إِبْرَاهِيْم وَدُّ أُمْ رابعة بـ»حَجَر العسل»، والشَّيْخ وَدَّ الْكَرْسَنِيْ بـ»الْبَرْكَلْ»، والشَّيْخ حَمَّدْتُوْ بـ»نُوْرِيْ»، والشَّيْخ عبد الله الأغبش بـ»بَرْبَرْ»، والشَّيْخ صغيرون بـ»الْفِجِيْجَةْ». وبذلك استطاع أحفاد غلام الله بن عايد أن يضعوا أساس التَعْلِيم الديني في السُودَان، ويسهموا في تأسيس عدد من مراكز العِلْم المختلفة (خلاوى ومساجد) التي أضحت تقوم بأدوار متعددة الأغراض في مجتمع الدولة السنارية، ثم تدريجياً كوَّنوا اللبنة الأولى لطائفة العلماء التي احتلت مراكز اجتماعية مرموقة في حياة المجتمع السناري، حيث أضحى أقطابها مراجعاً للشورى، والفتوى، والشفاعات في

124- أَحْمَد إِبْرَاهِيْم أبوشوك. غلام الله بن عايد وآثاره في السُودَان. مقال منشور بواسطة سودانيل، على الرابط https://sudanile.com/%D8%AB%D9%84%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87%D9%87

بلاط أهْل السلطة ومواطن نفوذهم الديني والاجْتمَاعيّ .[125]

قامت هذه الشَّيْخة بالتدريس والإنفاق على الخلاوي، لم يتوسع كتاب وَدْ ضيف الله في سيرتها، فلِما جرى العرف عندنا من شهرة «أولاد جَابِر» – وهم إخوانها — فقد طغت عليها.

فالشَّيْخة فاطِمَة بنت جَابِر – وهي شقيقة أولاد جَابِر الأربعة – هي الفقيهة العالمة حافظة القُرْآن شقيقة العُلماء وأم الفقهاء، وهي البنت الوحيدة بين إخوانها الأربعة، وهي نظيرتهم في العِلْم والدين، حفظت القُرْآن على يدي والديها وتلقت سائر فنون العِلْم والفقه على زوجها الشَّيْخ سرحان العودى الجعلي – وهو من تلاميذ أولاد جَابِر – وانتقل بها من ديار الشايقية بعد ميلاد ابنها البكر محمد (صغيرون) إلى دار الأبواب بمنطقة «قُوْزْ العِلْم» جنوب شندي حيث أسست أول خلوة نظامية للنساء في تدريس علوم القُرْآن والفقه، وقد بلغ عدد النِّسَاء بها حوالي ألف امرأة من جميع أنحاء السُودَان.

حجت إلى بيت الله الحرام مع أخيها الشَّيْخ إسماعيل بن جَابِر وابنها الشَّيْخ صغيرون وهو صغير. لها من الأولاد محمد الملقب بصغيرون – وهو الوارث لعلم أخواله أولاد جَابِر – وعمر والحاجّ أبو القاسم ولها من البنات آمِنة والدة الشَّيْخ محمد ألتِّنْقَارْ واخيه مازري اللذين درسا على خالهما الشَّيْخ صغيرون.

وفاطِمَة بنت جَابِر» التى كانت نظيرة للرِجَال فى العِلْم والدين حفظت القُرْآن وعمرها اثنتا عشرة سنة، وكان لها مسجد فى دنقلا تُعلِّم فيه الصبيان على نفقتها، وهى والدة العالم السُودَانى محمد بن سرحان المعروف بـ»صغيرون» – الذى أنشأ منارة للعلوم الإِسْلاَمية فى شندي – وكانت ابنتها «آمِنة» وحفيدتها «قوتة» من العالمات، وكلهن مارسن تَعْلِيم الصبيان والبنات وتخرج على أيدهن علماء نابهون نهضوا برسالة العِلْم فى دنقلا والجزيرة. وهي العالمة على النسق الأزهري في الفقه والحديث، شقيقة أولاد جَابِر الأربعة العُلماء الأكابر كما وصفهم حكيم الأمة السُودَانية الشَّيْخ فرح وَدْ تكتوك وأضاف عنهم:

يَجْلِسُوْا فُوْقَ الْمَنَابِرْ

125– المصدر نفسه.

وِإِنْ مَّا هُمْ مَا كُنْتَ خَابِرْ[126]

انتشرت مدرسة أولاد جَابِر والمذهب المالكي على أيدي أبنائها وأحفادها وتلامذتهم في أنحاء السُودَان ودول الجوار. ينتشر أحفادها من السادة «الصِّغِيْرُوْنَابْ» في مناطق مختلفة من السُودَان في جنوب شندي والخرطوم (الجريف شرق، الفتيحاب، وأم دُوْم، والجزيرة)[127].

توفيت بقرية قوز المطرق (قوز العِلْم) وقبرها ظاهر يزار.



مبنى قُوْزَ الْمُطْرَقْ والذي بات يعرف باسم قُوْزَ العِلْم

أَمُّوْنَة بِتْ عبود:

في بحثي المتواصل عن شيخات القُرْآن سمعت عرضاً اسم الشَّيْخة أمونة بنت عبود ولم أعرها باديء الأمر اهتماماً لجهلي بها. وذات مرة كنت أقرأ كتاب «التربية في السُودَان» وقع بصري على حديث عن الشَّيْخة أمونة نقلاً عن كتاب «نزهة المجالس» ولم أعثر على الكتاب المذكور ولكني وجدت عوضاً عنه كتابي «الثقافة العربية في السُودَان» و»رفاعة رافع الطهطاوي في السُودَان» وأُثبت هنا ما كتبه رفاعة رافع الطهطاوي في السُودَان، قال: وقد رأيت في طريقي لبلاد الشايقية بمديرية دنقلا

126-عمر بشير. بين رياً وهدية أمهات واهبات (3- 3(. منشور بتَارِيخ 3102/3/21م على الرابط 92913/ahabitnila/moc.sseradus.www//:sptth

127- 972238589093246/stsop/ymalsalArbaJdalwAmjM/moc.koobecaf.www//:sptth

حرم سنجك يدعي الملك الْإِزَيْرِقْ تسمى السَّيِّدة أمونة، تقرأ القُرْآن الكريم، ومؤسسة مكتبين أحداهما للغلمان والثاني للبنات كل منهما لقراءة القُرْآن الشَرِيف وحفظ المتون، وتنفق على المكتبين من كسبها من زراعة القطن وحلجه وغزله وتشغيله، ولا ترضى أن يشوبه من مال زوجها. وبجانب المكتبين لديها خلوات لمن يختلي من العباد والزهاد الحاضرين من أقصى البِلاد لأداء فريضة الحج. ومنزلها كالتَّكِيَّة للفقراء وأبناء السبيل والقاصدين بيت الله الحرام.[128]

كتب عنها الباحث عبد الله الشَّيْخ سيد أَحْمَد – والذي خص شقيقتها زائعة الصيت مهيرة بِتْ عبود بكتاب عنون له بـ «مهيرة بِتْ عبود ذلك الشرف الباذخ 1780–1840م»:(كنت قد سمعت قصة أمونة بِتْ عبود – زوجة الشَّيْخ الإزيرق اْلسُّوَارَابي الشايقي وأحد السناجك الأربعة الكبار – سمعتها من الأُسْتَاذْ المرحوم عمر الحسين باحث التراث المعروف، ومحقق ديوان حاج الماحي له الرحمة، والشَّيْخ الإزيرق كما ذكر الأُسْتَاذْ عمر الحسين هو جد آل الإزيرق بـ»القُرِيْرْ» (الطاهر وَدْ الإزيرق والصافي وعبد الكريم). وقد سمعت من المرحوم عمر الحسين أن حجاج غرب أفريقيا (وهم من كانوا يسمون بالتكارين) كانوا يكنون لأمونة بِتْ عبود احتراماً كبيراً ويقولون: نحن نعرف مكة والمدينة وأمونة، حيث ينطقون آخر كل كلمة من الكلمات المذكورة بالفتحة الواضحة (مكتا، والمدينتا وأمونتا)[129].

وقد ذكر الشَّيْخ محمد أَحْمَد عبد الله آل عَكُوْدْ الشهير بـ»جَقْلَابْ» في مخطوطته المسماة (كتاب نسب الشايقية) في الباب السابع وعنوانه: (السناجك الأربعة الكبار للشايقية)، ذكرهم كالآتي:

-1الشَّيْخ أَحْمَد بن الشَّيْخ عكود رئيس قبيلة السُّوَارَابْ.

-2الشَّيْخ الإزيرق من قبيلة السواراب.

-3الملك شاويش رئيس قبيلة الْعَدْلَنَابْ.

-4الملك صبير بن الملك بشير رئيس قبيلة الْحَنَكَابْ.

ويقول الشَّيْخ جقلاب: (بلغني أن سناجك الشايقية بلغوا خمسين سنجكاً

128- الطيب محمد الطيب. المَسِيد، مصدر سابق ص 543.

129- عبد الله الشيخ سيد أحْمَد. مهيرة بِتْ عبود ذلك الشرف الباذخ. على الرابط koobecaf.www://sptth. /435428439232533/stsop/796613823113001/moc

نصفهم من السواراب والنصف الآخر من كل قبائل الشايقية، فهذا دليل على كثرة عدد السواراب[130]).

اهتمت أمونة بجانب بيتها بالتَعْلِيم، وبدأت بأبناء الأسرة ثم أبناء القرى المجاورة، وفصلت في تَعْلِيمها بين البنين والبنات، فجعلت للبنات فصولاً دراسية وسكناً خاصاً ومثله للبنين، واستعانت بمشايخ معلمين من خارج المنطقة.

كتب عنها الدكتور عبد الله علي إِبرَاهِيْم ما يلي: «ولدت في أُوْسْلِيْ وتركتها إلى وادي بُشَارَةْ في دار الجعليين قريباً من الْمَتَمَّةْ. وكان لها صيت بين حجيج غرب أفريقيا «يقدمون عبر دارفور وكردفان ثم ينزلون النيل ناحية أم درمان، ومنها ينحدرون شمالاً حتى بربر ثم ميناء سواكن. وقد كان يزورها الحجيج الأفريقي السُودَاني يقطعون المراحل بالإبل وعلي أرجلهم. ولهم في كل مرحلة منزلة معلومة يجدون فيها الطعام والأمن. وصارت دار أمونة بِتْ عبود منزلاً للحجيج الأفريقي السُودَاني وكل الذين يسافرون بالضفة الغربية للنيل. وقد كان غبطتها بالدارسين عظيمة إذ كانت تنفق عليهم من زرعها. وكانت تمتلك أرضاً واسعة على النيل. ولديها نفر من أقاربها ممن يحسنون العمل الزراعي. وخصصت ساقيتين لزراعة القطن، وبعد حصده تغزله نساء الحي وطالبات القرآن. واستخدمت نساجين من جهات المتمة والْجَبَلاب، وبعد النساجة توزعه كساءً للطلبة والطالبات. وما زاد تتصدق به على الحجيج وغيرهم[131]". كما كانت تقوم بنفقة واسعة إذ أنها كانت تجمع جلود ذبائح النفقة، وتصنع منها النعال المعروفة بـ(الشَّقَبَايَةْ) وتوزعه على الطلبة والحجاج.، كان اهتمامها بالحجيج كبيراً وقد نشروا اسمها في كل الأصقاع.

تنازل لها بعض الأهالي عن بعض أراضيهم ليزداد ريعها إنفاقاً على تعاليم الدين والقُرْآن الكريم، ثم صار كل شئ باسمها (حلة أمونة، جزيرة أمونة، سواقي أمونة، نخيل أمونة)، أما المقبرة التي ضمت رفاتها الطاهرة فهي مقابر (رَيَّةْ) وعرفت عند البعض باسم (تُرْبَةْ أمونة). وأراضي أمونة لم تورَّث وسجلت على الشيوع في زمن المستر (بل) وقفاً على الضعفاء. كانت الشَّيْخة تعيش عيشاً متقشفاً كما عرف

130- المصدر نفسه.

131- عبد الله علي إِبرَاهِيْم. قول في الواليات آمال وآمنة. على الرابط /505/draob/moc.enilnoesenadus://sptth -A8%9D%18%9D-%48%9D%88%9D%28%9D/%gsm

عنها الورع، حيث لا تقابل الرِجَال إلا من وراء ستار، وظلت حتى أخريات أيامها في خدمة كتاب الله[132].

وأمونة هذه الشَّيْخة الجليلة تعد من أقوى النماذج المتفوقة في تلك الحقبة الباكرة من تَارِيخ السُودَان الحديث. تجربتها تركت أعمق الآثار على الثقافة السُودَانية، فهي قبل أن تكون متفقهة وصاحبة مدارس ومصانع ومشاريع، تمثل قيمة ثقافية عميقة الغور. في تجربتها عبرة هائلة تفسر النموذج المثالي لِلْمَرْأَة المسلمة. سيطرت على حركة الحياة والمجتمع سيطرة تامة، وهي تخاطب الرِجَال من وراء ستار !! فالْمَرْأَة في تجربتها لم تنزوِ في ظلمة مجتمع الحريم، ولا استغلت موقعها في المجتمعات، وقد كانت قادرة على ذلك في التشبه بالرِجَال.

فتحت مدارس لحفظ القُرْآن للبنين والبنات، وأنفقت على التَّكَايَا والحجاج والفقراء. امتلكت مشاريع، وسواقي لزراعة القطن، وأقامت محالج، ومغزل، ودباغة جلود لصناعة النعال (الشقيانة)، ومن غرائب ما يُحكى عنها، أنها رفضت الاستعانة بأموال زوجها (السنجك) خوفاً من شائبة الحرام. يقول كتاب (المِسِيد) عنها:« طار اسمها بعدئذٍ، حمله الغادي والرائح وعرفه الناس شرقاً وغرباً ولا سيما مجتمع غرب إفريقيا ..«ولكن ما هي جذور هذا التفوق؟.!! يبدو أن البيئة التربوية، كانت بيئة خلاقة، وفرّت لها أسباب الحرية. بمعنى أن الْمَرْأَة في هذه التجربة وجدت متنفساً معقولاً لتثبت ذاتها في حدود العقيدة.

أبوها هو عبود شيخ السواراب، أما الأسرة، هي نفسها أسرة الشَاعِرة مِهِيْرَةْ بنت عبود، التي شاركت في معركة كُوْرْتِيْ.[133]

ولتَارِيخها البازخ وإسهاماتها الفاعلة فقد جاء الشِّعر في مدحها، فعلى سبيل المثال في القصيدة التالية والتي نظمها الشاعر خالد أَحْمَد المصطفى (1957– 2018م)، عبر فيها مآثرها وجلائل الأعمال التي قامت بها. تقول كلمات القصيدة:

السُودَان مَـــــلَانْ بِيْ أجملَ الموجــودْ ومِن الصَّالِحَات قُولْ أمُّوْنَة بِتْ عبودْ

الشايْقِةْ دَيْكْ في حــاضرة شندي ألفِ وْتُمْنِمِيَاتْ هِيْ دُرَّةَ العهدِ

132- https://www.facebook.com/100311328316697/posts/335232934824534

133- فكري أبو القاسم. أمهات وادي النيل (5-5). 151721/azhalrihka/moc.sseradus.www://sptth

الطهطاوي أشاد بي غـــــرة المجدِ ... الورِعَةْ النبيلَةْ مِـــن المهد لِلَّحْدِ

وأخــواتا الكرام مهيرةَ الغُـــــرَّاءْ ... وغــــــوالي ومرار وفاطِمَة الزرقاء

عَبُوْدَ الفريقْ مِــــن نسلها الضَّوَاءْ ... ومدفونة في مقابر رَيَّةَ الشماءْ

لا تقابلَ الرِجَـــال إلا وراءِ ستارْ ... مَـــدارِس للعلومْ وَالفقهِ تِخْتَارْ

تحفيظَ الكتابَ المُنجِي مـن النارْ ... الزاهـدَةْ وكريمَةْ ترجو نِعمَ الدارْ

شادت خلوتين للرجَال ونســـــاءْ ... ربَّتَ الرِجَـــال مَنْ أَجارْ وَأَساءْ

نسجت للجميع من قُطْنَهَا كِساءْ ... زينَةْ عابداتْنَا في صباح ومساءْ

قُوْلْ أُم الكرام مولـــودَةْ في أُوْسْلِيْ ... وفي وادي بُشارة خَلْوَتَا بِالأصلِ

أَهْدُوْلَا الأراضي الأهْــــلِ للوصلِ ... وخــلاوي وتكايا ومدرسَةْ وَفصلِ

جلبتْ للرِجَـــــال والشيوخ للدينِ ... مُــــــزارع لي قُطْنَها خيرَ نساجينِ

صُناع الجلودِ عُمّـــــــالُ وْمُزارعينَ ... خَلَواتَ البناتَ للخيـــوطِ غازلينَ

لا تَنْفِقْ على الخَلَواتِ مــــالْ زَوْجَاْ ... لابنِ السبيـــلِ تُنْفِقْ وذي الحَوْجَةْ

والحُجاجْ يجُوْهَا فـــوجَ وَرَاْءْ فَـــوجاْ ... البحرْ إنْ إقِيْفْ أمونَةْ هِيْ الْمَوْجَةْ

في قارتنا غرباً أمونة ذاعْ صِيــــــتْنَاْ ... مِيْنَ الْفِيْ الحَجِيْجَ الْمَاْ لِبِسْ خِيْطَاْ

والشِّيْقِيَابَةْ نعلاً مصنوعَةْ في بِيـــــتْنَاْ ... وَحَـــرَمَكْ يَاْ الِّازِيْرِّقْ بِالروحْ فَدِيْتَاْ

صليتْ والســــــلامْ غِيرْ عددْ كايِلْ ... لِي سيــدِيْ الرسولْ الْمَاْ نَهَرْ سَايِلْ

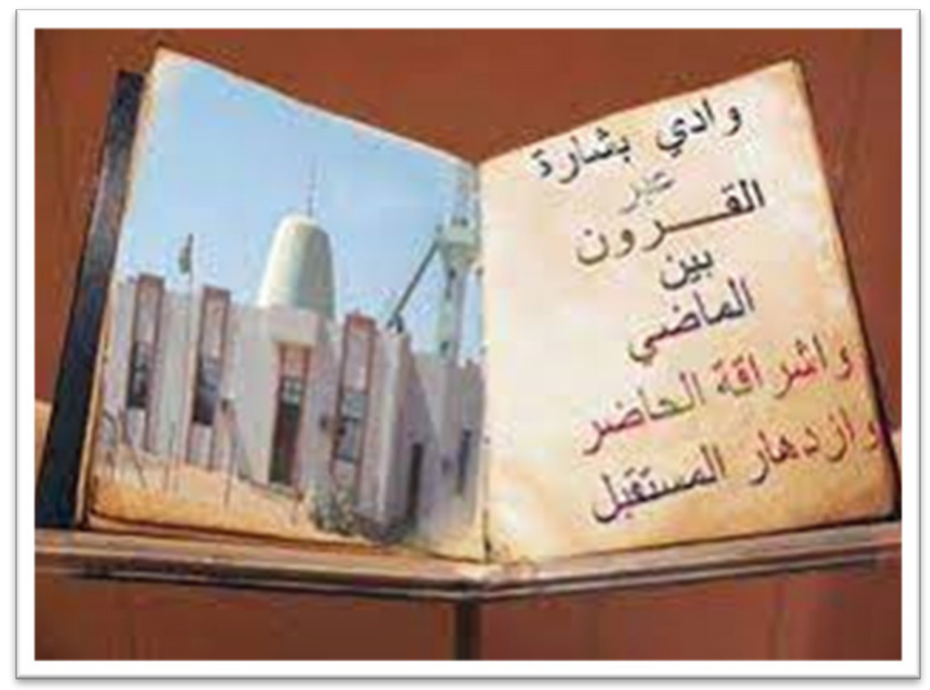
تاجْ راسِيْ وحبيبيْ وبالجَمـــال قَايِلْ ... تَكفيـنا الخـــــرَاب في أُمْ بُنَاً زَايِلْ

هذا وكانت الشَّيْخة تعيش عيشاً متقشفاً، كما عرف عنها الورع. وظلت حتى أخريات أيامها تجاهد في خدمة كتاب الله ونشر المعرفة، ورغم أني استقيت هذه المعلومات من أقرب الناس إليها إلا إنهم لم يؤرخوا لوفاتها ولا ميلادها، شأنهم في ذلك شأن أهْل السُودَان في عدم توثيق أخبار النِّسَاء حتى لو كن من ذوات المكانة كالشَّيْخة أمونة بنت عبود[134].

كما أفادني الرواة الذي عولت عليهم بأن زوجها محمد آغا الأزيرق بعد تقاعده من الوظيفة التركية طلب منها أن يشاركها في النفقة، فلم تقبل خشية عدم نقاء ماله الذي جمعه من رتبته العسكرية «سنجك» وهذا يؤكد ورعها وإخلاصها وصدقها..

134- الطيب مُحَمْد الطيب. المَسِيد، مصدر سابق، ص 843.

رحمها الله[135].



قرية وادي بشارة

مَرْيَمَ بِتْ الحاجّ عطوة:

الشَّيْخة الحافظة والمعلمة الواعظة مَرْيَم بنت الحاجّ عطوة، أصلها من المغاربة الذين استوطنوا بربر جهة (المكايلاب). نبتت مَرْيَم تحت رعاية والدها الفقيه عطوة المغربي وتعلمت في بيت والداها القُرْآن حتى صارت من أفقه أهْل زمانها وشاع ذكرها في أرجاء الأقاليم، وخطبها بعض من الرِجَال وأخيراً ظفر بها العالم المفوه الشَّيْخ محمد بن أَحْمَد بن جلال الدين المجذوب وأنجب منها أولاداً أشْهَرهم العلامة الشَّيْخ مجذوب جلال الدين وهو معروف جداً لأبناء الجيل المتقدمين، إذ كان يعمل مدرساً في كلية غردون التذكارية. وفوق هذا فالشَّيْخة هي جدة شاعرنا الفذ محمد المهدي المجذوب. وكان نشاطها العِلْمي في الدامر، إذ كانت تدرس القُرْآن والفقه لكافة الناس، وتخصص وقتها لوعظ النِّسَاء، ولما صارت امرأة نصفا بدأت تنسخ المصاحف، وعند ذريتها مصحف من خطها، وكذلك كتبت راتب الإمام المهدي وغير ذلك من الكتب

135- المصدر نفسه، ص 943.

والأدعية والصلوات... وقد تركت أثراً محموداً من علم ومختوطات وتلاميذ.[136]

كان والدها جندي ضمن جيش محَمْد علي وكان يحفظ القرآن، أتى إلى المكايلاب وأسس خلوة لتدريس القرآن. ولمريم بِتْ حاج عطوة «دانقا»، مازالت موجودة في الدامر، وهي كبيرة الحجم، وتعرف بـ «دانقاة مريم بِتْ حاج عطوة»[137].

كانت امرأة عالمة، ولها مدرسة خاصة لتَعْلِيم النِّسَاء أمور دينهن، ولها مصحف خطته بيدها وهو موجود الآن[138].

تفقهت هذه الشَّيْخة، على يد والدها الشَّيْخ عطوة المغربي (بربر)، حتى صارت من أفقه أهْل زمانها وشاع ذكرها في أرجاء الأقاليم. عقدت مجالس علمها في دامر المجذوب، وقد انتقلت إليها بعد الزواج. يقول عنها مصدرنا مؤلف كتاب (المِسِيد): إنها نسخت الكثير من الكتب والأدعية والصلوات، ويكفي أنها تركت لورثتها مصحفاً بخط يدها، ومن أحفادها الشاعر محمد المهدي المجذوب. وكانت مَرْيَم هذه تدرس زوجها القُرْآن ليلاً، وقال أنه يخشى منها أن تغلطه لجودة حفظها، وإنها قرأت في العلوم الدينية عقائد وعبادات إلى كتاب رسالة ابن أبي زيد.

ومنهن أختها آمِنة بنت حاج عطوة زوجة الشَّيْخ محمد الخير العالم الشهير، ووالدة ابن الشَّيْخ المهدي الذي كان باشكاتباً بالمحاكم الشرعية بالمديريات[139].

يقول الشاعر محَمْد المهدي المجذوب في مقدمة ديوانه نار المجاذيب (ص١٠): ومن سير التَارِيخ الحافل بالمأثر أخذاً عن جدتي الحافظة المعلمة الذاكرة السَّيِّدة الحاجّة مريم بنت الْوَلْي الصالح الحاجّ عطوة المغربي الخفاجي رضوان الله عليها ورحمته وبركاته، في كل ما ذكرت في محبة ووفاء وعرفان انعقد جوهر هذا الشعر[140].

وقد نعاها حفيدها الشاعر محَمْد المهدي المجذوب في أكثر من عمل شعري جاء متفرقاً في العديد من القصائد، فيما خصها بقصيدة رثاء حملت العنوان «أم أبي» والتي أنشد فيها قائلاً:

136- الطيب محَمْد الطيب. المَسِيد. ص153.

137- مقابلة مع بروفيسور أحْمَد بابكر الطاهر. الخرطوم عبر مكالمة صوتية بتَارِيخ 2202/11/71م.

138- موسوعة أهْل الذكر بالسُودَان. المجلد الخامس، الخرطوم 4002، ص 2731.

139- آمال عباس. الذكرى تنفع المؤمنين على الرابط sptth://www.alrakoba.net/817942/%D8%

140- مقابلة مع أحْمَد بابكر الطاهر. مصدر سابق.

هل تجرَّعتُ مُرَارَ الثَّاكلينا

وحنانُ للكِ أَضناني حنينا

دَمْعِيَ الحُلْوُ إدلالي بِهِ

لم يُعنِّي حين واساني غينا

أشبعت أمسِ يدَ أمي بِهِ

وَلعِي أصبحَ إعضاءً وهُونا

غِبت عنِّي فترحلتِ على

جسدي الخائفِ بين العابرينا

لم أكن أعرفُ ما الموتُ ولا

حسرة العيشِ وعجزَ الصابرينا

المعاني لَبِستْ أقنعةً

لم أجد فيها قلوباً أو عيونا

ياسقى الله ضريحاً كم سقى

بين أجداثٍ تدفقت عُيُونا

أُرِجَام أمْ غَمامُ زاخرُ

رَزَقَ الخيرَ وأغني والوفتدينا

بَقي التَارِيخُ فيها عابداً

يصقلُ السيفَ ويُزْجي الدَّارِعينا

ويُثِير الخيل في الله على

صنَمِ التِرْك ويُردِي المقسطينا

في الْمُكَيْلابِ لظى أعرافها

وهي الدامر لم تبرح صُفُونا

إن يكن وجهك ولى راضياً

فلقاءُ اللهِ ممَّا تَعْلَيمنا

كم تروحت لديها موئلي

عصمةُ الآي وطُهْرُ القارينا

كم تسمعتُ إلى ترتيلها

صافيَ الأنغام مسروراً حزينا

تذكر الموت وتبكي رحمةً

لبني الإنسان أامسَوْا حزينا

وأتاها الحق تسقي وعده

آخِرَ الأنفاسِ قُرآناً مَعِينا

كنت يا أبصرَ نفسٍ بالهُوَى

أمنِّيَ الفارحَ والعيشَ الكنينا

كيف ولَّيَّتِ وقد وعودتني

عسَلَ البِرِّ وحُبَّ الشاكرينا[141]

ويقول أيضاً:

ولك من شعري توق يشهي

امنه النفس وكشف العارفينا

التحايا لك يا أم الألي

خدموا الناس وعاشوا مؤثرينا

لم يبيعوا العِلْم بالمال ولا

قصدوا السلطان الإ زاجرينا

والتحيات علي معناك

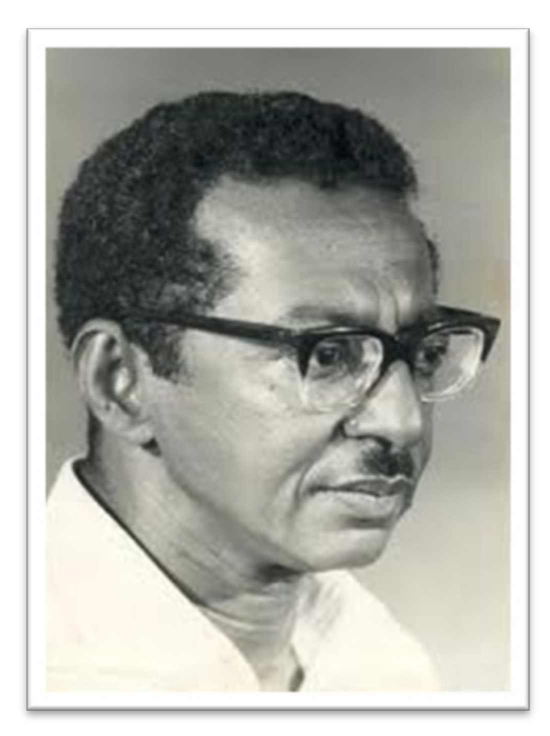
في رحمة الباري بين الخالدين

ويقول في نص شعري أخر معترفاً بفضل جدته مريم بِتْ حاج عطوة عليه قائلاً:

هذا لساني من مواهب عطوة

أوفى به إليك البيان السكيب

141- محمّد المهدي المجذوب. ديوان غارة وغروب. 3102م.



الشاعر محمد المهدي المجذوب حفيد السَّيِّدة مَرْيَم بِتْ الحاجّ عطوة

فاطِمَة بنت أسد:

من قرية الجعلين – قرية (المطمر) الواقعة بين «أُم علي» و»الْمَحْمِيَّة» – اشتهرت بالحفظ الجيد والفقه الواسع. وبين الفينة والأخرى كان يتقدم لها الخطاب، وكانت ترفضهم، فقد فضلت عليهم الدراسة والعِلْم [142].

وبت أسد هي امرأة عاشت في فترة الفونج (1504–1821م)، وهي حفيدة الشَّيْخ حامد أبو عصا، كما أنها جدة أبناء منصور من المجاذيب أشْهَر الأسر الدينية في المنطقة[143].

وعن قصة السَّيِّدة بنت أسد وزواجها بعد عمر السبعين ومن ثم إنجابها للذرية يقول حفيدها عُثْمَان أبو سَبيب:» في الحقيقة أُمَّنَا الشَّيْخةْ فاطمةْ بِتْ أسدْ بالنِّسبةْ لِجَدِّنا أحْمَدْ أبوسبيبْ خالْها في الحِسابْ، بَعْدينْ الربطابي جَدْ أولادْ «مدني» ديل برضو خالها. قبل انتقالها إلى الرَّفِيقِ الأَعْلَى جاءها جدنا الشَّيْخ أَحْمَد أبوسبيب في

142- الطيب مُحَمْد الطيب. المَسِيد، مصدر سابق. ص353.

143- فائز حسن عُثْمَان. الآثار الإسلامية في منطقة الدامر (شمال السودان). على الرابط bke.slanruoj.aaugc://sptth. lmth.16983_elcitra/ge

رؤية منامية قال ليها فيك ذرية صالحة، ماترفضي الزواج. قال ليها الكلام دا مامننا من الحضرة. قالت ليو: طيب الأمر دا اتحصل علي كيف، ومقدمتو شنو. قال ليها: تمشي لود سميري في وأدي قباتي. وتشيلي معاك سبعة قراصات، ودسميري في ذلك الوقت كان هو صاحب العظمة[144].

فعلاً وبرفقة واحدة ممن كن في خدمتها من البنات ذهبت للوادي المقصود، فلما وصلت وَدْ سميري قال ليها «خالك كلمك». ودسميري أداها فروة فجلست عليها وقال ليها اجلسي عليها، وهي في جلستها قامت ادتو 8 قراصات، فعلى طول قال ليها، «لكن ماقالوا سبعة». بعد داك أداها لبن، شربت منو، بعد ماشربت قال ليها أنا ماعندي كلام كتير أقولو ليك. أداها الفاتحة وقال ليها راجلك بجيك في محلك، وإنتي تختاري. لمن قامت من الفروة وهي ذاهبة على دابتها للرجوع على طول جاتا الدورة وهي في عمر السبعين، قال ليها الفروة شيليها معاك هدية[145].

ولما تقدم بها العمر وصارت أقرب إلى العنس نصحها تلاميذها وأهْلها بالزواج. وتسامع بها رجلان عظيمان من أهْل القُرْآن والفقه وهما الشَّيْخ القلوباوي جد القلوباب بمنطقة بربر الشمالية والشَّيْخ عبد الوهاب جد الوهاهيب بربر. وسافرا سويا لخطبتها ونزلا في الدامر عند الشَّيْخ الفكي «حَمَد ودَّ الْمجذوبْ»،ولما سألهما عن حالهما أخبراه بقصدهما ونيتهما، فأثنى عليهما ودعا إليهما بالتوفيق، وكان الفكي محمد المجذوب يعرف أحوال الشَّيْخة فاطِمَة بنت أسد فأوصاهما – وهما يودعانه – إنْ لم يُوفَّقا في قبول أحدهم زوجاً لها، أن يذكراه خطيباً ثالثاً[146]. ولما وصلا المطمر قوبلا بالترحاب والأكرام، ثم عرض كل واحد نفسه طالباً يد الشَّيْخة فاطِمَة فلم تستجيب لهما، ولما يئسا منها ذكرا لها طلب حَمَد ودالمجذوب، وكان حَمَد وقتها في سن الشَّيْخوخة المتقدمة فقبلته زوجاً، ورفضت من هم في سن الشباب وقمة الوجاهة ورضيت بهذا الشَّيْخ الكبير، وأنجبت منه الفكي منصور جد المناصير، وهم بيت من المجاذيب، وأشْهَر أفراد هذا البيت خليفة المجاذيب وحامل راية المهدية الذي

144- مقابلة مع عُثْمَان أبوسبيب. مطمر بِتْ أسد. عبر مكالمة صوتية بتَارِيخ 2202/11/91م.

145- المصدر نفسه.

146- الطيب مَحْمْد الطيب. المَسِيد، مصدر سابق. ص353.

قتله الإنجليزي كتشنر بعد فتح بربر والدامر.

لقد كان والد السَّيِّدة فاطِمَة بنت أسد على جانب كبير من الورع والفقه، وأطلق عليها اسم فاطِمَة بنت أسد تيمنا بالسَّيِّدة فاطِمَة بنت أسد أم الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ومازالت بلدة الْمُطْمَر تعرف بـ»مُطْمَرْ بتْ أسد«[147].

أم كلثوم بِتْ الشَّيْخ القرشي:

والدها الشَّيْخ العالم القرشي ودَّ الزِّيْنْ، وبلغ الشَّيْخ القرشي درجة عالية من السمو الروحي وجعله مقصداً لكثير من طلاب المعرفة، وممن استكمل المعرفة الحقة الإمام محمد أَحْمَد المهدي حتى أصبح المهدي من أشْهَر تلاميذه.

وفي بيت القرشي ود الزين فتاتان حافظتان ماهرتان هما أم كلثوم والنِّعْمة[148].

في عهد الدولة المهدية كان من أشهر خلاوي البنات اللائي اشتهرت معلماتهن بالعلم والصلاح خلوة الشيخة أم كلثوم بنت الشيخ القرشي وَدَّ الزين. التزمت أم كلثوم منذ فجر شبابها التدريس وبدأت بتَعْلِيم البنات والبنين إلا أنها بعد انتشار خلاوي البنين التي قام عليها تدريساً ورعاية جماعةٌ من الحلاوين تعرف بـ»المديداب« اشتغلت أم كلثوم بتدريس البنات وصارت لها سمعة كبيرة داخل وخارج المنطقة وتوسعت في بناء الخلاوي الدراسية والسكنية بعد أن توافدت عليها البنات من كل جهات الجزيرة[149].

وثبت أنها كانت تعلم وتحفظ الماهرات من طالباتها ولا تدعهن يخرجن الإ في حالات الزواج حرصاً منها عليهن، وتزوجت كثيرات من طالباتها في دارها وكانت تزفهن إلى منزل الزوجية من خلوتها. ويصحب العروس الطالبات وهنً يهزجن بالدعاء والابتهالات وبعض الأغاني الخفيفة المعروفة وسط السُودَان.

وبجانب تدريس البنات كانت تهتم بتدريس أبناء الأسرة الأقربين، وحفظ عليها وتحت إشرافها ورقابتها ابن ابنها القاضي محمد الأَمِين القرشي وهو راوي خبر هذه السَّيِّدة، ومما ذكره إعجاب الإمام المهدي بهذه الشَّيْخة وكثير العطف عليها، ولم

147- المصدر نفسه.

148- الطيب مُحَمْد الطيب. المَسِيد، مصدر سابق.

149- بدرية على سيد أحمد. تطور تعليم البنات في السودان 1900-1985م. بحث مقدم لجامعة شندي، كلية الدراسات العليا لنيل درجة الدكتورة في التَارِيخ، 2021م، ص62.

يكتب الله له أن يتزوجها ولكن استعاض عنها بشقيقتها الحافظة النعمة بنت الشَّيْخ القرشي والتي أنجب منها ابنه المعروف السَّيِّد علي المهدي[150].



قبة الشَّيْخ القرشي والد السَّيِّدة أم كلثوم

ريا بِتْ أبوزيد:

هي والدة العارف بالله الشَّيْخ العبيد محمد بدر (1811–1884م) مؤسس الفرع القادري البادرابي بأم ضوبان. وعن السَّيِّد الفاضلة والْمَرْأَة الصَّالِحَة ريا يكتب الباحث الأُسْتَاذْ الطيب محمد الطيب:» السَّيِّدة رِيَّةْ بنتَ أَبُوْزِيد – وأمها تدعى عَزْلَةْ – وكانت راية وأمها متمسكتين بأهاب الدين ولهن صلات وُدْ مع المسايد والخلاوي المشهورة في ذلك الزمان، وعلاقتهما أخص بمَسِيد الشَّيْخ حسن وَدْحُسُوَنَةْ، ويحكى أن السَّيِّدة رية لها شخصية متميزة وكانت مضرب المثل في قوة الشخصية وسداد الرأي، وكانت تطلق على ابنها لقب «العِبِيْدْ» وبعد برهة طغى اسم العبيد على اسمه محمد، وصار اسم شهرته «العبيد وَدْ رية» لِما لأمه من مكانة مرموقة، وكان الشَّيْخ شديد الاعتزاز بأمه، ولما سئل عن شيخه الذي درَّسه القُرْآن قال:»شيخي أمي، كانت تعلمني القُرْآن وأنا سارحٌ مع الغنم». ولما صار شاباً وجد أهْله يرتحلون مع

150– الطيب محمد الطيب، المسيد مصدر سابق.

ماشيتهم وأغنامهم طلباً للماء والكلاء. [151]

حدَّثني الخليفة الطاهر وَدْ بدر عليه وعلى من تقدَّم ذكرهم الرحمة والرضوان.. بأن السَّيِّدة ريّا بِتَّ أبْ زِيْدْ – وهي والدة الشَّيْخ محمد بدر، وعمة جَدِّ الشَّيْخ أبو قرون، وهي من الحسانية الزيداب – فكانت ووفق روايته تعد ابنها منذ الصغر وتدفع به على طريق الزهد والرضا بالقليل، ذلك حين طلب الصبي حينئذ وَدْ بدر من والدته أن تزيده قطعة عصيدة غير التي تناولها فقالت له عاتبة وحافزة له ما معناه: «سجم خشمي» أنا دايراك تبقى لي متل «توري» وقصدت بذلك: أريدك أن تكون مثل شيخي حسن وَدْ حسونة فلا تكثر من أكل الطعام؟.

وقد عرف عن وَدْ ريَّا حين صار شيخاً يشار إليه بالبنان وتقصده الركبان عرف قوله: (الرسن من حسن) و(التأييد من عوض الجيد «تور عفينا»)، و(الكتير من وَدْ البشير بأمرحي)، مؤكداً أن تلك هي بعض مصادره في إحياء علوم الدين بالعِلْم والقُرْآن والعمل والإحسان[152]..

قالت عنه والدته ريا بِتْ أبو زيد:(منذ أن ولدته ونشأ ما رأيته مال إلى هوى قط).

إنه محمد بن أَحْمَد بن موسى بن بدر المشهور بالعبيد وَدْ بدر، وقد طغى الاسم الأخير (وَدْ بدر) وذلك بسبب نسبته لجده بدر حتى أصبح اكثر شيوعاً من العبيد، كما ورد في موسوعة أهْل الذكر بالسُودَان[153].

من هنا لمع اسم حكيم الأمة السُودَانية الشَّيْخ محمد بدر الذي اشتهر بتواضعه الجم في الاسم والمسمى والسمات، فأخذ في اسم شهرته بسبب من منهجه في التواضع لله تعالى بين عباده حين قال:(أنَا عِبِيْدْ سَاكِتْ)؛ أي لا أزيد عن أن أكون عبداً فقط!! مع أخذه في تتمة الاسم بمسمى الوفاء والعرفان لوالدته فكانت صفة العبيد وَدْ ريّا ملازمة لاسم العبيد وَدْ بدر، لِمَ لا وقد كان لها دورها في الدفع به على طريق التلقي المعرفي وسلوك أهْل الله من أهْل القُرْآن الذين فروّا إلى الله لما عرفوا من

151–الطيب مُحمْد الطيب.المَسِيد، ص 582.

152–عمر بشير. بين ريّاً وهدية أمهات واهبات (-2)3. منشور بتَارِيخ 3102/3/21م على الرابط www://sptth. 92913/ahabitnila/moc.sseradus

153– خالد الشَّيْخ حاج محمود. التوثيق لأغاني التراث sptth://.enilnoesenadus.moc/gsm/draob/404/gsm/8927691141/rn/2.lmth

الحق[154].. فمن باب الحفاوة بالأمهات وردّ بعض الجميل إليهن، وفي ذلك احتكام ودود وموودود لقول الحق وأمره بالأخذ بما أتانا به الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث «إن الجنة تحت أقدام الأمهات».. ومن حيث أطروحة البر بالوالدين في حديثه الشَرِيف عن أحق الناس بالصحبة، فقال: أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك؟.![155]

ويرحم الله سبط الشَّيْخ وَدْ ريّا علامة الْمَدِيحِ البارزة في رعيله الرابع الشَّيْخ القرآني حياتي حَمَد الذي وثَّق لتلكم الحفاوة بالأمهات الملهمات حين قال في خواتيم إحدى أمداحه:

حَيَاتِيْ اْلجِّدُّوْ وَدْ رَيَّا
صَلَاتُوْ الْمَاهِيَّا عَارِيَّة

أي هي صلاة ذات محتد وجذور، ولعلها تكون إشارة لارتكازٍ على مركوزٍ وعدٍ ربّاني صادق ومصدوق في قول الحق:(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) – سورة الطور الآية «21».

ومنادة الشَّيْخ العبيد وَدْبَدُرْ بوالدته البرة التقية السَّيِّدة ريا بِتَّ أَبُوْزَيْدْ نجدها حاضرة في القصيدة المسماة (الغزلية) التي كتبها الشاعر وَدْ النزهيه وتغنى بها الفنان الكبير علي إِبْرَاهِيْم الْلَّحَوْ (1942–2019م) والتي نقتبس منها التالي من كلمات:

غَزَلِيَّةْ
غَزَلِيَّةْ يابَا الْعِبِيْــــدْ وَدْ رَيَّا
غَزَلِيَّةْ وَيَا البَادْرَابْ بَنِيَّةْ بَنِيَّةْ
غَزَلِيَّةْ وَيَا سَلْمَان وَدَّ الْعَوَضِيَّةْ
غَزَلِيَّةْ يَا بَسْبَارْ أَبُو الْعُوْنِيَّةْ
جَانِي اَلْقَادِرِيَّةْ وَهَيَّجْ لَيْ حَنِيْنَاً لَيَّا

تنقلت السَّيِّدة ريَّا مع ابنها الصالح العارف بالله الشَّيْخ العبيد وَدْبَدُرْ إلى أن انتهى

154–المصدر نفسه.

155–عمر بشير. بين رياً وهدية أمهات واهبات (2- 3). منشور بتاريخ 3102/3/21م على الرابط sptth://www. 92913/ahabitnila/moc.sseradus

بها المقام إلى بلدة قُوْزْ رَجَبْ بأعالي نهر عطبرة حيث توفيت هناك[156].



قبة الشَّيْخ العبيد وَدْبَدُرْ والد السَّيِّدة ريا

برة بِتْ الشَّيْخ محمد أبوسقرة

والدها العارف بالله الشَّيْخ محمد أبوسقرة، العباسي أباً والركابي أمّاً. و الشَّيْخ أبوسقرة (ت.1932) يعد واحداً من كبار رِجَال السند القادري الكباشي في السُودَان، وهو صاحب المِسِيد المشهور بمدينة الهلالية. والدته السَّيِّدة الشَّيْخة التقية الصَّالِحَة نفيسة بِتْ مدني، وعند وفاتها وهو في صغره قامت بتربيته خالته السَّيِّدة اللقية بنت مدني والتي ينتهي نسبها عند الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب رضي عنه وكرم الله وجهه وهو ابن عم رسول الله صلي الله علية وسلم وزوج السَّيِّدة فاطمة الزهراء عليهم السلام. تزوج الشَّيْخ أبوسقرة بنت خالته حليمة التي أنجب منها بنته الكبرى برة. وقد رزق الشَّيْخ أيضاً بكل من صفية وفاطمة بنت البَدْوِيّ. وقد جاءت مآثر السَّيِّدة برة وعظم مكانتها في مَسِيد أبيها الشَّيْخ أبوسقرة حافلة عبر الأزمان وباتت حديث الركبان. فقد عرفت بالحكمة وسداد الرأي، مع تمتع بقوة

156-عمر بشير. بين رياً وهدية أمهات واهبات (2- 3). منشور بتاريخ 21/3/3102م على الرابط http://www. sudaress.com/alintibaha/31929

الشخصية، وأيضاً ما يروى عن سيرتها ومسيرتها كاواحدة من ركائز مَسِيد الشَّيْخ والدها بأنها كانت ذات هيبة عظيمة تجاه الفقراء، بل أنهم يرونها في الهيبة والإجلال كأبيها. فهي كانت من يدير مَسِيد أبيها حال دخوله للعبادة والتبتل في غاره الشهير بمَسِيد ه بالهلالية. فهي للفقراء وقاصدي الشَّيْخ حال غيابه في غاره ملجأ لهم، فهي لهم المعين لحلة المشاكل. وكحال مسايد الصُّوفِية في البِلاد والتي لا تنقطع عنها أقدام الزائرين وأصحاب الحاجّة فقد كانت الصَّالِحَة برة هي من يقوم بالإشراف على ضيوف أبيها، فقد عرف عنها اهتمامها الشديد وعنايتها الكبيرة بالضيوف القاصدين مَسِيد والدها العارف بالله الشَّيْخ أبوسقرة. ومن شدة حرصها على الإكرام والنفقة فقد أثر عنها مقولة: «كترو الأكل والشراب للصيوف، نحنا كرمنا فاق حاتم، نحن أولاد أكرم الناس»، إشارة إلى عزيز وعظيم نسبها الشَرِيف.

وعند رحيلها إلى دار البقاء كان عمرها رضي الله عنها وعن أبيها وأحد وستين عاماً، وقد وريث الثري داخل قبة والدها الشَّيْخ أبوسقرة بالهلالية.



قبة الشَّيْخ أبوسقرة والد السَّيِّدة برة

مَرْيَم الميرغنية 1886–1952م:

تقول كتب التَارِيخ إنها الشَرِيفة السَّيّدة مَرْيَم الميرغنية ابنة السَّيّد محمد هاشم بن السَّيّد محمد عُثْمَان الميرغني الختم؛ مؤسس الطريقة الختمية النورانية. ووالدتها هي فاطِمَة أَحْمَد عاولي؛ تنتمي إلى أعرق بيوتات الأرْتيْقَا البجاوية القاطنة بمدينة سواكن. وهي عمة السَّيِّد علي، وهي والأكبر سناً في جيلها من البيت الميرغني، ولدت في العام 1287 من السنة الهجرية الموافق 1886م، قرأت القُرْآن وعلوم الفقه في زاوية جدها السَّيِّد محمد عُثْمَان الميرغني الختم، التي أنشأها خصيصاً لتَعْلِيم النِّسَاء أمور دينهن[157].وهى زوجة السَّيِّد محمد عُثْمَان تاج السر الميرغنى صاحب ضريح سواكن. توفيت عام 1371 هجرية الموافق 1952م، ولم ترزق خلال حياتها بأبناء، لكنها جعلت من المساكين واليتامى والأرامل وأبناء السبيل أبناءً لها، فعاشت حياتها فى عمل الخير والبر والإنفاق، فحفظ لها الناس هذا الصنيع. وظلت ذكرى رحيلها محضورة بالناس الشاكرين لها هذا الصنيع[158].

أصبحت مَرْيَم الميرغنية رائدةً في العمل النسوي سابقة لعصرها. ولأن للطرق الصُّوفِية في السُودَان نفوذاً اجتماعياً واسعاً محاطاً بالقبول، فإن مَرْيَم المتَصَوْفة ما كانت لتستطيع فعل ذلك بدون هذا الارتباط.

لم يعرف السُودَانيون حضوراً لنساء «البيت الميرغني» في السياسة والعمل العام بتاتاً، ولا ترد سيرتهنَّ في مجالس المدينة، لكن سيرة مَرْيَم الميرغنية أو ‘‘الشَرِيفة مَرْيَم «، إحدى نساء هذا البيت، حاضرةٌ في المشهد العام في حياتها ومماتها، وعلى نحو خاص في أقصى شرق السُودَان حيث مولدها ونشأتها وتأثيرها الاجْتِمَاعيّ الطاغي .وعلى الرغم من أن مَرْيَم عاشت في زمن لم تكن فيه الْمَرْأَة تخرج حتى للتَعْلِيم بحكم المجتمع الذي نشأت فيه وهو مجتمع شديد المحافظة، مبالغ في حساسيته تجاه النِّسَاء، إلا أنها استطاعت ودون وقوع أي شكل من الصدام المجتمعي، أن تحقق أثراً لافتاً في

sptth-157://www.koobecaf.moc/aemtakh/sotohp/%8D%4B%8D%48%9D%7A%8DA8%9D%1B%%A8%9D%18%9D%9A%8D-%A8%9D%1B%8D%58%9D%58%9D-%A8%9D%58%9D%48%9D%7A%8D%AB%8D%1B%8D%A8%9D%68%9D%%8D58%9D%3A%8D%9A

158-محَمْد بدرالدين. الشَرِيفة مَرْيَمَ الميرغنية سيرة إمرأة سودانية خالدة. على الرابط sptth://www.abokarla.ten/3132-9A%8D%18%9D%A8%9D%1B%8D%4B%8D%48%9D%7A%8D/%16

شرق السُودَان بشكل خاص. وذكراها السنوية، وهي من أكبر التجمعات البشرية في السُودَان تؤكد هذا التأثير، ويحيها الرِجَال والنِّسَاء على حدٍ سواء. إذاً، كيف تمكنت من هذا الانفتاح وبذل الدعم لكافة الناس وهي في مجتمع منغلق، بالكاد تستطيع فيه الْمَرْأَة الخروج من البيت؟ بحسب سيرتها، فإن وفاة زوجها شكلت نقطة تحوّل في حياتها، ويؤرخ الكتاب الذي وثق سيرتها بداية نشاطها الاجْتمَاعيّ مع وفاة زوجها. يقول الكاتب وهو خليفة في الطريقة الختمية: إن زوجها – ابن عمها – حضر إليها قبل ليلة من وفاته، وقضى معها الساعات الطوال، – سماها الكاتب «جلسة الوصايا العظيمة» – وبعد انفضاض الجلسة، خلعت مَرْيَم كل زينتها وبدأت مرحلة جديدة في حياتها، بذلت فيها ما تملك في خدمة المساكين والمحتاجين» وسُميت «أم المساكين» لكثرة إنفاقها عليهم.

بذلت مَرْيَم نصيبها الذي ورثته عن أملاك البيت الميرغني في الحجاز خدمةً للمجتمع، بينما التزمت هي زهداً صارماً في مظهرها ومأكلها ومشربها ومسكنها، وهي الغنيّة بمحبة أهْلها ومجتمعها. ومما يُذكر في زهدها أنها لم تكن تتزيّن بأي حُلى إلا بوضع دبوس صغير على الأنف وهو ما يُعرف بـ «الزمام"، بينما كان لبسها ثوباً أبيضاً، كانت تحرص على أن تقص منه قطعة ثم تعيد خياطتها فيصبح الثوب مرقوعاً، وترقيع الثياب عند الصُّوفِية هو دلالة زهد وتقشف. وكانت مَرْيَم تسكن في بيت من الطين، أو ما يُعرف في السُودَان بـ»الجالوص» وهو طين مخلوط بروث الأبقار، بينما كانت تشيّد لمن حولها بيوتاً من الحجارة والطوب، وكانت تغدق على النِّسَاء العاملات معها بالعطايا الثمينة من حُلي وثياب.[159]

ومن خلف هذه القيود الدينية والاجْتمَاعيّة، استطاعت مَرْيَم أن تكون فاعلةً في تشييد عدد من المساجد والمدارس في مناطق سواكن، مصوّع، جبيت، سنكات، سلوم، تهاميام وتلجريب. وبحسب سيرتها، كانت تجتهد في تَعْلِيم النِّسَاء، ويُذكر أنها أوفدت بعض النِّسَاء للتَعْلِيم ثم أصبحن قابلات في مناطقهنَّ يساعدن النِّسَاء على الولادة الأَمَنَة. أسهمت مَرْيَم بقدر في عملية التَعْلِيم، وأسست مع آخرين عدداً من المدارس، منها «المدرسة الأهْلية» في بورتسودان، وتذكر سيرتها أنها كانت تتحمل

159–شمائل النور. مَرْيَم السُودَانية... كيف سبقت عصرها من «وراء حجاب»؟!. مقال منشور على صحيفة السفير العربي على الرابط 0/30/2202/58734/ra/moc.ibararifassa//:sptth

أعباء رواتب عدد من المعلمين. لكن مناطق شرق السُودَان تُصنف ضمن الأعلى نسبةً في الأميّة والتسرب المدرسي، ولا تزال الْمَرْأَة هناك، خاصةً في الأرياف، مكبلةً بالقيود الاجْتمَاعيّة.[160] كان زهدها في الدنيا وأمورها الفانية يتبدى في كل أحوالها وتصرفاتها، إذ لم يكن لباسها يتعدى ثوباً أبيض من الشاش، وكانت من عادتها حين تشتري ثوباً جديداً لا تلبسه إلى بعد ان تقتص منه قطعتين وتعيد حياكتهما فيصبح (مرقوعاً) وهو جديد، أما حليها فلم تكن إلا دبوساً صغيراً تضعه على أنفها، وما كانت مساكنها الخاصة إلا من الجالوص كعامة مساكن الناس حولها، ولم تكن تلك المظاهر التقشفية اضطرارية لكنها اختياراً ذاتياً يتجاوز التعلق بالفانيات من متاع الغرور، زهداً فيما ينبع من معرفة حقيقتها وحقارتها وسرعة زوالها، ففارقتها، وهذا التقشف الذي الزمت به الشَرِيفة مَرْيَم نفسها لم يحول دون أن تؤثر من حولها من النِّسَاء بأفخر الثياب الحريرية الملفحة أطرافها بألوان ذهبية، وكان تسبغ على حشمها وخدمها الذهب المجمر وحجول الفضة المطعمة بالذهب، ولم يحل اختيارها منزلاً من الجالوص دون أن تبني لغيرها من أهْل بيتها منازل من الحجارة والطوب الاحمر. كانت تأخذ لنفسها بالشدة بينما ترفق بالآخرين، كأنما تتمثل فعل جدها الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام حينما كان يواصل الصيام فأرادوا أن يقتدوا به فيمنعهم، فيقولون:(أنت تفعل ذلك)؟ فيقول صلى الله عليه وسلم:(لست كأحدكم، فإني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني)، وهي مقولة يمعن فيها الإيثار للغير على النفس وإكرام الضيف والتصدق[161].

اشتهرت الشريفة مَرْيَم بالتصدق وإكرام الاضياف وكان كرمها يتعدى إلى الذين لم يقصدوا منازلها على وجه الخصوص، ويقال إن الإمام السَّيِّد عبد الرحمن المهدي كان يقصد مصيف أركويت للاسترواح بين الحين والاخر فكانت الشريفة تحتفي بمقدمه وتقوم بواجبها المضياف، وفي ذات مرة حضر بعض الأساتذة والطلاب من كلية غردون في منتصف الثلاثينات في رحلة شملت مدينتي بورتسودان وسواكن ومصيف أركويت، قال الراوي: (حينما وصلنا أركويت استقبلنا لوري محمل بالخراف ومأكولات وصفائح من الطحنية والجبنة والسمن ورغيف وكراتين من معلبات الفاكهة، وحينما

160-المصدر نفسه.

161-المصدر نفسه.

استفسرنا عن مصدرها قالوا: إنها كانت ضيافتكم من الشريفة مَرْيَم الميرغنية).
وكانت الشريفة تكرم أيضاً الوافدين إليها من الضيوف، وبعد إكمال إقامتهم تتكفل بنفقات عودتهم من تذاكر وطعام للعودة. وتحكى في ذات السياق قصة شهيرة مفادها أن ناظر محطة السكة حديد في سنكات كان من أهْل الاعتقاد والصلة العامرة بالشريفة مَرْيَم، وكانت من وقت لآخر ترسل إليه أن يعطي كذا تذكرة لكذا أشخاص، وتحاسبه بالجملة بعد فترة، يقول ناظر المحطة:(حضر إلى ذات يوم أعرابي من عامة أهْل البادية البجاوية وناولني كيساً به نقود، وقال لي: ضعها عندك أمانة، وكان شخصاً لم تكن لي به سابق معرفة، فوضعتها في الخزانة ومضى إلى حال سبيله. يقول ناظر المحطة: فجأة يهبط على المراجع الإنجليزي منزعجاً من وجود عجز بالخزينة يتساوى وقيمة التذاكر التي كلفتني بها الشريفة مَرْيَم، فألهمني الله أن أخرج أمانة الإعرابي وأعدها فإذا هي بالضبط قدر العجز المطلوب، لا يزيد ولا ينقص فترك عندي المراجع زيادة تشير إلى سلامة خزينتي وسافر، أما الإعرابي فلم أره بعد ذلك).
لم تخص بعطائها أهْل الاعتقاد بل تجاوزتهم إلى أهْل الانتقاد، وحكى رجل شهير شديد الإنكار لأهْل التَّصَوُّف عموماً وللسادة الميرغنية خصوصاً قال:(وضعت زوجتي وأنا في ضيق حال شديد، ولم أكن أملك شيئا أسد به الواجبات المعمورة في المناسبات الشبيهة، وبينما كانت تستولي على الحيرة طرأ على خاطري اللجوء للشريفة مَرْيَم، فجئت ليلاً وطرقت بابها وأنا في حالة تخفي، ولما فتح الخليفة الباب قلت له: قل للشريفة إن أحداً من أفراد قبيلة النوراب يريد مقابلتكم – ولم يكن هو كما ادعى، لكنه يعلم أن أفرادها — النوراب، وهم شديدو الولاء للمراغنة – ولذلك حسب أن الأبواب تفتح لهم أسرع مِنْ سواهم – قال الرجل:(دخل الخليفة ثم عاد بعد مدة وجيزة وناولني مبلغ 5 جنيهات، وهو الذي كنت أحتاجه لفك عسرتي، وقال لي الخليفة: الشريفة قالت اعطوا النورابي هذا المبلغ وقولوا له: المقابلة إن شاء الله في وقت آخر).
وامتد كرم الشريفة مَرْيَم إلى أولئك الذين يستحون من الوقوف ببابها فكانت تحرص على تفقد المجتمع وتسأل عن أحوال الناس وتتعرف على طوارئ الأسر وحاجتها حتى إذا انتصف الليل استدعت إليها شخصاً معيناً، من حاشيتها كان

رسولها لتلك المهام الخاصة، ويدعى الخليفة حسن حسين، تطلب منه طرق أبواب معينة ليسلم أهْلها أمانتهم عيناً أو نقداً. ومن نفقاتها في سبيل الله ما يرويه الشَرِيف محمد نور – رحمه الله- خطيب مسجد سنكات والعلامة في المذهب الشافعي ويقول:« استدعتني الشريفة مَرْيَم ذات مرة وطلبت مني البحث عن شخص مؤتمن له نية الذهاب إلى الحج لترسل معه مالاً يشتري به منزلاً باسمها يكون وقفاً لله تعالى لزوار ومجاوري الرسول عليه الصلاة والسلام ولطلبة العِلْم في المدينة المنورة، على أن يكون نصفه الآخر مصلىً. يقول الشَرِيف محمد نور إنه حمل الأمانة للحاج مسعود محمد من تجار بورتسودان ومن مقدمي الطريقة التجانية، فأنجزها على خير وجه وحضر إلى سنكات فذهبنا أنا وإياه إلى الشريفة الميرغنية ووضعنا بين يديها الخرائط والوثائق، وبعد أن اطلعت عليها واطمأنت، التفتت إلينا وقالت:(هل يرانا أو يسمعنا غير المولى جل جلاله؟)، قلت لها: «لا»، فمزقت الوثائق والمستندات وأضرمت فيها النار ثم قالت:« لا تحكيا ذلك لأحد ما دمت على قيد الحياة). ومن إنفاقها في سبيل الله وابتغاء مرضاته تشييدها المساجد في مصوع وجبيت وسنكات وسلوم وتهاميام وتلجريب، وتأسيسها زوايا للنساء في سواكن وسنكات وإنشاء خلاوي القُرْآن في جميع مساجدها، وتعيين لها حفظة كتاب الله، حتى العرب الرُحَّل كانت تعين لبعضهم مشايخاً يصحبونهم أينما حلوا يعلمونهم أمور دينهم ويفتون لهم في المعضلات التي تواجههم.

لم تكن الشريفة مَرْيَم تبارح إلى خارج مدن سواكن، سنكات وجبيت، إلا نادراً، إذ سافرت مرة واحدة إلى مصوع لزيارة والدها الذي تركها في بطن أمها ولم يشاهدا بعضهما فاحتفى بمقدمها وأكرم وفادتها، وقيل إنه نوّه بعظيم قدرها ورفعة مقامها عند مولاها، ثم سافرت مرة أخرى بعد وفاة والدها لتشرف على بناء قبة على ضريحه، وقبل إكمال بنائها أتاها خبر مرض زوجها السَّيِّد محمد عُثْمَان تاج السر الميرغني بسواكن فقطعت زيارتها لميناء مصوع بعد أن أوصت بإكمال القبة وذهبت إلى سواكن لتعتني بزوجها[162].

هذا وبعد حياة مباركة وحافلة بالعطاء توفيت الشريفة السَّيِّدة مَرْيَم رضي الله عنها إلى رحمة مولاها بعد عودتها من مصر سنة 1371 هجرية الموافق 1952 ميلادية ،ودفنت

162–مزدلفة مُحمْد عُثْمَان. أم البركات: الشَرِيفة الميرغنية.. ''ستي مَرْيَمَ يا منجدي''.

بسنكات بجوار مسجدها ومَسِيدها العامر في جنازة لم يشهد الشرق لها مثيلاً، وقيل في رثائها القصائد الكثيرة، وتأسف الناس على وفاتها في مشارق الأرض ومغاربها[163]

كتب البروفيسور أَحْمَد إبْرَاهِيْم أبوشوك في معرض حديثه في مقال له عن البروفيسور والمؤرخ السُودَاني الشهير يوسف فضل:» وقفت ملياً عند عبارة أم يُوسُف له وتنبؤ السَّيِّدة مَرْيَم الميرغنية له. جاء أمه حزينًا لأنه لم يقبل في مدرسة أولية ما. وقال لها: إنهم تجنبوه لربما لأنه قصير القامة. قالت له:»القصير بطول». وقالت له السَّيِّدة مَرْيَم حين زارها مع أسرته: إنه سيكون «صاحب كِتِبْاتْ كُتَارْ''، أي: كُتُباً كثيرة. وقد شاء الله. فليُوسُف 21 كتابًا في العربية، و8 في الإنجليزية، و9 كتب تحت الإعداد والطبع، و59 ورقة علمية بالعربية، و29 في الإنجليزية. وكتب مقدمات ومراجعات لـ30 كتابًا[164].



خلوة لتحفيظ القرآن للشريفة مريم بسنكات

163- أحْمَد كرموش. الشَرِيفة السَّيِّدة مَرْيَمَ الميرغنية. على الرابط http://www.khatmiya.com/vb/showthread.php?t=4943.

164- أحْمَد إبْرَاهِيْم أبوشوك. المؤرخ يوسف فضل حسن: رصانة الكسب وجزالة العطاء..على الرابط https://sudanile.com/%d8%a7%d9%84%d9%85%d8%a4%d8%b1%d8%ae-%d9%8a%d9%88%d8%b3%d9%81



السَّيِّدة مَرْيَم الميرغنية

فرَح بيتاي:

إن لإسرة الشَّيْخ علي بيتاي (1930– 1978م) دوراً كبيراً وإسهاماً عظيماً في المشاركة الفاعلة في نشر تَعْلِيم وحفظ القُرْآن الكريم في مناطق شرق السُودَان. وتعتبر همشكوريب واحدة من أشْهَر بقاع وعواصم تدريس وحفظ القُرْآن الكريم في البِلاد. ولعل شهرة المكان من ورائها الخلوة، هذه المؤسسة الدينية العريقة ذات التَارِيخ التليد يرجع إلى الجهود المباركة، التي قام بها الشَّيْخ علي بيتاي وشقيقته فرح بيتاي التي اهتمت بنشر التَعْلِيم الديني وحفظ القُرْآن الكريم، وسط العنصر النسائي في المنطقة وماجاورها من مناطق. وعن عن هذه السَّيِّدة الصَّالِحَة والمباركة كتب الأُسْتَاذْ الطيب محمد الطيب في سفره الموسوم بـ «المِسِيد « ما يلي: «الشَّيْخة البرة أم الفقراء الحافظة القانتة فرَح بنت بيتاي هي شقيقة سيدنا علي بيتاي والقائمة فيما يتصل بأمر النِّسَاء الدارسات والطالبات، وقد وهبها الله الصبر على المكاره، وكانت

وما زالت متفانية في خدمة مَسِيد سيدنا علي بيتاي، فهي المعلمة الأكبر بالنسبة لمعلمات القرآن، والمستشارة للشَّيْخ في عموم شؤون المِسِيد، ومابرحت رغم تقدم العمر تعمل بهمة لا يعوقها الكسل ولا يمسها الفتر[165].



الشَّيْخ علي بيتاي شقيق الشيخة فرح بيتاي «خلاوي همشكوريب»

آمِنة بنت وهب بنت الشَّيْخ محمد المبارك:

السَّيِّدة آمِنة بنت الشَّيْخ محمد المبارك هي والدة الشَّيْخ والعالم ذائع الصيت الشَّيْخ أبي القاسم أَحْمَد هاشم، المولود ببري المحس في العام 1856 والمتوفى في العام 1934م وهو شيخ العُلماء ومؤسس المعهد العِلْمي. والده الشَّيْخ أَحْمَد هاشم العالم الجليل والقاضي الفقية، قاضى الخرطوم وبربر والتي كانت في ذلك الوقت مدينة شهيرة زاخرة برِجَال العِلْم والعُلَماء.

وآمِنة والدة عالمنا الجليل هي السَّيِّدة آمِنة محمد المبارك عمر (بنت وهب، الفقيرة)، ووالدها محمد المبارك عمر شيخ القُرْآن المعروف ببرى المحس وقرى أم مغد والتي. قيل أن الشَّيْخ أَحْمَد هاشم سمعها وهي تتلو القُرْآن عند ما زار والدها في برى المحس، وكان عمرها تسع سنوات فخطبها، ثم بنى بها عندما بلغت الثالثة عشرة

165-الطيب مُحَمَّد الطيب. المَسِيد. دار عزة للنشر والتوزيع. 5002م ص453.

من عمرها .وقد اشترطت عليه تدريسها كتاب (مختصر خليل) في الفقة و(صحيح البخاري) في الحديث.[166]

في كتابه الشهير «رواد الفكر السُودَاني» كتب الأُسْتَاذْ محجوب عمر باشري عنها وهو يوثق لابنها الشَّيْخ أبي القاسم هاشم قائلاً:»كانت أمه تجادل زوجها في الفقه، فعندما ناقشته في الرعاف اتجهت لرأي ابن القاسم ورأي سحنون، وسمَّتْ ابنها الثالث باسم يوسف، وكانت قد وقفت على سورة يوسف في حزبها اليومي في ذلك اليوم»[167].



حفيد الشَّيْخة آمِنة قاضي القضاءة محمد أبوالقاسم أَحْمَد هاشم

آمِنة الشَّيْخ المُكاشِفي (ت 1937م):

هي السَّيِّدة آمِنة بنت الشَّيْخ المكاشِفي، أبوها هو المؤسس للمركز المكاشِفي القادري بـ»اَلشِّكِيْنِيبَةْ»، وهو من أشْهَر ومن كبار أولياء الله في أرض السُودَان. وتعتبر «آمنة» أول مولودة له. وبهذه الخلفية فإنها نشأت نشأة دينية على المنهج الصُّوفِي.

166- https://www.facebook.com/sudfigures/posts/1023916147626869/

167- محجوب عمر باشري. رواد الفكر السوداني.

حيث تقف مثالاً وشاهداً لِلْمَرْأَة الصَّالِحَة، التقية الزاهدة، العابدة، العالمة والمتفقة. حفظت القُرْآن الكريم داخل مَسِيد أبيها الشَّيْخ المكاشِفي. ويعتبر والدها الشَّيْخ أستاذها ومصدر تَعْلِيمها الديني الأول والذي عبره كانت قد تميزت وعرفت به في أواسط بلدتها والمناطق المجاورة لها. وقد ورد في سيرتها أنها حفظت مختصر خليل باللوح والذي به (12) ألف مسألة فقهية تحت إشراف أبيها الشَّيْخ المكاشِفي. وبحكم خلفيتها العِلْمية الفقهية المميزة فقد ورد أنها أيضاً كانت — وهي من وراء حجاب – تجيب لمن أتى إلى أبيها الشَّيْخ مستفتياً ومستفسراً عن مسألة فقهية[168].

وكما أسلفنا فإنها كانت مثالاً لِلْمَرْأَة الصَّالِحَة الصوامة الذاكرة لله، فقد ورد عنها أنها كثيرة الصلاة، كانت تكثر من صلاة النوافل، حتى حكى أنها كانت في ترحالها إذا ما مرت بشجرة كانت تقول لمن هو في صحبتها «هذا المكان يِسْتَاهَل لَيْ ركعتين»، أي يستحق مني ركعتين، حيث تأخذ إبريقها وتشرع للوضوء ثم الصلاة في ذات المكان. كانت رضي الله عنها ذات كرامات عديدة ولعل ذاكرة أهْل المنطقة تحفظ لها الكثير منها، تلك التي أجراها المولى عزَّ وجلَّ على يديها. وحتى بعد رحيلها كان من يأتي إلى الشَّيْخ طالباً قضاء أمر له، كان الشَّيْخ يوجهه بأن يذهب إلى قبرها ويسأل مسألته.

تزوجت رضي الله عنها من ابن عمها الشَّيْخ الطريفي بن الشَّيْخ أَحْمَد ودَّ الشَّيْخ حاج عمر، وأنجبت منه ابنها الْوَلْي الصالح الشَّيْخ اْلنيِّلْ. كان لها دور اجتماعي مشهود في المنطقة حيث أنها كانت وعلى الدوام في صدارة القيام بأمر كل مناسبة اجتماعية في البلدة من زواج وغيره.

كانت السَّيِّدة آمِنة محط إعجاب وإعزاز عند أبيها الشَّيْخ، ولحبه لها فقد سمى – وبعد وفاتها – ابنة له باسمها «آمِنة». انتقلت السَّيِّدة آمِنة الى الرَّفِيقِ الأَعْلَى في العام 1937م ولها من العمر ست وعشرون، وقيل أربع وعشرون عاماً، قبل رحيل أبيها الْوَلْي الكامل الشَّيْخ المكاشِفي بعشرين سنة. وقد حملت مقابر الشكينيبة اسمها حيث تعرف باسم «مقابر أم اْلنيِّلْ»[169].

168- مقابلة مع الأُسْتَاذْ إيهاب الشيخ موسى المُكاشِفي. الخرطوم عبر تسجيل صوتي بتَارِيخ 1/مايو/2202م.

169- المصدر نفسه.



الشَّيْخ المكاشِفي والد السَّيِّدة آمِنة

الليمون بِتْ إدريس ت 1948م:

والدة الشَّيْخ عبد النور والأُسْتَاذْ الشَّيْخ عَبْد الْمَحْمُودْ والشَّيْخ عبد الجبار أبناء الشَّيْخ نور الدائم. جاء في كتاب «الأُسْتَاذْ الشَّيْخ عَبْدُالمِحْمُودْ حياته وآثاره» للشَّيْخ عبدالجبار المبارك عن ترجمة الْمَرْأَة الصَّالِحَة الليمون ما يلي:»هي الليمون بنت إدريس بن أَحْمَد الملقب بالضرغام بن الملك آدم بن الملك عمر «أبو زنتر» بن الملك قيلي أبو قرون، ينتهى نسبها عند العباس بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تزوجت من الشَّيْخ نور الدائم خليفة الشَّيْخ أَحْمَد الطيب البشير مؤسس الطريقة السَّمَّانية في السُودَان ومصر. كانت لرحلتها من أم طريفي (وَدْرَمْلِيْ) حيث مولد أبنائها الثلاث – ومن ثم إلى «طيبة الشَّيْخ القرشي»، ثم إلى «أم طرفاية» وأخيراً إلى «طابت» حيث أكمل ابنها الْوَلِي الكامل تأسيس مَسِيده بها – الأثر الكبير في التحول الذي طرأ على تَارِيخ السَّمَّانية في البِلاد. حيث من خلال هذه الرحلات المباركة والتي كان محط استقرارها الأخير بـ»طابت» الأثر في ميلاد أكبر منارة روحية

وعلمية للسمانية، نتج عنها ميلاد العديد من البيوتات التي باتت بسندها تتبع للشَّيْخ عَبْد الْمَحْمُودْ ومن ثم إلى مشيخة طابت[170].

ففي «أم طريفي» أمضت السَّيِّدة الليمون فترة قصيرة من الزمان حيث انتقل زوجها الشَّيْخ نور الدائم إلى الرَّفِيقِ الأَعْلَى، تاركاً لها أبنائه المباركيين. وبعد وفاة الشَّيْخ نور الدائم كان الخليفة الشَّيْخ الصديق بن الشَّيْخ نور الدائم وخليفته حفياً بها وبأبنائها، وهم أخوته لأبيه حيث كان يُعنى بهم ويشرف على تحفيظهم القُرْآن براوية أبي عمر حفص بن عمر الدوري لقراءة أبي عمرو بن العلاء البصري، حيث بدأ إخوانه أبناء الليمون قراءة القُرْآن في خلوة أبيهم الشَّيْخ نور الدائم في أم طريفي مسقط رؤوسهم، ورأس أبيهم الشَّيْخ نور الدائم حيث جده لأمه وأخواله من الجميعاب.

وبعد مدة تغيرت أحوال الخلوة وقامت بالشَّيْخ الصديق عوامل نأت به عن الديار وشغلته عنها، فآثرت السَّيِّدة الليمون أن ترحل بأبنائها إلى الشَّيْخ القرشي ودَّ الزِيْن في «طيبة» من أرض الحلاويين بالجزيرة وكان ذلك في عام 1275هـ[171].

وقد كانت السَّيِّدة الليمون تلاحظ مايتصف به الشَّيْخ القرشي من خلق رفيع في معاملة الشَّيْخ نور الدائم وأبنائه، كما أن الشَّيْخ القرشي كان على علم بمكانة السَّيِّدة الليمون عند الشَّيْخ نور الدائم ولهذ أملت السَّيِّدة الليمون أن تعيش حياة كريمة حتى تربي أولادها تربية راشدة في رحاب هذا الشَّيْخ الوارث، لاسيما وهو من أبكار شيخ الطريقة وكبار من أجازهم القطب لمشيخة الطريقة والإرشاد فيها، وقد تحقق أمل السَّيِّدة الليمون في سيدي الشَّيْخ القرشي ودالزين. كان الشَّيْخ القرشي يعامل السَّيِّدة الليمون معاملة خاصة فيها من الإكرام والإعزاز ما يليق بها. وقد أكبر الشَّيْخ القرشي وَدْ الزين ثقة السَّيِّدة الليمون فيه ليكون مرشداً ومربياً لأبنائها، وقد اشتهر أن الشَّيْخ القرشي من أكبر ورّاث أمانة القطب سيدي أَحْمَد الطيب في الطريق السَّمَّاني، ولهذا تراه وقد عُنى عناية خاصة بأبناء الشَّيْخ نور الدائم، حيث عاشوا في كنفه حياة مستقرة لا ينقصها من كريم العيش وعزيز المكانة شيء، فقد وجدوا مايغذي الأبدان والأرواح على السواء. كل ذلك الذي كان أملاً من السَّيِّدة

170-عبد الجبار المبارك. الأُسْتَاذْ الشَّيْخِ عَبْدُ المَحْمُودْ نور الدائم حياته وآثاره. الخرطوم، 4002، ص033.
171-المصدر نفسه 333.

الليمون حيث قصدت واختارت أن ترحل بأبنائها إلى سوح سيدي الشَّيْخ القرشي رضي الله عنه، وقد تحقق بفضل الله في واقع حياتها وحياة أبنائها. وفي هذا الاختيار من السَّيِّدة الليمون ما فيه من بعد النظر وعلو الهمة والحزم والأنفة والإباء. حيث لم تزل قائمة على أمر بنيها حتى جعلت منهم بعون الله ومشئيته شموس هداية ومنارات رشد ومعالم طريق، يقود إلى مدارج الإحسان ومعارج التقى، حيث طالت قاماتهم في سماء الأمجاد حتى طال الناس بطولهم. كل ذلك بسعي وجهد من السَّيِّدة الليمون ذات الأصول الكريمة والحسب المقيم[172].

وقد انتقلت السَّيِّدة الليمون إلى الرَّفِيقِ الأَعْلَى ووريت الثرى بـ«طابت» في العام 1948م.



مَسِيد الشَّيْخ عَبْد المحْمُودْ نور الدائم ابن السَّيِّدة الليمون

الرِّسَالَة بِتْ الماحي:

هي الرِّسَالَة بِتْ الماحي الجعلية السروراببية، ولدت بقرية دَلَّوَتْ ريفي رفاعة، فنشأت وترتبت تحت ظلال أسرتها التي كانت تقطن المنطقة منذ زمن طويل. وهي من نساء الوطن الصَّالِحَات العابدات والتى خلدتهن صفحات الوجود الصُّوفِي بالبِلاد. تزوجت السَّيِّدة الرِّسَالَة من الْوَلِي الكامل الشَّيْخ البشير وَدْ نور الدائم (ت 1919م)، حفيد

172-المصدر نفسه 433.

مؤسس الطريقة السَّمَّانية في السُودَان ومصر الشَّيْخ أَحْمَد الطيب البشير (1742-1824). ومن زواجهم المبارك رزقهم المولى عز وجل بفريد عصره العارف بالله الشَّيْخ السَّمَّاني الشَّيْخ البشير (1850-1967م)، مؤسس طابت شرق وأم عِيْدَان. فهي بهذا الوصف زوجةٌ لولي وأمٌ لعارف بالله.

كان لأم الفقراء الرِّسَالَة بِتْ الماحي دورٌ كبيرٌ في رحلة ومسيرة أبنها الوحيد الشَّيْخ السَّمَّاني الروحية المباركة، وكما قيل وراء كل عظيم امرأة، فقد كانت دوماً حريصة على نشأة الابن كحال أسلافه وآبائه الصالحين، وقد كان، حيث بمرور الوقت وحال تأسيسه لقريته «طابت الشَّيْخ» التي أسماها على طابت التي أسسها عمه العارف بالله الأُسْتَاذْ الشَّيْخ عَبْدُ المِحْمُودْ تلك البقعة السَّمَّانية والتي باتت مركزاً للتنوير الصُّوفِي في البِلاد.[173] ويبدو أن مكانة ودور الصَّالِحَة الرِّسَالَة بِتْ الماحي مع ابنها تؤكدها الرواية والتي باتت من أحاديث المتواتر، أن الشَّيْخ البشير كان قد ذهب بأبنائه - ومنهم الشَّيْخ السَّمَّاني - إلى زيارة عمهم الأُسْتَاذْ الشَّيْخ عَبْد المِحْمُودْ في مقره بـ»طابت»، وقد قيل إن الأُسْتَاذْ الشَّيْخ عَبْد المِحْمُودْ وفي أثناء الجلسة كان قد خاطب الشَّيْخ إِبْرَاهِيْم بن اخيه الشَّيْخ السَّمَّاني بأنه إذا ما دخل خلوة الأربعين سوف يعطه مقام الصديقية، وقيل إن الشَّيْخ البشير كان قد طلب من أخيه الأُسْتَاذْ الشَّيْخ عَبْد المِحْمُودْ أن يعمم ما قاله لابنه الشَّيْخ إِبْرَاهِيْم على جميع أبنائه الذين كانوا في معيته في الزيارة، وقد فعل، بأن قام بتعميم ما قاله لكل أبناء الشَّيْخ البشير في معيته. وحال عودة وفد الشَّيْخ البشير من الزيارة، سألت الصَّالِحَة الرِّسَالَة بِتْ الماحي ابنها الشَّيْخ السَّمَّاني بقولها: «عمَّكم الشَّيْخ عَبْدُ المِحْمُودْ قال ليكم شنو؟». وعندما حكى لها ما قاله مع تكرار قوله: «من يدخل خلوة الأربعين والأربعين لأعطينه مقام الصديقية»، حال سماعها ما قاله الابن خاطبته قائلة: «وإنْتَ راجِيْ شِنُوْ؟». هذه العبارة كانت قد أزفت بميلاد جديد، حيث فزع الشَّيْخ السَّمَّاني إلى خلوته وظل في عبادة مستمرة تحقق له المراد بالفتح والفتوحات.

وقد ساق كثير من الشِّعراء الجياد من القصائد في مدح الشَّيْخ السَّمَّاني، ومن وراءه والدته الصَّالِحَة الرِّسَالَة بِتْ الماحي، منهم الشاعر الفذ النعيم محمد نور (1908-1982) حينما قال:

173- عبد الجليل عبد الله صالح. الشيخ السَّمَّاني الشيخ البشير حياته وآثاره. دار عزة للنشر - الخرطوم 1202م.

بِتَّ الْمَاحِيْ وِلْدَتَكْ يَا صَباحَ الخيرْ
يا جالِسْ عَلِىْ أَمانْةَ الجُدودْ وَالغِيرّْ
ربَّاكَ البَشِيرّْ سِرْتَ بِأَحْسَنْ سِيرّْ
بِتَعْرِفَ الْفِيْ القُلُوبْ وأيضاً حديثَ الطِّيرّْ

وبعد حياة حافلة بجلائل الأعمال انتقلت الرِّسَالَة بِتْ الماحي ملبية نداء ربها راضية مرضية لتوارى الثرى في قبة زوجها الشَّيْخ البشير ود نور الدائم بـ»طابت شرِقْ»[174].



قبر السيدة الرسالة بِتْ الماحي – طابت الشيخ السماني

174- المصدر نفسه.



الشَّيْخ السَّمَّاني الشَّيْخ البشير ابن السَّيِّدة الرِّسَالَة

الزهراء بنت الشَّيْخ السَّمَّاني (1936– 1983م):

هي السَّيِّدة الزهراء بنت الشَّيْخ السَّمَّاني ابن الأُسْتَاذْ الشَّيْخ عبد المحمود الشيخ نور الدائم. ولدت رضي الله عنها عام 1936م. والدها الشَّيْخ السَّمَّاني كان فرداً راسخاً في مقام القرب من الله، زاهداً كريماً سخيّاً يأوي إلى ظله الجميع فيجدون فيه بحر ندىً يفيض جنباته خير وبركة، مع بساطة وبشاشة. كان رضي عنه شجاعاً مهاباً صادقاً مستقيماً كشعاع النور مع الحق دائماً، وكان رضي الله عنه مركزاً قوياً للخلافة وسنداً للخليفة أخيه الشَّيْخ عبد القادر الجيلي الشيخ عَبْدُالمِحْمُودْ:

ذا برٍ وحلمٍ ورحمةٍ   جداولَ للراجينَ كالغيثِ سحَّتِ[175]

في هذه البيئة المترعة بالكرم والدين والأخلاق والشيم والتَّصَوُّف والزهد، ولدت السَّيِّدة الفاضلة الزهراء فورثت كل تلك الصفات، التي كانت لها الأثر الواضح في طريق الرجعى إلى الله بـ»طابت الشيخ عبد المحمود»، يؤهلها لتكون بحق أم القوم وذلك بزواجها من ابن عمها نغم الخلود في طريق الرجعى إلى الله، وخليفة الطريق السَّمَّاني الشَّيْخ عبد المحمود الحفيان (1919–1973م)، فكانت أماً للجميع حباً وكرماً ونصحاً تألفها الأرواح وتحبها القلوب لِما لها من كريم صفاتٍ وكرمٍ وسخاءٍ، وذلك

175–جمال عَبْدُ المَحْمُودْ الحفيان. مسودة ورقية عن حياة السَّيِّدة الزهراء الشيخ السَّمَّاني. بتَارِيخ 2202/11/81م.

مع كل الفقراء لا فرق في ذلك بين بنيها وأبناء الطريق، حيث يجد فيها الفقراء الأم، وقد اختارتها العناية لتكون صاحبة رسالة سامية، وأماً لكبار أئمة الطريق وأقطابه وخلفاء طريق الرجعى إلى الله مع علم وأدب وتواضع. فهي رضي الله عنها أم للخليفة الجيلي (1948–2017م) الذي خلف والده الشيخ الحفيان، وأم للخليفة الحالي الشَّيْخ محَمْد سرور (1967م) والذي خلف شقيقه الشَّيْخ الجيلي على خلافة السجادة السَّمَّانية بمسيد طابت.

وكانت رضي الله عنها تشرف بنفسها على خدمة الوافدين والزائرين والفقراء بهمة وسخاء، وكانت رضي الله عنها مع اهتمامها بذلك تحرص على نصح وتوجيه من يبتن معها من النساء القادمات لـ»طابت» المحروسة، وتقدم لهن من نفسها القدوة في الخلق والمعاملة والكرم، كما يتعلمن منها بعض أمور الدين وتشرح لهم بعض فروض الكفاية فيرجعن بحالة حسنة مِنْ ذي قبل، فيكن أحسن ديناً وأخلاقاً فكان هذا دأبها. وهبت نفسها لله ولخدمة الطريق إلى أن انتقلت إلى ربها راضية مرضية في العام 1983م فسلام الله عليها في الخالدين[176].



الخليفة الشَّيْخ محَمْد سرور وأخيه الشَّيْخ جمال أبناء السَّيِّدة الزهراء الشَّيْخ السَّمَّاني

176- المصدر نفسه.

شعوانة بِتْ الشَرِيف محمد الأَمِين الخاتم:

هي الشريفة شعوانة بنت الشَرِيف محمد الأَمِين الخاتم. سميت شعوانة تيمناً بالعابدة الزاهدة الصُّوفِية شعوانة – ذات الكرامات والخوارق، والتي روي عنها أنها كانت شديدة الخوف من الله تعالى بحيث لا تفتر عن البكاء، والتي كانت تقول: من لم يستطيع البكاء فليرحم الباكين، فإن الباكى إنما يبكى لمعرفته بذنوبه، وبما هو صائراً إليه. إن كثرة الدموع وقلتها بقدر احتراق القلب حتى إذا احترق كله لم يشأ الحزين أن يبكى إلا بكى، والقليل من التذكرة يجزئه. وورد في سيرتها أن الفضيل بن عياض سأل ذات يوم شعوانة العابدة الزاهدة أن تدعو الله له: فقالت له: يا فضيل أما بينك وبين الله تعالى سريرة ما أن دعوته استجاب لك. فشهق الفضيل شهقة وخر مغشياً عليه.

وشعوانة بِتْ الشَرِيف محمد الأَمِين هي شقيقة الشَرِيف النور والشَرِيف التجاني خلفاء السجادة السَّمَّانية بـ» كَرْكُوْجْ». وهي من كبار الصَّالِحَات، حيث كانت تتمتع بمكانة كبيرة عند والدها الشَرِيف محمد الأَمِين.

تزوجت الشريفة شعوانة من ابن عمها الشَرِيف المجذوب بن الشَرِيف الحسن بن الشَرِيف الخاتم، والتي أنجبت منه ثلاثةً من الذكور، وهم؛ محمد (أبو عَنْجَةْ)، ومعتصم، وإِبْرَاهِيْم. وقد اعترتها بعد زواجها حالة جذب عاشت بها طيلة عمرها المبارك وحتى وفاتها. كذلك كان حال أبنائها الثلاث، والذين هم كذلك قد ولدوا مجذوبيين. فهم من أهْل الجذب[177].

وعن إِبْرَاهِيْم تتوالى الغرائب والعجائب فهو له خاصية غريبة وهي أنه ما قال لبنت أريد أن أتزوجك، وإلا وتقدم لها من الشباب من يطلب يدها للزواج، فهو شبيه بشخصية الزين، في رواية الأديب السُودَاني الشهير الطيب صالح (عرس الزين)، فقد كتب الطيب صالح في ذلك ليقول:» وقد أصبح الزين معروفًا في القرية بذوقه في الاختيار، فإذا أشار إلى واحدة وذكرها فسرعان ما يتقدم لها شاب ويتزوجها، وهكذا أصبح ضيفًا معززًا في البيوت تستقبله النِّسَاء حتى يشتهر أمرهن، وهو رسول الحب الذي ينقل عطره من مكان إلى آخر. في شخصيته مظاهر العبث، فمرة يهمز امرأة

177- مقابلة مع الأُسْتَاذْ مناف. «الخرطوم–الشَرِيف النور» عبر تسجيل صوتي، بتَارِيخ 2202/7/92م.

في وسطها، ومرة يقرص أخرى في فخذها، والأطفال يضحكون، والنِّسَاء يتصارخن، لكن صوته الضاحك يعلو الأصوات جميعًا.[178]

والشريفة شعوانة كانت تعتريها أحوال عنيقة، وهي من صالحات هذا البلد، لها مكاشفات وكرامات مشهودة. ويقال إن الشَرِيف محمد الأَمِين اجتمع في لقاء له بالشَرِيف المعمر المكاشِفي في كوستي، وقد علم الشَرِيف المعمر بأن الشَرِيف محمد الأَمِين قد رزق ببنت، فسأله بقوله: الشريفة سميتوها منو؟» عندها رد الشَرِيف للشريف بقوله:»سميناها شعوانة»، قالوا إن الأخير قال:»الله»، كانما تعابير كلامه يفهم منها، أنها بلا شك ستكون مثل سميتِّها، والتي عرف عنها الجذب والعزلة عن الناس. في أثناء زيارتي لمسِيد الشَرِيف بكركوج شاهدتها وهي معكتفة لا تخرج من خلوتها ولا تغادرها[179].



الشَرِيف محمد الخاتم والد السَّيِّدة شعوانة

عزيزة بِتْ الشَّيْخ عَبْدَ الباقِي أبو الشول (ت2007م):

ومن صالحات السُودَان السَّيِّدة عزيزة بِتْ الشَّيْخ عَبْدَ الباقِي أبو الشول بن الشَّيْخ الإمام بن الشَّيْخ عَبْدَ الباقِي المحب أبو شام بن الشَّيْخ الإمام مالك بن الأُسْتَاذْ الشَّيْخ عَبْدَ الباقِي النَّيِّل. فجدها الشَّيْخ عبد الباقي النَّيِّلْ وهو شيخٌ لجملة

178- الطيب صالح. عرس الزين.

179 –مقابلة عبر مكالمة صوتية مع الناظر مراد جعفر شكيلاوي، كسلا، بتَاريخ 2202/7/92م.

من التلاميذ النابهين الذين صاروا شيوخاً مشهورين فيما بعد، منهم الشَّيْخ عوض الجْيِدْ «تُوْرْ عِفِينَةْ»، وهو شيخ الشَّيْخ محمد العبيد بدر (1810—1884م)، والشَّيْخ طه الأبيَض البطحاني، وهو شيخ الشَّيْخ إبْرَاهِيْم الكباشي.

ولدت الشَّيْخة عزيزة وترعرت في كنف أبائها وسلفها الصالح ببلدة «أمْ قَرْقُوْرْ». و»أم قرقور» هذه بلدة صُوفيَّة أسسها العارف بالله الشَّيْخ عَبْدَ الباقِي النيل الذي فاقت سمعته الآفاق، وهي تقع جنوب المناقل.

والشَّيْخة الصَّالِحَة عزيزة هي والدة الخليفة الحالي الشَّيْخ الجيلي، وزوجة الخليفة السابق الشَّيْخ عَبْدَ الباقِي محمد أَحْمَد وابنة الخليفة الشَّيْخ عَبْد الباقِي أبو الشول[180]. كانت امرأة عابدة زاهدة متقشفة كثيرة الصيام والاعتكاف كانت كثيراً ما تدخل الخلوات في مقام جدها الأُسْتَاذْ الشَّيْخ عَبْدَ الباقِي النيّل ومن أوضح ما كان يظهر في تعبدها توحيدها العظيم فكانت لا تدَّخر شيئاً للغد أبداً وكانت لها مقولة حفِظت لكثرة ما كانت تكررها:(بُكْرَةْ الله مَافِيْ عَشَانْ تَلِمُّوْ رِزْقَكُمْ لِيْ بُكْرَةْ؟، رَبْ بُكْرَةْ بجِيْبْ رِزِقْ بُكْرَةْ) وأكثر ما كان يظهر منها مع الزهد والكرم فهي كانت ذات دخل كثير تنفقه قبل المغيب ولها خوارق عادات لا تحصى.

كانت روح المِسِيد، تقابل الزوار ولها تكية مستقلة وهي غير تكية الخليفة، وكانت تقضي الحوائج للمحتاجين وتعالج المرضى. وكان لها فتح وكشف عجيب ومكاشفة لقلوب الحاضرين ومن ذلك أن الوالد الشَّيْخ الخدام الشَّيْخ الأغر تزوج بامرأة وجاء بها بالليل، ورجع السائق فوراً ولم يعلم بها أحد فدخل عليها فباركت له وأخبرته باسمها.

انتقلت رضي الله عنها وأرضاها بعد حياة حافلة ومسيرة وسيرة طيبة صارت حديث الركبان في العام 2007م لتوارى الثرى ببلدة سلفها الصالح «أم قرقور الشَّيْخ عَبْدَ الباقِي النيل»[181].

180- مقابلة مع المُكاشِفي الشَّيْخِ الخدام، عبر الواتساب «سابع دليب–ولاية الجزيرة»، بتَارِيخ 2202/8/11م.

181- المصدر نفسه.



السَّيِّدة عزيزة بِتْ الشَّيْخ عَبْدَ الباقِي أبوشول مع أحد الأحفاد

السَّارَّة بِتَّ الشَّيْخ محمد وقيع الله (ت 2010م):

إنها الحاجّة السَّارَّة بنت الشَّيْخ محمد وقيع الله، شقيقة الشَّيْخ عبد الرحيم البُرْعِيّ الكبرى، وافتها المنية في العام 2010م عن عمر يقارب المائة عام.

ولدت رضي الله عنها سنة 1918م، ونشأت وتربت على يدي والدها الشَّيْخ محمد وقيع الله وكانت لصيقة به لأنها كانت تكبر جميع إخوانها الذكور ما عدا أخيها الشَّيْخ النور. وكانت أول بنت تتعلم القراءة والكتابة في الزريبة، وكان والدها يحبها حباً شديداً، دل على ذلك التصاقها به وحفظها لكلامه وكانت بالنسبة لنا من أبرز المصادر التي تلقينا منها سيرة الشَّيْخ محمد رضي الله عنه.

وكانت تساعد والدها في أعباء برنامجه اليومي حيث تقوم بتجهيز ألواح المحاية والبخرات التي يطلبها المرضى الذين يفدون للعلاج على يدي الشَّيْخ محمد، واستفادت من تلك التجربة وأصبحت تعالج المرضى بعد وفاة والدها.

تزوجت من ابن عمها الحاجّ إِبْرَاهِيْم أَحْمَد وقيع الله، وكان رحمه الله شجاعاً كريماً شهماً ذا مروءة ونجدة يسعى لمساعدة الناس، ولذلك فقد كان من أكثر الناس شهرة

لسعة معارفه وطيب معشره.[182] وبالرغم من ذلك كان معظم الذين يفدون إلى بيته يحضرون للقاء حاجة السَّارَّة، لأنها كانت برزة ليست بمزورة عن الزوار كما تقول العرب. فقد كانت رضي الله عنها صوامة قوامة تصوم تطوعاً في غالب أحوالها لا سيما شهر رجب وشعبان بالإضافة إلى رمضان، وكانت تقوم الليل قياماً راتباً ولديها «لالوبة» ألفية – مسبحة تتكون من ألف حبة- تذكر الله بها، وكانت منفقة كثيرة الإنفاق رغم أنها لم تكن ثرية لأن المال لا يمكث في يدها كثيراً، فلم أر امرأة سخية بالمال مثلما كانت هي رحمها الله، وربما تجود بالمال الذي يأتيها وقد تكون هي أحوج إليه من السائل.

بعد أن تولى أخوها الشَّيْخ البُرْعِيّ الخلافة أسند إليها مهمة تَعْلِيم النِّسَاء فأدت المهمة الموكلة إليها على أحسن الوجوه حيث كانت تعلمهن بعض أجزاء القُرْآن الكريم وفقه العبادات وغير ذلك من الضروريات.

رغم ما حباها الله به من طيب الأصل وشرف المكانة إلا أنها كانت تعمل في الزراعة بنفسها، كانت لها مزرعة خاصة بها، وكنت في طفولتي أذهب معها لمساعدتها وكنت أركب معها على الحمار أو نمشي على أرجلنا أحيانا مسافة خمسة كيلو مترات ذهاباً ومثلها إياباً كل يوم طيلة أيام الزراعة، وكانت وهي تعمل في الزراعة إما أن تقرأ القُرْآن أو تذكر الله أو تمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحينما يحل وقت صلاة الضحى تترك كل ما في يديها ثم تتوضأ وتصليها ولا تترك صلاة الضحى سواء كانت في بيتها أو في مزرعتها، وبعد أن تحصد زراعتها تستعين بذلك على الإنفاق على الضعفاء والمحتاجين، وكانت شديدة التعفف عن الناس إذا ألمت بها حاجة، فرغم أنها شقيقة الشَّيْخ البُرْعِيّ وهو من هو في السخاء والنجدة وسعة ذات اليد إلا أنها لم تكن تمد يدها إليه أبداً، بل كانت تصنع الطعام وترسله إلى ضيوف المِسِيد ورواد سوحه.[183] وكانت بالإضافة إلى ما ذكرنا تقوم بتوليد النِّسَاء ومعالجة الأطفال والكبار بالفصد والكي والحجامة، كما كانت تغسل الموتى من النِّسَاء وتكفنهن.

وبالإضافة إلى ما تلقته عن والدها من علم وما استوعبته من أقوال وعظات كانت

182-عبد الرحيم حاج أحْمَد. السَّارَّة بِتْ الشَّيْخِ...نموذج سوداني على الرابط: .koobecaf.m//:sptth %3B%8D%7A%8D%68%9D%58%9D%8A%8D%/sotohp/460281206339542/moc

183-المصدر نفسه.

رضي الله عنها تطالع كتب الفقه والتَّصَوُّف والشِّعر، تحفظ الكثير من شعر الْمَدِيحِ النبوي لشعراء سودانيين وغيرهم، وتكاد تحفظ ديوان البُرْعِيّ اليمني، وأذكر حينما التحقت بالمعهد العِلْمي أنها سألتني عن ماذا أقرأ؟ فأخبرتها بالمواد التي كنا نتلقاها بالمعهد فأوصتني بضرورة الإلمام باللغة العربية، ثم قرأت لي هذا البيت الذي نسبته للبرعي اليمني:

كلامٌ بِلا نَحوٍ طَعامٌ بِلا مِلحٍ ** وَنحْوٌ بِلا شعرٍ ظَلامٌ بِلا صُبحٍ

وكانت تكتب الشِّعر الصُّوفِي ولها شعر جيد لا يقل عن شعر الشِّعراء المعروفين لدينا، ولها قصائد كثيرة في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في مدح والدها الشَّيْخ محمد وقيع الله. ولأنها تعتمد في تأليفها وترديدها لقصائدها على ذاكرتها فقد ضاع كل شعرها ولم يوثق منه إلا القليل الذي تحفظه بعض بناتها، وكنت قد طلبت منها أن تعطيني قصائدها لأحفظها وأحاول طباعتها إن تيسر لي ذلك فأعطتني بضع قصائد مكتوبة بخط يدها.

قبل حوالي خمس سنوات قالت لي: لقد أوصيت أخاك النور أن يحضر لي كفناً من المدينة المنورة وقد أحضره لي فكفني جاهز الآن، وكانت تعاني من المرض الذي صاحبها عدة سنوات بعد أن كف بصرها ولكنها كانت لديها قوة تحمل وصبر نادر لا يوجد له مثيل في زمننا هذا إلى أن توفيت رضي الله عنها فجر يوم الثلاثاء 2010/1/19م.[184]

184-المصدر نفسه.



السَّيِّدة السَّارَّة بِتْ الشَّيْخ محمد وقيع الله ت 2010م

السَّارَّة بِتَّ الشَّيْخ الجعلي (ت 2012م):

هي الشَّيْخة الجليلة السَّارَّة بِتَّ الشَّيْخ أَحْمَد الجعلي المثنى بن الشَّيْخ حاج حَمَد بن الشَّيْخ أَحْمَد الجعلي مؤسس الطريقة اَلْقَادِرِيَّة بـ»كَدَبَاسْ». ولدت بـ»كَدَبَاسْ». وهي البنت الوحيدة للشَّيْخ أَحْمَد الجعلي المثنى وبها كُني بـ (أبوْالسَّارَّة). والدتها رقية بِتَّ الشَّيْخ محمد الأَمِين بن الشَّيْخ الجعلي. ولدت في الثلاثينات من القرن المنصرم بمنطقة «كَدَبَاسْ» – محلية بربر، ولاية نهر النيل، مقر الطريقة اَلْقَادِرِيَّة/سجادة الشَّيْخ الجعلي –كانت مثالاً وصورة ماثلة عبر العصور والأزمنة لِلْمَرْأَة المؤمنة حقاً، الصابرة المجاهدة.

وهي أخت الشَّيْخ محمد الأَمِين الجعلي شيخ الطريقة اَلْقَادِرِيَّة بالمدينة المنورة.

نشأت الحاجّة السَّارَّة في بيت علم وجاه وجهاد، بيتٍ رفعت فيه نار القُرْآن على يدها، ومازالت هذه الراية المباركة مرفوعة. كتب عنها الصحفي خالد أبو أَحْمَد واصفاً إياها بأنها رائدة الركب الروحي والرسالي في نشر العِلْم والمعرفة وخدمة زوار المِسِيد في «كَدَبَاسْ» بعبارته يقول: «فقد السُودَان اليوم والأمة الإِسْلاَمية جمعاء علماً من أعلامها ورمزاً روحياً من رموزها في حقل الدعوة الإِسْلاَمية الحقة، والداعية من الطراز الفريد، أمنا العزيزة أم الجميع (أم الفقراء) السَّارَّة بِتَّ الشَّيْخ الجعلى[185].

قال عنها الراوي:» هي مثال للإيمان والتضحية، عندها تقف الكلمات إجلالاً ورهبة أمام الأدب الروحي الذي ورثته عن أبٍ سطّر التَارِيخ اسمه بأحرف ذهبية على جدار الزمن، وأخذت تتوارث سيرته العطرة الذكية مختلف الأجيال، ورضعته عن أمٍ كانت أوقدت نار القُرْآن في الخلاوي والتَّكِيَّة «. ويصف الكاتب مناقبها مضيفاً:» فإنك عندما تقف أمامها يراودك الإحساس الخفي بأنها من الصحابيات، أو كانت تعيش في زمانهن، فهي أم اليتيم والفقير والمسكين، تفتح بيتها للمحتاج في زمن طغت فيه الماديات على الروحانيات، تراها تجلس منذ الصبح حتى المساء في مقعدها بالتَّكِيَّة ويأتي إليها الناس من مختلف البقاع، تستمع إليهم، وترى الابتسامة التي لا تفارق وجهها، تساعدهم في حل مشاكلهم بحكمة الشيوخ وأدب الروح، حيث تغذي الأرواح بمشورتها وآرائها الصائبة، وهذه صفة خصّها بها الله سبحانه وتعالى». من جبينها الطاهر حينما تنظر إليها تشعر بأنك أمام صحابية جليلة من الذين بشّرنا بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام، تجتهد في خدمة الزوار والضيوف الذين يضيق بهم المكان برغم اتساعه، من كل مكان يأتون، حتى من خارج السُودَان، اشتهرت لدى الذين يرون بنور الله بقربها الروحي لله تعالى، إنسانة بسيطة في شكلها، فقد صبغ عليها الحب خاصية الجذب الروحي، حبها لعقيدتها ولتراث أجدادها وأهْلها في رباطهم بدين الله السمح وفي الاهتمام بخدمة القُرْآن الكريم[186]. وخصها الخالق بقلب أبيض ناصع عطوف تشفق على كل من يحتمي بها وينعم بجوارها، تقوم بإدارة المِسِيد إدارةً كاملةً بعقلها وحكمتها وتدبرها

185- خالد أبو أَحْمَد. ورحلت الحاجّة السارة بِتْ الشيخ الجعلى (أم الفقراء) أمس. منشور على الرابط oc.elinadus://sptth %DA%8D%48%9D%7A%8D-%AA%8D%48%9D%DA%8D%1B%8D%88%9D/%m -9A%8D%CA%8D%7A%8D

186- المصدر نفسه.

للأمور، وهي البدر الذي سطع في سماء كدباس، أنارت الطريق لكل من واجهته ظلمة، وساهمت في نشر الوعي والعِلْم من خلال تحمّلها وصبرها، وواكبت ما طرأ على المنشآت في عهد زوجها الخليفة الراحل الشَّيْخ حاج حَمَد الجعلي. لم تكن امرأة عادية بل كانت تكفكف دموع اليتامى وتواسي الأرامل والحزانى، وتحل المشاكل، وتقدم الطعام الذي تصنعه بيديها، تتفقد المحتاجين، تجالس المساكين، كانت كهفاً يأوي إليه المحتاجون، كانت نِعم التالية لكتاب الله، الذاكرة له، المصلية على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، كانت ركناً شامخاً في بيت الشَّيْخ الجعلي. كانت تقضي الأشْهَر الثلاثة (رجب وشعبان ورمضان) صياماً. ومن المهام الأخرى التي كانت تقوم بها – على الدوام – حضورها تجهيز موتي النِّسَاء. وكانت إذا ذكرت ابنها شيخ محمد تقول: «شيخنا قال شنو؟»، ولا تقول: محمد.

استلمت ككر التَّكِيَّة من خالتها زهراء بِتْ الشَّيْخ محمد الأَمِين والدة زوجها الشَّيْخ حاج حَمَد. وقد تعاقبت على تكية مَسِيد كدباس ومنذ زمن الشَّيْخ الجعلي الكبير: أمُّنا آمِنة بِتْ عبد الماجد، وزمن الشَّيْخ حاج حَمَد الكبير: أمنا ٱلرَّحَمَةْ زوجته، وزمن الخليفة محمد: أمُّنا زهراء،حتى خلافة الشَّيْخ الجعلي المثنى، ثم استلمت أمنا السَّارَّةْ من بعدها ككر التَّكِيَّة[187].

تقول بخيتة المداحة وهي من شَاعِرَاتنا في قرية الحرة في أمنا السارة بِتْ الشَّيْخ الجعلي المثنى، رضي الله عنها:

إِنْتِ يَا كَدَبَاسْ شَاغْلَةْ عَقْلِيْ بِرَايْ
فِيْكْ مَسَايْدَ الشَّيْخْ وَمجْمَعَ السُّرَّايْ
تَلْقَىْ بِتَّ الشِّيْخْ قَاعْدَةْ لِلْكُفَّايْ
دِيْكْ يجُوْكْ شَايْلِيْنْ، وَدِيْكَ مَاشِّيْنْ جَايْ
لِلْبُدُوْرْ قَهْوَةْ وَلِلْبِيَشْرَبْ شَايْ[188]

تصوير بديع نقل الصورة من عالم الرموز والحروف، إلى صورة فيديو تنقل حركة التَّكِيَّة تحت إدارة ورعاية امرأة وهبت ورهنت نفسها لخدمة أبناء المسَلِّمِين وطلاب قرآنه الكريم،فأحبها الجميع استجابة لأمر مَنْ له الأمر . تبارك وعلا . ففيما جاء

187- مقابلة مع صلاح بابكر. عبر الواتساب- كدباس بتَارِيخ 2202/11/11م.
188- مقابلة مع الدكتور إسماعيل خضر. الخرطو عبر الواتس بتَارِيخ 2202/11/11م.

عنه صلى الله عليه وسلم في الأثر:(إن الله إذا أحبّ عبداً نادى في أهْل سمائه: أني أحببت فلاناً فأحبوه، فيحبه أهْل السماء، ثمّ ينادى في أهْل الارض: أن الله أحبّ فلاناً فأحبوه، فيحبه أهْل الأرض) رفع الله مقامك في الصديقين يا مَن أحبك الصغير قبل الكبير، وبكاكِ الغني قبل الفقير[189].

هذا وبعد حياة مباركة وحافلة بالعطاء توفيت الصَّالِحَة ذرية الصالحيين الحاجّة السَّارَّة بِتَّ الشَّيْخ الجعلي رضي الله عنها إلى رحمة مولاها، لتوارى الثرى في كدباس جوار قبة وضريح زوجها الشَّيْخ حاج حَمَد وضريح أخيه وخليفته الشَّيْخ (أبو القاسم)، والذي لم يمكث في خلافته سوى أربعة أشْهَر وواحد وعشرين يوماً، وكأنما زهد الخلافة بعد انتقال شقيقه الشَّيْخ حاج حَمَد إلى الرَّفِيقِ الأَعْلَى. رضي الله عنهما وعن جدهما الشَّيْخ أَحْمَد الجعلي الشايب وابنه الشَّيْخ حاج حَمَد ووالدهما الشَّيْخ محمد وعمهما الشَّيْخ أَحْمَد الجعلي المثنى، وعن سادتنا أوليائه أجمعين، الأحياء منهم والمنتقلين إلى جواره.

وقد رحلت ذرية الصالحين الحاجّة السارة في نوفمبر من عام 2012م.



السَّيِّدة السَّارَّة بِتْ الشَّيْخ الجعلي (ت 2012م)

189- المصدر نفسه.

بتول بِتْ بلَّهْ (2014م):

قد ضربت النِّسَاء -كما ضرب الرِجَال- المثل والقدوة العالية في تقواهن لله تعالى. ومن أولئك النفر، الصَّالِحَة الحاجّة بتول. هي بتول بِتْ بله وَدْ علي وَدْ فَضْلْ الباري، ولدت بـ»أم عِيْدَانْ» شرق مدينة سنار وشمال مدينة الدندر. هي زوجة الْوَلْي الكامل الشَّيْخ مصطفى البكري بن الشَّيْخ السَّمَّاني وَدَّ البشير، ووالدة الْوَلْي الواصل الشَّيْخ السَّمَّاني الشَّيْخ البكري. كانت مثالاً للأم الشفوقة. عرفت بالكرم والتواضع والصلاح، وبالنظافة والظرافة. بيتها داخل مَسِيد ابنها الشَّيْخ السَّمَّاني بيت الكرم الخالص، الْمَدِيحِ، القهوة وشاي الصباح. كانت دوماً قريبة من النِّسَاء والبنات الذين يتكفلن بالخدمة داخل التَّكِيَّة. فكانت تشرف على الحركة في التَّكِيَّة. فهي قريبة وجزء من الفقيرات داخل المِسِيد، وكذلك كن قريبات وجزء منها[190].

كانت تتفقد أحوال أهْل القرية بيتاً بيتاً، ففيهم الفقير، والضعيف، وكبير السن، واليتيم والأرامل. فكانت تقدم الخدمة لمن تسطيع تقديم الخدمة له بنفسها، والتي ليس بمقدورها كانت تخبر به ابنها الْوَلْي الشَّيْخ السَّمَّاني (تحدثه بأخبار من قامت بزيارته خاصةً أصحاب الحاجّة). علماً بأن هناك نفر من أهْل القرية من هو يستحي أن يتكلم بحاله، فكانت هي من تبادر بزيارتهم في كل صباح وخلال ساعات النهار.

أما داخل المِسِيد فقد كانت أيضاً تتفقد أحوال من هم بداخله، فكان دورها في المِسِيد دوراً كبيراً ومشهوداً.

المعلوم أن الله قد رزقها بابنها الوحيد الشَّيْخ السَّمَّاني، وفي هذا المقام تقول الرواية أنها ذهبت ذات يوم إلى الشَّيْخ السَّمَّاني الشَّيْخ البشير، والد زوجها الوالي القدوة الشَّيْخ مصطفى البكري، طالبة الدعاء بأن يرزقها الله برفيق لابنها الشَّيْخ السَّمَّاني، تذهب الرواية لتقول إن الشَّيْخ السَّمَّاني الجد قد قال لها قولته: «كَفَاكْ السَّمَّاني دَهْ بِجِيبْهُمْ لِيْكْ لَابْسِيْنْ عِمَمْ، والنِّسْوَانْ وَالبناتْ لَابْسَاتْ تِيَابْهُمْ»، أي اكتفي بابنك هذا وسيرزقك الله منه رجلاً ونساءً. وقد كان، فقد شمر الشَّيْخ السَّمَّاني الابن عن ساعد الجد واجتهد، فصار مَسِيده قبلة للزوار من كافة أنحاء البِلاد وخارجها، وصار المِسِيد في عهده منارة، محدثاً تحولاً دينياً، وروحياً واجتماعياً وأدبياً كبيراً في مقر إقامته

190- مقابلة مع الشاعر سيف الدين سيلمان – المكايلاب- بربر- عبر تسجيل صوتي بتَاريخ 2202/7/22م.

بـ»أم عيدان»[191].

كانت الحاجّة بتول مثالاً للإنسان الذي يألَفُ ويُؤلف، وهي كالشجرة الظليلة بالنسبة للمَسِيد للداخل فيه والخارج منه، يستظل تحتها من يقصدها. كانت تقوم بخدمة نفسها بنفسها، رغم كثرة من يرغب ويشرف بخدمتها، غير أنها كانت تفضل أن تقوم بخدمة نفسها. وهي مثال للمرأة الصَّالِحَة الذاكرة لله كثيراً، كثيرة الصلاة، فكانت حريصة كل الحرص في أداء الصلوات في جماعة، كانت تولي الجمعة والجماعة حقها تماماً، كما كانت تكثر من النوافل، عقب المفروض من الصلاة، وكانت حريصة على أداء صلاة الضحى، كما كانت وعلى الدوام حريصة على القيام في السحر للذكر. وكانت دائماً تذكِّر من هو حولها بالصلوات. وكانت دائمة الحضور في حلقات الذكر خاصة عصر الجمعة، وليلتي الجمعة والاثنين، وكانت كذلك دائمة الحضور في إحياء ليالي المولد النبوي الشَريف [192].

كانت رضي عنها صوامةً وقوامةً وكثيراً ما تترد على المسجد في السحر، وعندما تقدمت بها السن كنت من يوصلها إلى المسجد في السحر، وهي تردد «الدنيا ما فيها شيء غير الزول يسوى ليهو عمل يلقى قدام»، كانت كريمة لدرجة أنها لا تدخر لنفسها شي، كما كانت بشوشه مع كل من حولها. وهي تذهب بنفسها لتتفقد أحوال أهْلها وجيرانها[193].

كان دورها في مَسِيد أبونا الشَّيْخ السَّمَّاني الشَّيْخ البكري دوراً بارزاً ومعاشاً، فكانت نعم الأم الصالحة في زمانها. وكانت لها مشاركاتها العديدة في القرية، فهي مع الناس في أفراحهم وأتراحهم، وكانت محبة للخير لكافة أهْل القرية، ووهي دائماً وأبداً قريبة جداً من ابنها الشَّيْخ بل متعلقة به تعلقاً يعرفه ويلحظه كل من عرفها أو من تردد على مَسِيد ابنها. ومن شواهد تعلقها ومحبتها له كانت أحياناً تناديه بــ» أبوي» وأحياناً أخرى بــ»الشَّيْخ « دلالة لحبها الشديد له، وكانت كثيرة الدعاء له بالتوفيق وأنها كانت تقول في دعائها:» عافية منك وراضية عليك»، وبالمقابل هو أيضاً كان باراً بها، حيث لا ياكل ولا يشرب إلا بحضورها[194].

191- المصدر نفسه.

192- مقابلة مع الطيب الشيخ السَّمَّاني. العقيق- الباحة بتَارِيخ 2202/9/91م.

193- المصدر نفسه.

194- المصدر نفسه.

انتقلت رضي الله عنها وأرضاها إلى الرَّفِيقِ الأَعْلَى في يوم الأربعاء الموافق 2014/5/21م بعد حياة حافلة ملئية بجلائل الاعمال والسيرة الحسنة، وقد بنيت لها قبة في مَسِيد ابنها الشَّيْخ السَّمَّاني بأم عيدان[195].

وقد نعتها حفيدتها الشاعرة شامة الشَّيْخ السَّمَّاني بمرثية رائعة مثلت واحدة من روائع نظمها الشعري. تقول في أبياتها:

سِتْ قَوْمَةَ الثُلُثْ... الليلة دُوْبَا ... سِتَّ القَدَحَ اْبخَرَسْ .... الليلة دُوْبَا

يا لِسَانِيْ جُرَّ اْلنَّمْ .... أُمَّ اْلرَّاجِلَ اْلَّاصَمْ

سِتَّ الرَّاي والْفَهَمْ.... .. سِتَّ الجُّوْدْ وَالْكَرَمْ

أُمَّ ابُويْ والْجِيْرَانْ......... .ستَّ العِزْ والمكانْ

أُمْ السَّاكِنْ أُمْ عِيْدَان... .سِيْدَ الخَلْوَهْ أُمْ لَبَّانْ

أُمَّ الشَّيْخ والكَتِيرَةْ...... ...أُمْ تُمساحَ الدَّمِيرَةْ

أمي الصَّالحَةْ وْخَبِيرةْ سِتُّ امْ عاجْ والأميرةْ

سِتَّ الرَّايْ اْلسَّديدُ .. . اْمَّ اْلْكُلْ في المسِيـدْ

سِتَّ العَقُلَ اْلرَّشيدْ وُحَارْ فْرَاقَكْ شـديدْ

سِتَّ النَّفِسَ اْلرَّضِيَةْ... ســاسَ الخيرْ وَالتَّكيَّةْ

أَمِّي الطاهرةْ وُتَقيَّةْ أَمِّي الصــافيةْ وَنَقيَّة

أَمِّي البيتَ الكبيرْ أَمِّي المســكَ العَطيرْ

أَمِّي الخيرَ الوفيرْ يَا اْلْفُـــرَاقِكْ عسيرْ

سِتَّ الْلِّيْدَ العَطَايا مُوْنَةَ الزَّادْ والكِفـــايةْ

أُمْ درَّاج الوَلَايا سِيْدَ اللـــوُّحْ وَالدُّوَايَةْ

سِتَّ الطَّبعَ الحُرْ سِتْ قَوْمَةَ الفـــجُرْ

أَمِّي الجَّوهرُ وْدُرْ فْرَاقكْ لِيـــنْا مُرْ

سِتَّ الطَّبعَ الرَّزِيْنْ أَصْلَ السَّـــاسَ المتَينْ

أَمِّي اْلقَلْباً حَنِيـــنْ أَمِّي الدُّخْرِيْ الخَزيْنْ

******

الكـــريمَ اكْرَمَا بِالسَّـــمَّاني انْعَمَا

195- المصدر نفسه.

يا رحيمَ اَرْحَمَــــــا بِالفِرْدُوْسْ أَكْـــــرِما

******

صَلِّ الحيَ الوُصُوْلْ لِلْمُخْتَارَ الرَّسُـــــولْ

شَامَهْ الرَّامْيَا الوُصُــــولْ ترْقَىْ مَرَاقِيْ البتُوْلْ[196]



السَّيِّدة حاجة بتول بِتْ بلَّه (ت 2014م)

أم خريف محمد إدريس (ت 2022م):

هي الْمَرْأَة الصَّالِحَة والفقيرة المخلصة والمتفانية في خدمة مَسِيد الشَرِيف محمد الأَمِين الشَرِيف الخاتم بكركوج. اسمها الكامل أم خريف محمد إدريس، ولدت ونشأت في «أبو نعامة»، حيث عاشت فيها بواكير سني شبابها الأول، مع أسرتها وأهْلها.

196- مقابلة مع الشاعرة شامة الشيخ السَّمَّاني. أم عيدان عبر الواتساب بتَارِيخ 2202/11/42م.

غير أنها وفي إحدى زيارتها للشريف محمد الأَمِين الخاتم قررت أن تقيم وإلى الأبد في مَسِيد الشَرِيف للتفرغ للخدمة فيه. أقنعت زوجها بضرورة مجاورة الشَرِيف في كركوج، والذي أذعن لرايها، حيث جاء وسلك معها طريق القوم السَّمَّاني على يد العارف بالله الشَرِيف محمد الأَمِين الخاتم. أكرم الشَرِيف وفادتهما بأن منحهم قطعة أرض وشيد لهما ولذريتهم فيها بيتاً. قدمت أم خريف إلى مَسِيد الشَرِيف وهي في مقتبل العمر[197].

فهي من أهْل الحظوة والمكانة داخل المِسِيد، والكل يعرفها، فهي عاشت فترة خلافة المؤسس الشَرِيف محمد الأَمِين والشَرِيف النور والشَرِيف التجاني وطرفاً من خلافة الخليفة الحالي الشَرِيف محمد بن الشَرِيف التجاني.

ولأم خريف دورٌ كبيرٌ داخل مَسِيد كركوج، فهي تقوم بالخدمة ليل نهار. وبالإضافة إلى مشاركتها في تجهيز الطعام والشراب في المناسبات الدينية وغيرها، فهي لها مهمة أخرى، بل من المهام الكبيرة، ألا وهي القيام بتجهيز وغسل وتكفين الموتى من النِّسَاء اللائي يفدن إلى المِسِيد بغرض العلاج حال وفاتهن، وقد قام الشَرِيف محمد الأَمِين بتَعْلِيمها وتدريبها لهذه المهمة. فهي تتمتع بمكانة خاصة عند الشَرِيف محمد الأَمِين والذي كان يخصها بوضع خاص داخل المِسِيد دون سائر النِّسَاء فيه، فكان يوكل إليها مهام لا يكلف بها شخصاً آخر. والشَرِيف بالنسبة لها هو أبوها وأخوها الأكبر. ومما يسرها ويفرحها مناداتها بـ «أُمْ خريفْ حَوَّارْةَ الشَّرِيف «.

أما عن حياتها التعبدية، فهي مثال لِلْمَرْأَة الصَّالِحَة العابدة، الذاكرة الزاهدة، كانت تقوم الليل وما زالت وإلى وقت قريب قبيل وفاتها بالرغم من تقدمها في السن. ومنذ سنين طويلة ظلت أم خريف مواظبة على أذكارها وأورادها وإحيائها للذكر وقيام الليل فهي تجلس على سجادة عبادتها من الساعة الثانية عشرة إلى الصباح.

وقد ظلت على عهدها الأول في جوار المِسِيد وزوار المِسِيد، و التي من أجل الخدمة فيه تركت أهْلها وجاءت لتكون واحدة من أعمدته، وهذا لا لشيء إلا لإيمانها القوي بما للمَسِيد من رسالة سامية، وقد قُدِّر لها أن تكون طرفاً ممن خُصُّوا بأدائها على حقها ومستحقها.

197- مقابلة مع الأُسْتَاذْ مناف الشَرِيف، عبر رسالة مكالمة صوتية وتسجيل صوتي، بتَارِيخ 2202/7/82م.

وبعد حياة حافلة بجلائل الأعمال انتقلت الصَّالِحَة الفقيرة أم خريف إلى الرَّفِيقِ الأَعْلَى صباح يوم الأحد 2022/9/4م. نسأل الله أن يجعل مسكنها الفردوس الأعلى من الجنان.



الفقيرة والصَّالِحَة السَّيِّدة أم خريف مُحَمد إدريس (ت 2022م)

عائِشة محمد جَّدَّةْ (1933–):

من مواليد عام 1352هـ/1933 في قرية مَايِرْنُوْ محافظة سنجة ولاية سنار. أنشات في عام 1965/1385 خلوة بمنطقتها لتحفيظ القُرْآن وتَعْلِيم النِّسَاء شؤون دينهن، وقد شيدتها متواضعة حيث تتكون من خلوة ومنزل ملحق بها وسكن للطالبات.

تنتمي الحاجّة عائِشة للطريقة التجانية ذات النشاط الأوفر في هذه المنطقة حيث

توجد فيها نسبة عالية من المريدات من مختلف الأعمار نلن حظاً من التَعْلِيم في مراتبه المتعددة ويقمن بنشاط دعوي وديني وافر وسط النِّسَاء مما لفت أنظار المجتمع المحلي. وقد زار عدد من السياسيين وكبار الموظفين والولاة وسواهم هذه الموسسة التي تواصل نشاطها في إقامة المناسبات الدينية كالمولد النبوي والأعياد الدينية المشتملة دائماً على كفالة المعيشة لمن هم أهْلٌ لها، ومحاولات إصلاح البين، إلى جانب الهدف الأساس وهو تحفيظ القُرْآن وإشاعة الوعي بين الناس.

فالحاجّة عائِشة تعمل الآن معلمة للقرآن الكريم بقرية مايرنو وهي من سلالة أجداد سبعة لهم فضل تأسيس خلاوي في العقود الزمنية الماضية. وقد تتلمذت على عدد من الأساتذة الشيوخ مثل والدها الشَّيْخ محمد جدة، والشَّيْخ حسين أَبَّكَرْ. وإلى جانب ممن تخرجن على يديها من حافظات القرآن بناتُها اللائي تخرجت جميعهن من خلوة والدتهن هذه.

والحاجّة عائِشة تحاول تتطوير خلوتها والتي تضم الآن (1999م) أكثر من خمسين ومائة طالبة، ويقوم بذلك بتمويل متواضع يجود به الخيرون من أبناء القرية اعترافاً بفضلها على نساء هذه المنطقة[198].

الرِّسَالَة بتَّ الشَّيْخ عبد الرحيم البُرْعِيّ (1942–):

ومن صالحات هذا الزمان وفي وقتنا الحاضر حاجة الرِّسَالَة بِتَّ الشَّيْخ عَبْدَ الرَّحِيمِ البرعي. فهي ابنة العارف بالله الشَّيْخ عَبْدَ الرَّحِيمِ البرُعِيّبن الشَّيْخ محمد وقيع الله. ولدت ونشأت رضي الله عنها بالزريبة في العام 1942م.

كانت أمها هي الزوجة الأولى للشَّيْخ عبد الرحيم البرعي، وكانت هي المولود الأول (البكر) للشَّيْخ عبد الرحيم البرعي، وأشقاؤها هم أبناء الشَّيْخ الكبار وهم بالترتيب:

* الشَّيْخ محمد طاهر، متوفى.
* الشَّيْخ الفاتح (الخليفة).
* الشَّيْخ هاشم، متوفى.
* الحاجّة لَيْلَى.

198–موسوعة أهْل الذكر في السُودَان. المجلد الرابع، الخرطوم، 4002ص11.

تعلمت من والدها بعض السور القصار وشيئاً مما لا بد منه من فقه العبادات، ثم التحقت بدار المؤمنات (عند تأسيسها) وتعلمت مع غيرها بعض العلوم كالفقه والحديث وبعض سور القُرْآن الكريم. إضافة لتلقيها عبر الاستماع لدروس والدها التي تلقى على العامة وخطب الجمعة. بالإضافة لما تحتويه المِدائِح من السيرة النبوية والآداب الإِسْلاَمية[199].

كحال مسايد أهْل الطريق الصُّوفِي في البِلاد فإن بيوت الشَّيْخ البرْعِيّ تتميز بإعداد الطعام للضيوف، وكذلك إيواء الضيوف من النِّسَاء اللائي يقمن بزيارة الشَّيْخ في مَسِيده، حيث تقوم نساء الشَّيْخ وبناته وبعض المريدات بهذا الدور الكبير والشاق جداً.

تميزت حاجة السَّارَّة الشَّيْخ البرْعِيّ بحسن الخلق، ورفيع الأدب من حيث التربية والتأثر بوالدها، كما أنها من المتعبدات القائمات الليل ولديها سبحة لالوب (ألفية). كما تميز بيتها بعد زواجها باستقبال الضيوف من الزوار رِجَالاً ونساء حيث يتم إيواؤهم وإطعامهم وإكرامهم.

ولها عدد من الأبناء من حفظة القُرْآن الكريم والناشطين في مجال الدعوة والإرشاد[200].



السَّيِّدة الرِّسَالَة بِتّ الشَّيْخ عَبْدَ الرَّحِيمِ البرعي

199- عَبْدَ الرَّحِيمِ حاج أَحْمَد. مسودة ورقة عن سيرة حاجة السَّارَّة الشَّيْخِ البرْعِيّ مرسلة للمؤلف بتَارِيخ 2202/9/11م.
200- المصدر نفسه.

لَيْلَى الشَّيْخ محمد الصابونابي (1953-):

هي الشيخة لَيْلَى الشَّيْخ محمد الصابونابي، ولدت بالصابونابي في العام 1953م. درست على يد الوالد الشَّيْخ محمد الصابونابي القُرْآن الكريم وعلومه واللغة العربية وعلوم الحديث والتَّصَوُّف والميراث.

متزوجة من الشَّيْخ محمد الشَّيْخ الهادي الصابونابي وأم لولدين وبنتين (النعمان/ النعيم: نِعم/ نعمات).

وهي الأن تعتبر واحدة من أهم الشخصيات الصُّوفِية النسائية في السُودَان. وفي ذلك تحكي سيرتها عن سجل حافل بالأدوار العظيمة والإسهامات الدينية والاجْتمَاعيّة والاقتصادية الهائلة والفاعلة في مجتمعها المحلي وكذلك على المستوى القومي. اتخذت الشَّيْخة لَيْلَى الشَّيْخ محمد الصابونابي التَعْلِيم شعاراً لها حاولت ومازالت من خلاله رفع الوعي ومحاربة الجهل وسط العنصر النسائي في مناطق نفوذ مَسِيد أبيها الصابونابي والقرى المجاورة له، وامتد نشاطها حتى مناطق جبال الإنقسنا حيث الخلاوي النسوية التى تقع تحت إشرافها ورعايتها.

وعن النشاط الدعوي للشَّيْخة لَيْلَى الصابونابي فقد بادرت بتكوين جمعيات القُرْآن الكريم وعلومه والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم للنساء. إلى جانب تدريب طالبات الجامعات والمراحل الأخرى والثانويات في كورسات قصيرة حسب مطلوبات الجامعات أو الثانويات بدار الخلوة الأم بالصابونابي[201]. كما لها نشاط اجتماعي مشهود ومن ذلك تنظيم الزواج الجماعي لتسهيل الاستقرار الأُسري ومحاربة السفور ومحاربة العادات الضارة بالمجتمعات، مثل؛(الزار – الخفاض الفرعوني - النياحة في المآتم - الخ). وكذلك إصلاح ذات البين.

أما في الحياة العملية فقد عملت معلمة لرياض الأطفال بالنظام الحكومي للفترة من 1/ 7 / 1978م – 31 / 12 /2012م، كذلك عملت كمعلمة لخلوة القُرْآن الأم للنساء بالصابونابى.

وفي حوار معها وهي تحكي سيرة ومسيرة حياتها الدعوية الباكرة تقول ليلى: «ومن خلال تأهيل الشَّيْخ لنا علِمنا وفهِمنا أن الشَّيْخ يعدنا لمرحلة قادمة لنواصل بعده

201- النعيم محَمْد الهادي الصابونابي. سيرة الشَّيْخِة الأُسْتَاذْة والشاعرة لَيْلَى محَمْد الصابونابي.2202/9/1م.

المشوار في تحمل رسالة المِسِيد، وقد كان ذلك بعد رحيل الشَّيْخ في العام 1984م حيث وجدنا الحاجّة ماسة لنشر وتوصيل كل ما عرفناه من معارف وعلوم خصوصاً القُرْآن لمن يحتاجونه، وهذا امتداد طبيعي لرسالة الشَّيْخ في مجال الدعوة وكان توجيه الشَّيْخ المباشر لِي للاهتمام بتَعْلِيم الْمَرْأَة وبث المعرفة والعِلْم والدين وسط مجتمع النِّسَاء ومن ذلك المعين الصافي والإرث العظيم انطلقنا لنقوم بدورنا في نشر الدعوة وكان لِزاماً علينا مواكبة متطلبات العصر لجذب المستهدفين بخلق أساليب وطرق جاذبة لِلْمَرْأَة للدخول في مضمار التَعْلِيم الديني فقمنا بعمل الآتي: -

1. تكوين جمعيات القُرْآن الكريم والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم بالصابونابي على نطاق واسع.
2. قيام مركز اجتماعي للرعاية الاجْتمَاعيّة منذ العام 1985م لتَعْلِيم الْمَرْأَة الحرف اليدوية والصناعات الغذائية وخلال هذا النشاط نقوم بتحفيظ النِّسَاء القُرْآن على مراحل مختلفة وحسب المستويات والأعمار، وتَعْلِيمهن ما تصح به عبادة المكلف.
3. تحقيق أهداف خلوة القُرْآن للنساء بانتهاج أساليب متطورة بالعمل المستمر لتصويب مجتمع النِّسَاء ومحاربة كل ممارسات الْمَرْأَة التي لا علاقة لها بالدين والموروث الإِسْلاَمي، خصوصاً جميع العادات الضارة التي انتشرت أثناء فترات الجهل، والتي من بينها ظاهرة الزار والحداد على الأموات بصورة مبالغة والنياح وقطع الأرحام والطهارة الفرعونية.
4. التواجد الميداني والقرب من مجتمع النِّسَاء من خلال الزيارات المستمرة لمواقع الخلاوي والجمعيات النسوية المرتبطة بالخلوة الأم بالصابونابي. هذا إضافة للقوافل الدعوية المستمرة من وإلى المدن والأرياف المستفيدة من الرِّسَالَة الدعوية الموجهة لهن من خلاوى الشَّيْخ النسوية[202].

أما العادات الضارة التي اجتهدت الشَّيْخة في معالجتها والتخلص منها وأوشكت أن تندثر، بسبب انتشار الوعي والمعرفة والتطور نجد الزار، بالإضافة إلى تقدم في محاربة الخفاض الفرعوني، وهنا يمكن القول أن تقدماً كبيراً قد تحقق، وعلى وشك التخلص منه. وقد سعت الجمعيات للدخول في تسهيل الزواج والعدول عن المبالغة في المهور وإقناع الأمهات والفتيات بالقبول بما تيسر لبناء أسر متعففة دون تعقيدات.

202- المصدر نفسه.

إلى جانب نشاطها الديني والصُّوفِي داخل المِسِيد أيضاً لها مشاركات داخل السُودَان وخارجه، منها: المشـــاركات في كل معارض الثقافة والتراث بالولاية وآخرها المشاركة في مشروع (سنار عاصمة الثقافة الإسْلاَمية العام 2017م). وتكوين جمعية للقرآن الكريم بالدوحة بدولة قطر، وزيارة دولة سوريا فى سياحة دينية.

نالت عدداً من الأنواط والشهادات منها:

- وسام الامتياز، هدية من رئاسة الجمهورية للشَّيْخة/ ليلى الشَّيْخ محمد الصابونابي.
- شهادة تسجيل للخلوة كاسم عمل في شهر نوفمبر 1993م حسب قانون تسجيل أسماء الأعمال.
- شهادة إدارة الإرشاد والتوجيه في وزارة الرعاية الاجْتمَاعيّة والدعوة بولاية سنار بتَارِيخ 2008/8/31م، تفيد بأن الشَّيْخة/ ليلى الشَّيْخ محمد الصابونابي صاحبة فكرة إنشاء جمعيات الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم بالولاية.
- شهادة الإدارة العامة للرعاية الاجْتمَاعيّة بوزارة الشؤون الاجْتمَاعيّة والدعوة بتَارِيخ2010/12/20م، تفيد بأن الشيخة/ ليلى الشَّيْخ محمد الصابونابي ناشطة في العمل الاجْتمَاعيّ، وقد أنشأت مركزاً اجتماعياً متعدد الأغراض بقرية الصابونابي.
- شهادة الاتحاد العام لِلْمَرْأَة السُودَانية «الأمانة العامة»، بأن ليلى الشَّيْخ محمد الصابونابي أسهمت بتميز في مجال الإنتاج الريفي كرائدة لنساء الريف.
- شهادة دورة تدريبية من وزارة الصحة والرعاية الاجْتمَاعيّة «محافظة/ النيل الأزرق، منطقة «أبو حجار»، في مجال صحة وتربية الطفولة وتنظيم الأسرة في الفترة من 1983/8/1م إلى 1984/3/24م[203].

ومن أوجه الأنشطة التي تقوم بها الشَّيْخة لَيْلَى هي الزيارة الدورية لمناطق جبال الإنقسنا، وفي هذا الاتجاه تقول لَيْلَى: «إحدى وسائل التواصل للخلوة الأم في المِسِيد مع فروع الجمعية البعيدة خصوصاً منطقة جبال الإنقسنا هو تحركنا في قوافل لعدة مرات لنقف على طبيعة أوضاع الجمعيات والخلاوى هناك ومؤازرة الأتباع من النِّسَاء والرِجَال. وفي العادة فإن القوافل المتجهة إلى الإنقسنا تستغرق وقتاً طويلاً لبعد المسافة من الخلوة الأم بالصابونابي – جنوب مدينة سنجة – إذ تبعد منطقة

203- المصدر نفسه.

الإنقسنا نحو (70)كيلو متر جنوب غرب مدينة الدمازين، وهذه القوافل التي نعدها نحمل فيها المساعدات والهدايا بالإضافة لحل المشاكل والعقبات التي تواجه المجتمع النسوي، ومعالجة ما يمكن علاجه ميدانياً أو مقابلة الجهة المسؤولة برئاسة الأقليم وحاضرته الدمازين للمساعدة فيما يليهم من حلول للمشاكل المطروحة. وقد تميزت هذه القوافل بالترابط الوثيق بين تلك المناطق وخلوة النِّسَاء الأم بالصابونابي، وقد تم توثيق هذه القوافل، وكانت ناجحة مكنتنا من تقييم الاستفادة من رسالة الخلوة ميدانياً لخلاوي الإنقسنا وتلك الجمعيات التي بلغت تسعين جمعية حتى العام 2010م. لكن تغير الوضع بعد ذلك نتيجةً للظروف الأمنية والنزوح والوضع الإنساني الذي تجاوز إمكانية وطاقة الخلوة الأم»[204].

وقد أحدثت ابنة الشَّيْخ الصابونابي الشيخة/ ليلى، أثراً كبيراً في أوساط النِّسَاء، بإقامة الخلاوي وجمعيات الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، في ولاية سنار والولايات المجاورة، وقامت بزيارات لمناطق جبال الأنقسنا، والتقت بالنِّسَاء وعقدت حلقات العِلْم وسط الجبال والأشجار، ووجدت تجاوباً كبيراً لطلاب العِلْم، من نساء تلك المناطق، وصار سكان هذه المناطق يرسلون نساءهم لتلقي العِلْم في خلاوى القُرْآن بالصابونابي في شكل مجموعات يمكثن فترة من الزمن، وبعدها يرجعن لمناطقهن لنشر العِلْم وسط أهْليهن وذويهن، مقتفية بذلك أثر والدها في نشر الدعوة، فأحدثت نقلة كبيرة بإزالة الأمية المتفشية وسط النِّسَاء، فكرمتها رئاسة الجمهورية بنجمة الإنجاز تقديراً لهذا الجهد العظيم.[205]

204- المصدر نفسه.

205- عبد الجليل عبد الله صالح. الطريقة السَّمَّانية: المنهج، التَارِيخ والمستقبل. الرواي 9102م



الشَّيْخة لَيْلَى الشَّيْخ محمد الصابونابي



الشَّيْخة لَيْلَى الصابونابي في مناطق الإنقسنا- النيل الأزرق مع بعض طلبة القُرْآن الكريم

خديجة بِتَّ الشَّيْخ البشير محمد نور (1958-   ).

خديجة بِتَّ الشَّيْخ البشير محمد نور الجعلية العباسية، والتي سماها أبوها على أم

المؤمنين السَّيِّدة خديجة الكبرى، فأخذت من اسمها نصيباً وافراً، وكانت أنموذجاً ينبغي أن يحتذي به، وشخصية ينبغي أن تقتدي بها النِّسَاء، فهي أم المساكين، وكهف الضعفاء، وعمدة المحتاجين، وقد بلغ بها من شدة كرمها، وتدفق خيرها، ومن الرأفة والكرم والرحمة أننا شاهدنا القطط تسكن معها في بيتها! وكفى بذلك شهادة عملية على جودها الدفاق، وكرمها الفياض ولذلك فقد زوجها أبوها عندما توفي زوجها الأول من رجل كريم فاضل، وأسكنهما فسيح مَسِيده، وقد صدقت فراسته فيهم فكانوا خير معين وداعم للمَسِيد بكل سخاء وإيثار، نعم لقد خصها بجواره فهي البنت الوحيدة التي بنى لها الشَّيْخ البشير في مَسِيده وكان من الممكن أن تسكن بالخارج كأخواتها ولكنها عناية البر السابقة، ولها من الفضائل وحسن السيرة ما يعجز اللسان عن قوله، كما لها من المزايا ما يعجز الجنان عن وصفه، ولها من المنن ما يكل القلم عن ذكره، (ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَشَاْءُ وَاللهُ ذُوْ الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ[206]).

لقد لمعت في سماء بلادنا سيرة بعض النِّسَاء الصَّالِحَات اللائي اشتهرن بالكرم، والصفات الحميدة حيث فقن الكثير من الرِجَال في الكرم والجود والإيثار وسماحة النفس، والتخلق بالأخلاق الفاضلة. فالسَّيِّدة ريَّا والدة الشَّيْخ العبيد وَدْ بَدُرْ كانت من هؤلاء النسوة فقد تركت سيرة طيبة مازالت باقية إلى يومنا هذا، وقد بلغ بها من عظيم خصالها وكرمها أنها محت اسم زوجها فكان ابنها الرجل الصالح محمد الذي سمى نفسه بصفة العبودية لله تعالى فكان الناس ينسبون الشَّيْخ العبيد إلى أمه فيقولون: العبيد وَدْ ريَّا، والسَّيِّدة مَرْيَم الميرغنية كانت أُمَّةً بين الناس وفيهم، وما ذاك إلا لشفقتها بالخلق، ورحمتها لهم، فكانت تقضي حوائجهم، وتعينهم على نوائب الدهر لذلك فقد خلد التَارِيخ سير هؤلاء الصَّالِحَات، وقد آن لتَارِيخنا أن يضم هذه السَّيِّدة الفضلى خديجة بنت الشَّيْخ البشير محمد نور وينظمها في عداد النِّسَاء اللائي يشار إليهن بالبنان، وقد ذكر الشَّيْخ البُرَعِيّ في قصيدته «مصر المؤمنة» العديد من صالحات النِّسَاء، ولو نظم هذه القصيدة في نساء السُودَان الصَّالِحَات لكانت السَّيِّدة خديجة واحدة منهن، فهي وحيدة زمانها، ودرة مكانها، تتمتع بإنسانية عظيمة، وقلب سليم لا يعرف الحسد والحقد والعجب، ولها يد طولى في المكرمات، مجلسها

206- منصور صديق الخليل. السَّيِّدة خديجة بنت الشَّيْخِ البشير مُحمْد نور من صالحات الزمان. على الرابط sptth://www.
011913836308894/stsop/aimhsahlaainamslaagiratla/moc.koobecaf

عامر بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وسيرته الشريفة، وبسيرة الأولياء والصالحين ليس فيه غيبة ولا نميمة، ولا شيء مما يجري في مجالس النِسَاء، وقد تحررت أعمالها عن الرياء والسمعة، فأعمالها خالصة لوجه الله تعالى، كما أنها تتمتع بالصبر الجميل، وتتحلى بالخصال الكريمة الفاضلة، وتعامل من أساء إليها بالإحسان، فهل الصلاح إلا هذه المعاني؟ فسبحان من أشْهَر وأخفى[207].

إن من أهم ما يميز هذه السَّيِّدة أنها تتمتع ببعض الصفات التي يفتقدها كثير من الرِجَال في زماننا هذا، ولعل من أميز تلك الصفات أنها تتمتع بسلامة القلب، فهي لا تحمل حقداً ولا كراهية لأحد، لا حاسدة ولا فاسدة، تتفقد الأهْل والأرحام، كما تهتم بالتواصل مع كل الأحباب والمريدين لوجه الله تعالى، كما أنها تحلت بصفة الزهد في الدنيا الفانية الزائلة، والزهد لا يعني الفقر، بل هو أقرب تحققاً للغني من الفقير، لأنك إذا لم تملك شيئاً ففي ماذا تزهد؟ فقد ورثت خيراً كثيراً، ومالاً وفيراً ولكنها زهدت كل ذلك وأنفقت كل ما تملك لوجه الله تعالى، ولم تدخر شيئاً لغد، وما أبقت إلا حسن الظن بالله، وعظيم ثقتها في كرمه وفضله، فتوكلت عليه في سيرها إليه، وفي حياتها وجميع شؤونها، بأنه تعالى لن يخزيها أبداً، نعم كيف يخزيها الله وهي التي تصل الرحم، وتكسب المعدوم، وتكرم الضيف بل وتتفانى في إكرامه، وتنزل الناس منازلهم، وتسعى في قضاء حاجاتهم، وتمشي بنفسها في حوائجهم بكل ما تملك؟ فعلى ذلك فهي غنية بالله الواحد الأحد فمن وجد الله وجد كل شيء ومن فقد الله فماذا وجد؟

كيف تعرضت لتلك المنن والمنح الإلهية التي جاءت على شكل الابتلاءآت والمحن، لله در القائل:»رب محنة أورثت منحة، وكم من منحة جاءت على شكل محنة». لا شك أن الصالحين والصَّالِحَات يتعرضون لتلكم التعرفات الجلالية، والنوازل القهرية من قبل الحق عز وجل ليرفع بصبرهم عليها درجاتهم عنده، وقد جاء في شرعنا الحنيف: أن أشد الناس بلاءً هم الأنبياء، فالصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، وأن الحق عز وجل إذا أحب عبداً فإنه يبتليه! وعلى العبد هنا أن يقابل هذا التجلي الجلالي من سقم وفقر وشدة بالجمال فيتحلى بالصبر، ويتحقق بالشكر، بالرضاء والتسليم وحسن الظن بالله فإنها منح وترقيات في درجات القرب من حضرة الله تعالى، ومن هنا فقد

207-المصدر نفسه.

مرت السَّيِّدة خديجة بمحن عديدة في حياتها، وشدائد تعاملت معها بمنتهى الصبر، والثبات على المبدأ فكانت كراسيات الجبال التي لم تحركها الرياح مهما اشتدت، فلم تهتز، ولم تضطرب، ومن ذلك أنها فقدت زوجها الأول في حادث حركة مؤلم حيث مات فيه ابنها وزوجها، وتعرضت هي وابنتيها لبعض الإصابات الخطيرة، مما جعلها تمكث فترة طويلة مع والدها الشَّيْخ البشير رضي الله عنه وأرضاه ملازمة له في خلوته الخاصة، فمكثت معه سنين عدداً تلقت فيها علوماً ومعارف منه، وكانت بمثابة معسكر للتدريب على مكارم الأخلاق، وسني الخصال، حيث عكفت من خلال تلك الخلوات على الكثير من الفوائد والعلوم الجمة، فقد رأت الكرم الأصيل، والصبر الجميل، والزهد النبيل، واكتسبت من مجالستها تلك مواهب ومنحاً كان من بينها أنها أصبحت تحاكي أباها في خلقه العظيم، وتتشبه به في كرمه وجوده وإحسانه للناس، وحسن معاملته لهم، فقد اكتسبت معارف حيث عرفت كيف يعامل الشَّيْخ البشير الناس بمختلف مقاماتهم، وكيف يخاطبهم، وكيف ينزلهم منازلهم فتخلقت بأخلاقه، وتشربت بمنهجه، وسارت على دربه، وتحلت بالمكارم والآداب، وكانت تلك المحنة التي تعرضت لها بمثابة منحة إلهية استفادت بسببها أيما فائدة.

وهي الآن تقيم في مَسِيد والدها قبلة للزوار، أبواب دارها مشرعة لكل الضيوف والمحبين، نسأل الله أن يمد في عمرها، وأن يمتعها بالصحة والعافية، ويوسع عليها في أرزاقها، ويبارك في عمرها، ويغدق عليها نعمه الظاهرة والباطنة[208].

208-المصدر نفسه.



السَّيِّدة خديجة بِتْ الشَّيْخ البشير

نهال الشَّيْخ طه الشَّيْخ حيدوب (1985–2022م):

السَّيِّدة نهال الشَّيْخ طه الشَّيْخ حيدوب هي سليلة الدوحة الحبرية المباركة. جدها الأكبر القطب ومؤسس الفرع القادري الكابشي، فريد عصره الشَّيْخ إِبْرَاهِيْم (1786–1869م)، بن الفكي الأَمِين الملقب بالكباشي بن الفكي علي المكني بـ»وَدْ سهول«، وهو ينتمي إلى قبيلة العركيين، ويلتحق نسب قبيلتهم بالإمام الحسين بن الإمام علي رضي الله عنهما.

والصَّالِحَة السَّيِّدة نهال هي زوجة الشَّيْخ الكباشي الشَّيْخ طه الخليفة الحبر. وهي مثال حي لِلْمَرْأَة الصُّوفِية التي وهبت نفسها، وقتها، وعمرها المبارك لخدمة الإِسْلاَم والمسَلِّمين عبر المنهج الصُّوفِي القادري الكباشي. المنهج الذي عرف بالإحسان والإكرام، والذي قامت على أكتافه قرى ومدن تأسست بالعجين واللين. المنهج المتاسمح السمح والمعتدل.

انتقلت السَّيِّدة نهال إلى الرَّفِيقِ الأَعْلَى في يوم 4/4/ 2022م إثر علة لم تمهلها طويلاً حيث وافتها المنية بمركز السُودَان للقلب بعد حياة عامرة، وحافلة بالخيرات

والبذل والعطاء وخدمة القوم، بكل الرحابة وكل السخاء.

وقد ظلت تعمل في الخدمة داخل المِسِيد وأهْله والعمل مع في التَّكِيَّة والنفقة صباحاً ومساء، دون كلل أو ملل أو ضجر، سيراً علي نهج أسلافها أهْل التقى والصلاح. وكانت جدتها أم الفقراء الحاجّة فاطمة بِتْ عبد السلام دِبّيْرَةً وخبيرةً في خدمة الاقوأم، بإشرافها ومتابعاتها الدقيقة، وأتت والدتها بنت الأشقر أكثر حيوية ونشاط في إدارة شؤون التَّكِيَّة، وسارت علي ذات المنوال الفقيدة رحمها الله، بل تركت منزلها وهجرته وآثرت السكنى بالقرب من التَّكِيَّة، حتي يتسنى لها خدمة ضيوف المِسِيد، لا سيما الوفود الزائرة. واكتسبت فطنةً ودراية بذلاً وعطاءً ورحابة بذات البشر والإشراق خدمةً وتفاني[209].

وحفيدة الكرام الصَّالِحَة نهال كانت علامة بارزة وشخصية لا تخطئها العين في مَسِيد الشَّيْخ إِبْرَاهِيْم الكباشي، والباحث عنها لا يجدها إلا وهي في التَّكِيَّة أو راكوبة العواسة، أو مطبخ طهي الطعام، أو في ترتيب الأواني المنزلية وتجهيزها، ونظافتها لإعداد موائد الخير على بساط المحبة والأريحية واللطف، فهي دائماً في ذهن كل من يتعرض لفيضها الوفي بكل علامات المحبة والرضاء.

عاشت بين الناس بهذه القيم، تلبس خلع القبول لانغماسها في بحر أنوار حبرنا «ٱلدَّتُّوْ صَافِيْ»، وظلت تجزل العطاء في خدمة المِسِيد وترعى وتشارك في مجالس دلائل الخيرات، وتعلن الاستعداد التام في المناسبات القومية العظيمة، وزيارات أهْل الطريق والأحباب والمريدين، في المناسبات الدينية التي ترتبط بوجدانهم، شوقاً وحباً. فالقوم وأحباب القوم من المريدين والزوار تراهم يتوافدون وبكثرة في احتفائية بدر الكبرى، وليالي المولد النبوي الشَرِيف بالسوح المبارك، وضيوف الهجعة والذين يأتون باكراً تخدمهم وتكرم وفادتهم كعادتها، أجزل الله لها ثواب العطاء[210].

ورحيلها وهي في مقتبل العمر كان كالصاعقة على الفقراء والأحباب والمريدين، وشباب المِسِيد، وقد بكوها بالدموع وهم يعددون مآثرها وفضلها، في خدمة ضيوف الكباشي، وهي الشريفة بنت الأشراف سلالة الدوحة الكباشية.

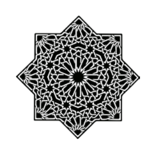
209- /591524227267244/spuorg/moc.koobecaf.www://sptth

210- المصدر نفسه.



السَّيِّدة نهال الشَّيْخ طه الشَّيْخ حيدوب

وفي خاتمة هذا الباب نقول إن النماذج التي شملها التوثيق من صالحات بلادي كما ورد أعلاه في ثنايا صفحات هذا الباب من الكتاب، واللائي مثلن فترات ومناطق مختلفة من ربوع البلاد، ما هو الإ غيض من فيض، بل إن الأسماء الواردة بحق توثيق لسيرهن هو في واقع الأمر من وفقت في جمع معلومات عنهنَّ، ولا شك أن هناك الكثير والكثير على المستوى الفردي قد أخذتهن يد المنون.



الباب الخامس

نماذج لشَاعِرَات صوفيات من السُودَان

الْمَرْأَة المتَصَوْفة شَاعِرَةٌ:

لقد كان لِلْمَرْأَة دورٌ واضحٌ في الحياة الثقافية في تَارِيخ الإِسْلاَم، فكان منها المرأة الشَاعِرَة، ومنها الْمَرْأَة المحدِّثة، ومنها الْمَرْأَة الفقهية، ومنها الْمَرْأَة الزاهدة والصُّوفِية... [211]

إن رابعة العدوية كان لها قدم السبق في التأسيس لأوليات الشّعر النسوي الصُّوفِي، كما كان لها أثر في النِّسَاء الصُّوفِيات الأخريات فيما بعد، فمقولاتها ذات النفس الصُّوفِي، كانت بحق مفتاحاً يضيء للواتي قد شغفن المسير على ما سارت عليه رابعة العدوية» [212]

الشَاعِرَة أسماء:

عرفت بشاعرة الأستاذ الشيخ عبد المحمود. صحبت في بداية عهدها العارف بالله الشيخ القرشي ودَّ الزين. وفي إحدى زياته لشيخه القرشي طلب الشيخ عبد المحمود من شيخه أن تصحبه وتقم معه في مسيده في طابت. ذهبت الشاعرة أسماء مع الأستاذ الشيخ عبد المحمود وأقامت معه بقية حياتها إلى أن وافتها المنية وهي في مسيده. وقد أبدعت الشاعرة النظم في شيخها، والقصيدة التالية شاهد على بديع نظمها، وهي من القصائد التي يختم بها ذكر ثالث العيدين (الفطر والأضحى) من كل عام. تقول أبيات القصيدة:

211-محمْد عايدصالح العكيدي. أدب النساء الصُّوفِيَّات في العصر العباسي دراسة موضوعية وفنية. جامعةآلالبيت كليةالآدابوالعلومالإنسانية قسماللغةالعربيةوآدابها،6102،ص-7.

212- المصدر نفسه.

بَـدِيْـــتْ بِالـــواحِـــدَ المــعْبُــود
وَثَنِيْتْ بِالْمُكرَّمْ صاحْبَ اللِّواْ المعْقودْ
أصـــحابَ النبيْ الحْنَّ وَرزَمْلُوْ الْعُوْدْ
نِنْجَابَا الجـــميعْ يُوْمَ الصراطْ ممدودْ
******

مِـــنْ أُمْ مَّرَّحِيْ مَرَقَ الحــــــرسْ باريها
فِي يمِيْنْهَا أَبْ لِثَامْ وَالتُّوْمْ عقيـــداً فِيْها
غَرْبِ جَبَلَ الأَندلُسْ عَرَضَتْ جَنَادِيْها
فِي الحَرَمَ الشَرِيفْ بَضْرَبْ تمَــامْ بُوْرِيْها
******

عِيْنِـــكْ فِي الـــعُيونْ ممْهُورَهْ مِنْ بَدْرِيْ
وُسَاقيَتْكْ تَـسُوْقْ جَدَاوْلَهَا مُنْحَدْرِي
تِيْلَادَ الرجَـــالْ الْلَّازَمُوا الـــذِّكرِ
فِي الـــطَّيْ والسَّهَرْ والهِمَّةْ فِي الذِّكْرِ
******

مِنْ أُمْ مَّرَّحِيْ مَرَقَ الْبِفُرَجَ الْهَمْ
خِيْوُلُوْ مُنُوْمَسَاتْ وِنحَاسُو بِتْرَزَّمْ
طَافْ بَلَدَ الْمُرِيْدْ لِيْهُو بِيقُوْلُوا نَعَمْ
وَآخْرَ اللِّيْلْ تـرَا الْفِيْهُو الْبَخُوْرْ بِنْشَمْ
******

غَـــابَةْ كَبْـكَبَةْ اْلنَّدَاهَـــــا يُـــوْرِدَكْ
إِنْ عَقَبْتُوْ بِتْرُدَكْ.. وإِنْ خَتَمْتُوْ بِطْرُدَكْ
قِـــصْـرَ الــــرِجَالْ يُوْمْ تجِيْ فِي وِرْدَكْ
******

دَاحِيْتْ اْلـسَّفَرْ فِي سِكَّةَ السَّمَّـــانْ
وُكَتِّلْتَ الـــسُّيُوْفْ لَامِنْ أَصِيْلِنْ بَآنْ

يَــا اْلَّلفَـــايْ لِيْ صِـــيْحَةَ الدِّرْقَــانْ
خَلَّفْ كِيْكْ نَجِيْضْ مَا بِرَكِّكْ اْلضُّبَّانْ
******

يا وَدْ عَبْدَ الْكَرِيْمْ الَفِيْ اْلشُّرُوْق بَـطْرَاكْ
يَاْ أَبُوْ فرَسَاً مُكَرَّبْ لِيْ صِيْحَةَ الْكُوْرَاكْ
سَمَّانِي اْلـمَــدِيْنَةْ اْلرَّبَّ الْعِبَــادْ أَدَّاكْ
ضَــرَّابْ خُوْدَتْهِــنْ خِيْلاً تَجِيْــكْ تَـرَّاكْ
******

أَزْرَقْ بَابَنُـوْسْ مِتْـلَ الـبَرِقْ سِنُّـوْ
سِعْدُوا الْبَايَعُوْا وَكَدَّرُوْا الْمُخَاصْمِنُّوْا
اْلجَّدَعَ اْلسِّدِيْسْ الْمَاضِيْ فِي سِنُّوْ
يَــكَــزِّمْ فِي اْلتُّلُــوْبْ يجَافِلَنْ مِنُّوْ
******

فِي طَرِيْقْكُــمْ بَـسَافِرْ وَمَــا بَدَنْقِرْ هَامْ
وُعَـــارِفْ حِـمَايْتِيْ وُفزَعَيْ الْبِجِيْ قَوَّامْ
خِيْلَ النُّورْ بِضَوَّنْ فُوقْ سِيْدِيْ أَبْ لِثَامْ
أَبْ دَبَقَـــاً نَجِـيْضْ خَلَّى رِجَــالُوْا تمَامْ
******

فِي طرِيْقْكُمْ بَسَافِرْ وُمَا بَدُوْرْ لِيْ رَفِيْقْ
وُرَاكْبِيْنَ الْبِرِشَّـنْ سَاعْةَ اْلدِّرِكْ وَالضِّيْقْ
أَحْيِيْتُوْا الرِّجَـــال الْـــعِنْدَهُمْ تَحْقِيْقْ
وَالْبَدْنِيْ الْمُرِيْدْ الْوَاسْعَةْ عَلَّيْ بِتْضِيْـقْ
******

مِــنْ أُمَرَّحِــيْ مَــرَقَــتْ تَقِـيْــةَ الْـقُـوْمْ
وَفِي يمِــيْنْهَــا أَبْ لِثَــامْ قَائِدْ عَنَانَا التُّوْمْ
غَرْبَ جَبَلَ الْاَنْدَلُسْ فُوْقَ الْمُرِيْدْ بِتْحُوْمْ

******

إنْ أَدُّوْكْ عَــــدَدْ أَبْقَــىْ عَلِيْهُو صَحِيْحْ
وإنْ جَــاكَ الْــعَدُوْ قَبّــلْ عَلِيْهُو وْصِيْحْ
مُحَــمُــودَ الْــفُحُول رَكَّـابْ خُيُولَ الرّيْحْ
يِسَوِيْلَكْ فِي الْخَصِيْمْ كَشَّاتْ هُبُوبْ لِلْشّيْحْ

******

إنْ أَدُّوْكْ عَــــدَدْ لازِمْ عَـلِيْهْ مَــا تْـنُـوْمْ
وإنْ جَــــاكَ الــــعَدُوْ أَنْدَهْلُوْ طِيْبَ الْـقُوْمْ
مُحمودَ الفُحُوْلْ مَيَّلْ بِالقُطُبْ لَمَّا القِيامَةْ تقُوْمْ

******

الصَّلاةْ وَالسـلامْ لِيْكْ يَا النَّبِيْ الْغَالِيْ
وَاْلتَّسْلِيْـمْ مَــــعَ ذِكْرَ النَّبِي الحَالِيْ
تَنْجِيْ المسْلِمِينْ مِنْ حَرْ لَظَىْ الْقَالِيْ
وَشَــكَّارَ الرِّجَالْ يَــلْقَىْ مَقَامْ عَالِيْ

الشَاعِرُةْ «مِنْ دَامَتْ»:

تعتبر الشَاعِرة «مِنْ دَامَتْ» واحدة من أشْهَر تلاميذ الشَّيْخ السَّمَّاني الشَّيْخ البشير (1850–1967م)، مؤسس الطريقة السَّمَّانية بمناطق شرق سنار. وهي تقف كمثال حي للمريدة المخلصة والزاهدة في مَسِيد الشَّيْخ السَّمَّاني. عرف عنها كثرة العبادة، الإخلاص والعزيمة القوية في طريق القوم.

وهي من أميز الشخصيات النادرة في مَسِيد الشَّيْخ السَّمَّاني الشَّيْخ البشير مع «رفيق الدربْ الْمُنْدَرِجْ». وتعد من كبار الشِّعراء ومن أشْهَر من مدح الشَّيْخ السَّمَّاني الشَّيْخ البشير وهو شيخها ومربيها. كانت تقرض الشِّعر ورغم قلة إنتاجها، إلاأنه كان ذا جودة عالية، وقد اتسم شعرها بقوة وجزالة الكلمة، إلى جانب الصدق في وصف الممدوح. ومن روائع نظمها قصيدة (السَّمَّاني بليلو قائم) والتى لها قصة نوردها كما تناقلها الرواة[213].

سَّمَانِيَ بِيْ لِيْلُوْ قَايِم   رِفْعَةْ وَطَايْلَ اْلعَمايِم

213- عبد الجليل عبد الله. الشيخ السَّمَّاني. مصدر سابق.

يَا لُيْلَى نَاديْهُ

******

الصايم في الله هَايِم نِيَّلي الْفيهو الْلمَايم
تَعْيشِ يا دَقَر السَّمَايـم كلَّ زُوْلْ في وِسَادْتُوْ نْايم

******

ضباَح اْلدَّارَّهْ وَسْمِيَنةَ دُخرِي الْحُوبَ واْلسيَّنِيْنَا
صَافِي اْللُب غيرُ كَمِيَنا نومُ الْعيَن يَا الْخزِينَة

******

يَا لَيْلَى نَادِي اْلوَسَّيِلةْ الشَّيْخ دَرَّاجَ العَطِيْلَةْ
أِنْتَ الْواقعَة بتشِيلَها وَإِنْتَ تَقيم كلِّ لِيْلَةْ

******

يَا لَيْلَى نَادِي الْطَّرَاَبـا رِجَالاً عَاصْرَةْ رِكَابا
لابْسِينْ لِلْنُّور ثِيَابـــا وَمِنْ أُمَّرَحْ شَرابا

******

نِيّلَكْ طَامِحْ وَسَادِرْ إِيْدَ اْلقَاشْ مُوْ دَنادِر
فَرَسَكْ لِلْصَّيَحَةْ حَاضرِْ مِنْ نَشِيْتْ إِنْتَ نادِر

******

نِيّلَكْ طاَمَحْ وُساَقِيْ كم غِرْقَنَ في سَواقَيْ
خَرْيْفَكْ دائَمَاً مُلاَقِي وَزائد فوْقُ الْطَوَاقي

******

في الْحَضَراتْ إتْ جَلِيْسْهَا خِيْلَ الْغيْبْ إتْ عَرِيْسها
شُوْفَ الْعِيْنْ غَيَّر دَسِيْسْها سمحَ الْنادِر خَلَيصهَا

******

حَكْايَة اْلعَقَدي وِعَجيبَا كُلْ زُوْلْ مَحْنَانْ في الْمُصِيْبَة
جَاتُو رِجَالاً خَاَتيْة رِيْبَة سَلُّوْ سَلَّةْ سَبِيبا
وَبَسَّطُو أمُو الغَضِيْبة

******

مِنْ كُوبَر جَاتُو الإِشَّارَة مُوركَ قاطع الْبَّصارَة
جْنُو فزَعْاتَ أبَ امَارةِ طْه وَطِيْبَ الْبُشَّارَة

******

صَقَر الرُوُخَ الْبِخَوِيْ وشدَّدَ لَلعُرْوَة قَوِّيْ
حِدرِبِيْ الفيلَ اَلمنوَي وَكَفْ الشَّيْخ كانَ بتسوَي

******

صَلِّ الحَّيَّ الْغَنِيَّا عَلىَ اُلمختَّارْ نَبِيَا
مَنَ دَامَتْ يَا نَبِيَّا تَسْعَدْ لا تَكُونْ شّقْيةَ[214]

«مِنْ دَامَتْ» تعتبر واحدة من أميز الشخصيات النادرة مع «رفيق الدربْ الْمُنْدَرِجْ» في مَسِيد الشَّيْخ السَّمَّاني كانت تقرض الشِّعر ورغم قلة انتاجها، إلا أنه كان ذا جودة عالية، ولعل قصيدتها المذكورة أعلاه تقف شاهداً على ذلك.

إنتقلت إلى ربها في أواخر الثمانيات من القرن الماضي وقبرها ظاهر بمقابر الشَّيْخ البشير ود نور الدائم بطابت الشَّيْخ السَّمَّاني.

ومن نظمها أيضاً الأبيات التالية:

دَفَنُوْهَا في الخُمُوْلُ الْقَمُلْ وَالْسُّفُوْلُ
جاها الخَيرْ بِخُفُوْلُوْ صارتْ كُّلِ يُومْ تَطُوْلُ

******

مَا هِمَّتْهُمْ دُنْيَةْ وَمَا لِيْهُمْ فيها نِيَّةْ
النَّفْسَهُمْ رَضِيَّةْ سَوُّوْا اْلسَّهَرْ مَطِيَّةْ

فانظر ما قالت في البيت الأخير فهو شبيه بما قاله الشَّيْخ علي وفا:

وَمَا الليلُ إلا للمَجْدِ مطيةٌ وميدانُ سبقٍ فاسْتَبِقْ تبلغِ الْمُنَا''[215]

214- المصدر نفسه.

215- عبدالجليل عبدالله صالح. الشَّيْخِ السَّمَّاني الشَّيْخِ البشير حياته وآثاره، دار عزة للنشر، الخرطوم 0202م، ص

نفيسة عثمان أحمد القويضي (1915–1999م):

الشاعرة نفيسة عثمان أحمد القويضي الملقبة بـ»بِتُّ أُمَيْمِنَةْ» هي من أشهر الشاعرات اللائي نظن الشعر في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والسادة الختمية، وهي تعتبر شاعرة الختمية المميزة بالولاية الشمالية خاصة جزيرة مِسَّاْوِيْ.

ولدت الشاعرة بِتْ أميمنة بجزيرة مساوي في العام 1915م وانتقلت إلى الرفيق الأعلى في العام 1999م[216].

وفي قصيدة لها بعنوان «أُمْ رِخَامْ» نجدها تتوسل وتسأل الله أن يسهل لها زيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم في مدينته والتي كثيراً مايصفها الشعراء بـ»أم رخام». تقول أبيات القصيدة:

اللِّيْلَةْ أُمْ رُخَامْ لاحْ لِيْ برَّاقَهْ   طَرَّانِيْ الرَّسولْ الْلِّيْهُوْ مُشْتَاقَةْ

******

يُوْمْ وَضَعُوا الرَّسولْ الكونُ ضَوَّاهُوْ
الأَمْـــلاكْ تعسكِرْ فُوْقُوْ زَارْيَاهُوْ
الحُوْرْ زَغرَدَتْ لِيْ وَاسِـــعَ الْجَاهُوْ
وِما طَابَ الزَّمَـــنْ واللهِ لَوْلَاهُوْ

******

فِرِيْخَةْ دِيْمَـــهْ تَمْدَحْ وَرَاجِيْ خَلَّاقْهَ
دَبِّرْهَا يَا كريمْ حِلْ قِيْدَهَا مِنْ سَاقَه
عَلِيْ حَرَمُـــو الرَّهِيـنْ النُّورُ بِتْلَاقَه

******

يا ربْ يا كريم يا دَارِي بِيْ حَالِيْ
ويا ربَّ العبـــادْ الْعَارِفْ أَفْعَالِيْ
سهِّلْ لَيْ زِيارْةَ المصَطفى الغَالِيْ
اللِّيلْ والنَّهـــارْ مَطْبُوعَهْ فِي بَالِيْ

******

.302

216– محمد المختار ودالمتعارض. رسالة عبر الواتساب بتاريخ 2202/21/52م.

نركَــبْ فِي القَطَرْ وَيَشِقْ بِنَا الوادِيْ
نَصَلْ الْمَرْسىَ لَمَّا نَعَدِّيْ بِيْ غَادِيْ
يَرْزُقْنِيْ الـــكريمْ بِيْ زَوْرَه لِلْهَادِيْ
******

الصلاةْ والسَّلامْ تِتْوَالَهْ تِتْوَالَيْ
عددْ ما قامْ حجيجْ طافُ أُمْ رُخَامْ زَارَهْ
عددْ ريشَ الحمامْ والكعبةْ وَأمْطَارَهْ
أشعارْ الحاجَّةْ بِتْ تُّمَيْمِنَهْ تَرْضِيْكْ يا نَبِينَا اْلشَّايِلَ الْحِمَالَةْ[217]

ومن روائع نظمها قصيدة أبدعت فيها النظم وهي تنعي مولانا السيد علي المرغني عليه رحمة الله مرشد الختمية. تبتدر الشاعرة بِتْ أميمنة المرثية قائلة:

الــعظيــمْ يـــا سيديْ جَاهكْ مُوْ قَليلْ
الـــزعيـــمْ الغـــاليْ رَكَّـــازْتَ الْبِمِيْلْ
أنَا بَدِيْتْ بِيْ اللهْ ثَنِيْتْ بِالنبيْ النَّاجَىْ الجليلْ
الـــشفيـــعِ لِيْ الأُمَّةْ يُوْمَتْ مــا فى حِيْلْ
******

وَلا فى غُــــلَاطْ وَلا فى كَـــلام كَتِيرْ
هُـــوْ يَأَتِيْ المـــسلمين بِيْ كُلِّ خِيرْ
******

سِيْدِيْ يا البَحَرَ السَّرّبْ مُوْجَاً يَشِيْلْ
إِتْ كَمْ رَبِيْتْ وَكَـــمْ عَافِيْتْ عَلِيلْ
الْمَــدَافِعْ تَــرِبْ والأَنـــوار تَشِيْلْ
******

جِيتْنَا عَلّيْتَ البلدْ بِى كُلِّ خِيرْ
وَجِيتْنَا إِتبَيَّنْتَا عَنْ نَاسَ القُرِيْرْ
******

اللّيْــلَــهْ يـــا مَولايَا يَـــا خَـــيرَ الوَرا

217- المصدر نفسه.

أِنْـــتَ يا طارْحَ الأرِضْ وَرافْعَ السَّماء
إنْ شاءْ اللهْ سِيدِيْ بَرَكْتُو تِنْزِلْ فِيْ جَنَا
إنْ شاءْ اللهْ الــبركةْ فيْ الأشرافْ تِمَّاءْ
******

الــدوامْ لِيْ اللهْ يـــا جـبـلَ الضَّرَا
صـــلاةَ اللهْ عَدْ مــــا نَاحْ حمامْ
وَترْضِيْ المصطفىْ السَّاكــنُ أُمْ رِخَامْ
كَدِيْ يَخُصَّ المِادْحَهْ بِيْ خِيرّ وِاحْتِرَامْ[218]



الشاعرة بِتْ أميمنة

السَّارَّة بِتَّ الشَّيْخ محمد وقيع الله (ت 2010م):

إنها الحاجّة السَّارَّة بنت الشَّيْخ محمد وقيع الله، شقيقة الشَّيْخ عبد الرحيم البرُعِيّ الكبرى. وافتها المنية في العام 2010 عن عمر يقارب المائة عام.

ولدت رضي الله عنها سنة 1918م، ونشأت وتربت على يدي والدها الشَّيْخ مَحَمْد وقيع الله وكانت لصيقة به لأنها كانت تكبر جميع إخوانها الذكور ما عدا أخيها الشَّيْخ النور. وكانت أول بنت تتعلم القراءة والكتابة في الزريبة، وكان والدها يحبها حباً شديداً، دل على ذلك التصاقها به وحفظها لكلامه وكانت بالنسبة لنا من أبرز

218- حسن مساوي. منتديات الختمية. الخرطوم بتاريخ 62/7/0102م

المصادر التي تلقينا منها سيرة الشَّيْخ محمد رضي الله عنه.(انظر الفصل الثالث ص).

بالإضافة إلى ما تلقته عن والدها من علم وما استوعبته من أقوال وعظات كانت رضي الله عنها تطالع كتب الفقه والتَّصَوُّف والشِّعر، تحفظ الكثير من شعر الْمَدِيحِ النبوي لشعراء سودانيين وغيرهم، وتكاد تحفظ ديوان البُرْعِيّ اليمني، وأذكر حينما التحقت بالمعهد العِلْمي أنها سألتني عن ماذا أقرأ؟ فأخبرتها بالمواد التي كنا نتلقاها بالمعهد فأوصتني بضرورة الإلمام باللغة العربية، ثم قرأت لي هذا البيت الذي نسبته للبرعي اليمني:

كلامٌ بِلا نَحْوٍ طَعَامٌ بِلا مِلْحٍ ** وَنَحْوٌ بِلَا شِعْرٍ ظَلَامٌ بِلَا صُبْحِ

كانت تكتب الشِّعر الصُّوفِي ولها شعر جيد لا يقل عن شعر الشِّعراء المعروفين لدينا، ولها قصائد كثيرة في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في مدح والدها الشَّيْخ محمد وقيع الله. وقبيل وفاتها بوقت قريب سألتني عن تلك القصائد، وما ذا فعلت في أمرها، ثم قالت لي: أحضر ورقة وقلماً لكي أمليك آخر قصيدة ألَّفتها. استعنت بالموبايل للتسجيل وطلبت منها أن تؤدي القصيدة فأدتها لي بصوتها، وكنت أقوم لها بدور الكورس، وهذه هي القصيدة:

آلافَ الصـــــــلاةْ لِخَيْرِ الـــــبَرِيَّةْ
والتسليمْ جزيلْ عَدَّدَ الْمَـــاتْ وَحيَّا
نرجوكْ يا كريم موجـــــــوداً وحيَّاْ
بالأَسماْ الحســــــانْ والمختارْ نبيا
بالرسْلِ الكرامْ نرجوكْ جودْ عَـــلَيَّ
بِيْ طاعْتَكْ دوامْ في الضَّيْ والعشيـةْ
ثِنّيْتْ بالــــــرسولْ طهَ الأبطحِيّا
وَدْ فِهْرِ وَكنانـــــــــةْ الْحَازَ الْمَزيَّةْ
يومَ النارْ تفورْ والنـــاسْ في القضيةْ
جانَا المصطفىْ وَشالْ حِمْلِيْ الْعَلَيَّ
وُضِعَ المــــصطفىْ بالاثنينْ عشيةْ
خَرَّ مــــــكـــــبــــراً للهِ العَـلِيَّا

جـــــاتَ الحورْ تهَنِّيْ لِآمَنَةْ الزكيةْ
فِرْحَتْ بـــه الطيورْ ووحوشَ البريةْ
******

أتى مكــحولْ دهينْ مختـــوناَ مُنَقّىْ
مقطوعْ سُرَّةْ طاهرْ جسمهْ النورُهْ بَقَّ
إنْ مرَّ في الهـــجـــير مِنْ الحَرْ مُوَقّى
فـــاقَ الأنبياْ واسمـــــــه الله شقَّ
******

في عُرُوْجُهْ الــوحيِ فتَّـــــحْ لَهُ الطِّبَاقِ
جـازَ السبعةْ شــــــافْ ربُّهْ بِالبرُاقِ
حيَّاهُ وْدَناهُ فَوْقَ الـــــعرشِ راقِيْ
أعطاهُ الشفاعةْ والحُوْضْ لِيهُ سَاقِيْ
******

خيرُ الأنبياْ وأكــــــــملْهُمْ شريعةْ
وأعظمْهُمْ خُلُـــقْ أَبْ ذَاتاَ وريعـةْ
فاقْ آدمْ ونُوْحْ الْمَدَحَهْ أب شريعةْ
لِيهُ الـــــغِيْمْ يظِلْ من الحرْ سريعَاْ
******

مِنْ آيةْ القمرْ والشاةْ والنَّميرِ
والعيرْ والجذعْ والضبْ والبعيِر
أبو سِمْ والحصىْ وأقراصَ الشعيرِ
والأيكاتْ سعتْ لِيْ طهَ البشيرِ
******

أصحابُهْ الليوثْ الْهَلَكُوا الأعاديْ
راكبينَ الخيولْ الغرَّ الجيادِ
ناسْ صديقْ عمرْ عُثْمَانَ الزنادِ

والكرارْ عليْ عنهم ربِّي راضيْ

******

يا حاجْ البرِيْق لاحْ لِيْ مِن جهاتُهْ
خلَّانيْ أنَوّحْ دمعَ العينْ شَتَاتُ
يا ربْ يا كريمْ زُوْرَةْ لِيْهْ حاته
نَوْصَلُهْ فيْ أُم رُخامْ نغْمَرُ بالنجاةْ

******

صلى الله عليك يا سمح الصفاتِ
والتسليمْ كثيرْ عددَ الكائناتِ
ترضيكْ يا الرسولْ سارةْ تَنِيْلْ نجاةُ
جملةْ الْمُسْلِمِينْ في كلِّ الجهاتِ[219]



الشَاعِرَة الرِّسَالَة مع بعض أحفادها

219- عَبْدَ الرَّحِيمِ حاج أحْمَد. السارة الشيخ مَحْمَد وقيع الله. مصدر سابق.

الشَاعِرُة نفيسة حسن صالح (1927– 2021م):

تعد الشَاعِرُة نفيسة حسن صالح واحدة من الشَاعِرَات اللائي أبدعن في نظم الشّعر النبوي في البِلاد. وقد جاءت سيرتها -كما هو في مقدمة ديوانها الشِّعري المنشور - أنها الحاجّة نفيسة حسن صالح الفكي حسين عبد الله سليمان فرحسونا، المولودة في عام1927م، الموافق1346هـ، ويعود نسبها لفرحسونا أحد مؤسسي قرية الفرحسين، إحدى قرى الجعلين شمال المتمة على الضفة الغربية لنهر النيل. وهي البنت الكبرى لوالدها حسن صالح الذي أسماها على والدته التي كانت تسمى أيضاً نفيسة بِتْ حسن، بيد أن الاسم الذي اشتهرت به وشاع وصار معروفاً هو ''سِتيِتّةْ ''حيث أن كل من عرفها عرفها بهذا الاسم، ولا يذكر اسم نفيسة إلا في الأوراق الرسمية، وفي سردها لأشْعار الْمَدِيحِ وقصيد الصالحين. وكانت تكني أيضاً بـ»بِتَّ اْلجَيّدْ» بفتح الجيم وكسر حرف الياء وتشديده، حيث كان يلقب والدها حسن صالح في القرية بـ''الجيد''، نسبة لدماثة خلقه وحسن تعامله مع الناس وكرمه وهو لقب ورثه عن أبيه صالح وَدَّ الفكي حسين. جدها الفكي حسين كان من أثرياء القرية المعروفين، له كثير من الأطيان والعمال، وكان يدللهم حتى أن أهْل القرية يقولون أن من عمل مع الفكي حسين لن يحسن الخدمة مع غيره. حفظ الفكي حسين القُرْآن الكريم في مدة سبع سنوات وهي مدة طويلة نسبياً، ولكنه أجاده إجادة تامة حتى أنه كان يعمل في نسج المنسوجات بمزرعته ويقوم بتدريس القُرْآن لعدد سبعة أو ثمانية من الطلاب في آن واحد. تزوجت الحاجّة نفيسة وهي في سن الخامسة عشر من حاج بلال ابن الشَّيْخ عبد السلام العباس راوي الْمَدِيحِ المشهور بـ''ابن العباس'' الذي كان يكبرها بثلاثة سنوات .وزوجها هو بلال عبد السلام العباس حاج أَحْمَد بن إبْرَاهِيْم [220].

وكانت الحاجّة نفيسة في طفولتها تختلف إلى مجالس العِلْم والدروس المقامة بخلوة الشَّيْخ عبد السلام العباس بقرية الفرحسين. وكانت محبة للدرس وتهرول لحضور الدروس وهي طفلة صغيرة حتى إن الشَّيْخ عبد السلام كان يقول أن الملائكة تبسط جناحيها لحضور الأطفال لدوس التَعْلِيم، كما ورد في الحديث النبوي الشَرِيف.

220- ديوان ''ابنة حسن في مدح جد الحسين والحسن، وقصيدها في الصالحين''.

ودرست فيها القُرْآن والفقة ومن ضمن ذلك تذكر ‘‘كتاب جامع زبد العقائد التوحيدية’’ لـ»وَدْ عدلان» الشَّيْخ الأزهري السناري(أول طبعة للكتاب كانت عام 1898م.)

تعلمت الحاجّة نفيسة الشِّعر وهي طلفة صغيرة على يد حبوباتها «دارَ السُّرورْ» وزينب وبتول وفاطِمَة، ’’بنات الفكي حسين’’ التي كانت ترافقهن وتقضي معهن غالب وقتها، وكن شَاعِرَات القرية الأوائل، فكانت تشاركهن البيت والبيتين حتى أجزنها.

تعلمت الحاجّة نفيسة القرآة والكتابة على يد عمها محمد صالح الفكي حسين، وقد كان من مثقفي الأسرة وكثير التسفار إلى مصر، وكان يأتي لها بالكتب والمجلات كما ذكرت منها مجلة «لواء الإِسْلَام»، أما العقيدة والفقه فقد درستهما وهي صغيرة على يد الشَّيْخ الفكي وراوي الْمَدِيحِ عبدالسلام العباس. وقد ذكرت ذلك في مديحها النبوي، إذ تقول:

سِيْدْ كُلِّ سايِدْ وَلِيْ رَبُوْ سَاجِدْ
مَدَنِيْ وَعَبْدُ الماجَدْ مَعَ الأمَاجدْ

******

بِيْ عَمِيْ مُحَمَّدْ عَلَّمْنِيْ وأَرْشِدْ
فِي يُوْمَ الموعِدْ يَنْجِيْ وَيَسْعِدْ

******

صَاحَبْ صاحْبَ التوفيقْ والعَدْلَ
كَدِيْ عَلِيْ شَانُوْ النُّوْقْ قَدَلَ
العبِيْـــــدْ للهِ ابْتَهَـــلَ
رَافْعَ الكفِّ لِيـــــهُ سَأَلَ
يا كـــــرِيمْ يا رحمنَ عَدَلَ
أَسألكْ لِيْ عُقَدِيْ الحَــــلَلَ
أَلْيَكُوْنْ فِي صَدْرُهْ الْمَهَـــلَ
الفَـــرَجْ لابُدْ مِنْ يَصَلَ

يُوْمْ يَقِيْفْ الناسُ فِي وَحَـــلَ

جُاهُوْ ينَجِيْ الْفِيْ النَّارْ حَتَلَ

يُوْمْ وُضُوْعُـــوْ النُّوْرِ اشْتَعَلَ

ضَوٌّ فِيْ الكُــــوْنْ عَمَّ الْمَلَلَ

خَرَّ سَــــاجِدْ حِيْنْ مَا نَزَلَ

بِيْهُوْ سُحْــــبَ الخيرِ انْبَهَلَ

الحبيبْ مِــــــنْ قُوْمْةَ الجَهَلَ

مَا نَطَقْ بِيْ هَرْجَةْ وْزَعَـــــلَ

لَفْظُهْ دَرَّ فَــــــاقَ العَسَلَ

بَسْمُوْ يَخْفِيْ البَرْقَ الشَّــعَلَ

الغَمَـــــــامْ ظَلَّاهُوْ وَهَطَلَ

والصَّــــعَبْ لِقُوْلُهْ امْتَثَلَ

مَسُّــــهْ للمَسْقــُوْمْ بِالْعَلَلَ

يَشْفِيْ كَـــانْ فِي لَحْظَة وَأَقَلَ

طَهَ لِيْ لِيــــــمُوْ بَكَىْ النَّخَلَ

الماءُ سَــــالْ مِنْ كَفُّهْ اِنْبَهَلَ

الْيَبِيْسْ بِي دُعَـــــاْكَ انْهَدَلَ

القَمَرْ نِصْفِيْنِ انْفَصَـــــلَ

جُوْدُهْ فَــــاقْ الوَابِلَ الهَطَلَ

مَكْـــسِيْ بِالْهَيْبَاتِ وَالحُلَلَ

نُوْرُهْ فَــــاقَ البَدْرِيْنْ خَجَلَ

يَمْشِيْ مُتْوَاضِعْ مَــــا قَدَلَ

الصَّحَابَةْ الفَاقُــــوا الْمَثَلَ

قَائمِيْنْ للدينِ والعَــــدَلَ

نَاصرينَ لِيْ سَمْحَ الْمَحَـــلَ

خَاذِلِيْنَ عُبَّادَ الهُبَـــــلَ

صاحِــــبَ التوفيقْ والعَدْلَ
كَدِيْ عَلِيْ شَانُوْ النُّوْقْ قَدَلَ
البِرِيْقْ مِــــــنْ جِهَةَ النَّخَلَ
لاحْ لِيْ وَدُمُــــوْعِيْ انبَهَلَ
يَا كــريمْ لِيْ قِيْدِيْ الحَلَلَ
قبْلَ أَمُوْتْ لِلمَحْبُوبْ أَصَلَ
صاحِــــبَ التوفيقْ والعَدْلَ
كَدِيْ عَلِيْ شَانُوْ النُّوْقْ قَدَلَ
******

صلِّ يا قــــدوسْ يَا مَلِكْ
والســــلامْ معبوقْ بالمِسِكْ
بِتْ حسنْ يوم الطُوْبْ شَبِكْ
يا الرسولْ لِيْ مَشْبُوكِيْ فِكْ
******

صاحِبَ التوفيـــــقْ والعَدْلَ
كَدِيْ عَلِيْ شَانُوْ النُّوْقْ قَدَلَ[221]

221- المصدر نفسه.



الشَاعِرُة نفيسة حسن صالح 1927- 2021م

لَيْلَى محمد الصابونابي (1953-):

هي الشيخة ليلى الشَّيْخ محمد الصابونابي، ولدت بـ«الصَّابُوْنَابِيْ» في العام 1953م. درست على يد الوالد الشَّيْخ محمد الصابونابي القُرْآن الكريم وعلومه واللغة العربية وعلوم الحديث والتَّصَوُّف و الميراث.

إلى جانب دورها كمعلمة للقرآن وعلومه فهي شَاعِرُة مطبوعة ومجودة، والشِّعر لديها لم يكن وليد لحظة وكان والدها الشَّيْخ يعلمهن مع حفظ القُرْآن الشجاعة الأدبية وذلك بنظم المدِائِح وعرضها لبعضهم البعض في شكل دائرة. وجهد الشَّيْخ محمد الصابونابي مع بناته التسعة ليتمكن من حفظ القُرْآن الكريم، وقد حفظ منهن بتول الشَّيْخ محمد والزلال الشَّيْخ محمد. والائي ختمن هنَّ: جلالة الشَّيْخ محمد وليلى الشَّيْخ محمد، أما بقية أخواتهن فقد حفظن أجزاء منه.

ونظم الشِّعر من بنات الشَّيْخ محمد أربعة، فهن شَاعِرَات، وهن: جلالة الشَّيْخ - لها ديوان مطبوع لكن غير منشور - وكذلك نوال الشَّيْخ وبركة الشَّيْخ ولهن مؤلفات في الْمَدِيحِ لم تنشر. أما صاحبة الفضيلة ليلى الشَّيْخ محمد فلها ديوانان لم ينشرا بعد - بهما أكثر من مائة قصيدة وهذه الدواوين قد كتبت بالدارجية السودانية تناولت مدح المصطفي بألحان نسائية للاستعاضة بها عن الأغاني، بل ذهبت الشيخة

ليلى لنظم قصائد بلهجة محلية لنساء الإنقسنا بألحان خاصة استعانت فيها بالفنان الباحث في التراث الشعبي الجمري حامد، وتم تسجيل حلقة كاملة في هذا النمط بقناة فضائية مثال لذلك:

أَمُوْنَةْ بِتِّيْ شِيْلِيْ المِصْحَفْ *** نَقْرَأْ وَنِتْعَلَمْ نَقْرَأْ وَنِتْعَلَّمْ

مجاراةً للبيت المشهور: -

أَمُوْنَةْ يالّا شِيْلِيْ الْمُنْجَلْ *** نَزْرَعْ وَنَنْتِجْ نَزْرَعْ وَنَنْتِجْ

فهنالك محاولات قصائد لمعالجة مشاكل محلية خاصة بالمجتمعات التي تقيم فيها الجمعيات نشاطها تؤلفها الشيخة للغرض المحدد.

وكما أسلفنا فإن الشِّعر لدى ليلى الشَّيْخ لم يكن وليد لحظة، بل كان أحد أركان التربية، لذا تم توظيفه بصورة إيجابية لخدمة رسالة الدعوة، لكن مع ذلك لازمه الإحساس الشاعري المرهف على الرغم من أن الحب لا يكون إلا للحبيب الأول -رسول الإنسانِيَّة - كما قال الشاعر:

نَقِّلْ فؤادَكَ حيثُ شئتَ مِن الهوى

مَا الحبُّ إلا للحبيب الأول[222]

فالشاعرة رغم أن إنتاجها الشِّعري كان جله في مدح المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه -كما كان ديدن ومنهج الوالد الشَّيْخ محمد - إلا أنها طرقت ضروباً أخرى من أغراض الشِّعر والقريض، فكان من بين أشْعارها حظ للوطنية والتراث بين أشْعارها كان حاضراً، قضية الفراسة في ساحات الوغى لها حضور لا تخطئه العين بل تبسيط المعنى ومخاطبة الوجدان البسيط العفوي ليدرك المقصد ويتبع المنهج، فخاطبت كل فريق على قدر عقولهم ولدينا نماذج وشواهد تؤكد ما ذهبنا إليه، وهي في نظمها تنقلت من العامية الدارجية إلى الفصحى، كما جارت أهْل العصر في الألحان الجديدة، لكي تجد مَدائِحها أُذناً تصغى إليها لتحقق هدف رسالتها المنشودة والتجربة، التي وظفت فيها إمكانيات الفنان المبدع الجمري حامد خير شاهد ودليل على توظيف البيئة لأجل أن تقبل النفوس ما ألفته، وهكذا كان شأن أهْل التربية والرسالات العظيمة ما تركوا شاردة ولا واردة توصلهم للغاية إلا سلكوها. ولكي نتبع

222-النعيم محمّد الهادي الصابونابي. سيرة الشَّيْخِ ة الأُسْتَاذْة والشاعرة لَيْلَى محمّد الصابونابي. 2202/9/1م.

القول الفعل نذكر النماذج الحية لتوضيح ما ذهبنا إليه: -

ففي التالي من أعمالها نجدها هنا تشجع على حفظ القُرْآن، وما فيه من سور وأنواعها وما يحل على حافظ القُرْآن من البركات والرحمات، وما يناله من ثواب في الآخرة وما يلاقيه من راحة في الدنيا ببركة هذا القُرْآن. ومن نص القصيدة نقتبس:

قُرْآني يِقَوِّيْ إيماني يزيدوْ

******

يا سورة الأكبر ويا سورة الأصغر

بِالْمَخْفِيْ والْمُفَسَّرْ مِن البقرةْ للكوثرْ

******

من البقرةْ لَلأعرافْ .. للكهفِ

وَأْنبَتْنَا..

وَأْنبَتْنَا للناسِ ثَبِّتْه في رأسي

******

صلى مولاهُ لِمُعَظَّمَ الجَاهْ

الصدقِ تملاهُ من ليلى الحَابَّاهْ

القصيدة أعلاه تحتوي على ثمانية وعشرين بيتاً، المقصد منها التشجيع والحض على الإقبال للقرآن وحفظه وتطبيقه في حياتنا[223]. ومن قصائد الفروسية قولها:

الْفِيهُمْ مَشْهُودَةْ .. الصلاةْ والصيامْ

والدِّرِعِ والخُوْدَةْ .. البيعةْ وَعهودةْ

قاصدين النَّصُرْ النيةْ معقودهْ

قلوبْهُمْ بَيضَ حاشاها ما سُوْدهْ

فرسانَ اليهودْ جابُوْها مقبوضةْ

فَرْتَقُوا لِلَّمَّاهُمْ وَشتَّتُوا وُفُوْدهْا

ختمت القصيدة بالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم كعادة المادحين. وهي تحتوي على عشرين بيتاً، فكانت خاتمتها:-

223-المصدر نفسه

الصلاةْ والسلامْ طُوْلَ الزمانْ والحِيْنْ
بِعَدَّ الخُلُوقِ مِن جُمْلَة الثَّقلينْ

ومن المِدائِح النبوية الواردة بديوان مَدائِح الشيخة ليلى نعطي نموذجاً لقصيدة منها الآتي:-

عيدْ مِيلادُهْ يا خِلَّانِ *** نَّـــوَّرَ الأكـــوانِ
وُضِــعَ النبيُ الأكـرمُ *** طــهَ عظـيمُ الشانِ
إخـواتنا نـاسَ الشَّفَّةْ *** شــافنْ قـصورْ كنعانِ
والسابقـــاتْ حضرنْ *** ناسَ آسيا أَلِّيْ في القرآنِ
بنـاتَ الـــنبوةْ ومَرْيَمْ *** تُدعى بِنِتْ عــمرانِ
النـــورْ شَلَعْ ساطعْ *** نَّـــوَّرَ الأكـــوانِ
غابْ ساعَةْ مِنْ أُمُّهْ *** عــندَ الْمَلِكْ رضوانِ
طافْ بِيْهُ على الجنانِ *** والحــورِ والـغلمـانِ
اشتبشرت السمـاواتُ *** والأرضُ والـثــقلانِ
نِحْنَ الجــميعْ فَرِحِيْنْ *** أَخَـوَاتْـــنَا والأخـوانِ
إنْ شاءْ اللهْ كُـلِّ مولدْ *** يَجُـوْنَـا بــاطمئـنانِ

وفي ذكري استشهاد الشَّيْخ عبد الله[224] نظمت الشيخة ليلى القصيدة أدناه كقصيدة فروسية:-

أولادَ الْمَصُوْبَنْ أشْهَروا
وَمَرَقُوا في الدارَ العظيمةْ
هُمَّ النَّقُلْ سُوُّهُو
للأسرةْ العريقةْ
سَمْحَ الأثرْ ترَكُوْا
******

224- المصدر نفسه.

ناس الشَّيْخ عبد الله استشهـدوا ومرقـوا
عاقـدينْ الطَرُوْفُ سَـوا مَا اتْفَرقُـوا
يا أَوَّلْ شهـيـدْ أولادكَ العشـريـنْ
دَهْ الشَّيْخْ عبدَ اللّهْ وَجِـدَّنَا أَبُوْ قَبْرِيْنْ
******

طَايْعِيْـنْ ربهـمْ الرُّكَّـعْ السـاجديـنْ
استشـهـدوا فـي المِسِيد ماتـوا فرحانيـن
******

الشَّيْخ عبد الله بَشَكِّرْ أفعـالـوا
يُـوْمَ الحـارَّةْ جاتْ حِيْرَانُو ما جَـالوا
******

بالكِلْمـةْ الشريفةْ على المِسِيدْ ساروا
حـاجْ إدريسَ الشهيـدْ جُـوْدَاتْ بِجِيْبْ تَارُو

هـذه القصيدة تحتوي على ستة عشر بيتاً، وهـذا غيض من فيض. وأظهرنا تنوع النظم وعمق استخدام الشِّعر في التعبير عن الأحداث المختلفة. ومن هنا يمكننا القول أن هـؤلاء كانت أقوالهم وأفعالهم وحالهم دالة على الله وهـو مقصودهم.

وحتى لا يكون الأبناء حجةً على آبائهم فبتوفيق الله تجلت تربية الشيخة ليلى الشَّيْخ في أبنائها وبناتها وأُسرتها من حولها ليعم النفع وتمضي المسيرة. ولا غرو فإن أبناء وبنات الشيخة ليلى على قَدم راسخ في المعارف والسير على منهج الآباء والأجداد، فامتد معين المعرفة إليهم ونهلوا من مصدر لا ينضب وارده، فلهم في ذلك قدحٌ معلى كامتداد لمواصلة هذه الرِسَالَة التي تعتبرها الأسرة من أوجب وأجباتها وهي سبب هجرتهم للصعيد (الجنوب الشرقي للسودان).

فابنة الشيخة ليلى «نعمات محمد الشَّيْخ الهادي» لها مؤلفات عن ذكر الله الذي تطمئن به القلوب وفضل الصلاة على نبيه صلاة ربي وسلامه عليه بعنوان «نور الوجود وأنواره المضيئة»، هكذا كتبت. أما «نِعم» فقد برعت في التوحيد وتدريسه

إلى غير ذلك من المجاهدات التي عكف عليها بنات الشيخة ليلى ليستمر الوابل الدفاق لخير العباد والبِلاد[225].



الشَاعِرَة لَيْلَى الصابونابي مع بعض التلميذات

شادية فضل الله عيسى أبو العول (أم القوم) (1960–   ):

الرواية والشَاعِرَة المجودة شادية فضل الله عيسى أبو العول من مواليد مدينة «طابت الشَّيْخ عَبْدُ المِحْمُودْ» في العام ١٩٦٠م. درست المرحلة الابتدائية والثانوية بمدينة «طابت الشَّيْخ عَبْدُ المِحْمُودْ». تُعرف داخل المِسِيد بـ»أم القوم» فهي التقية النقية، الطاهرة الهميمة، النظيفة الظريفة، من العابدات القانتات، الراكعات الساجدات، الحافظات لحدود الله عز وجل. فهي كريمة الخصال كامل حقها، فهى زاخرة بالعطاء والتضحيات والإنجازات. تميزت بصفاء النية وسلامة القلب، وصلاح الأعمال وطيب العشرة، لا تعرف الحقد والحسد والكِبْر وتحب الخير للجميع، وهى كريمة مضيافة وصادقة كالفجر الصادق وقد شهد لها بذلك كل من عرفها[226].

ويكفى فى وصفها أنها حفيدة الشَّيْخ السمان بن الأُسْتَاذْ الشَّيْخ «عَبْدُالمِحْمُودْ وَدْ

225- المصدر نفسه.

226- مقابلة مع شادية فضل الله (أبوالعول) عبر الواتساب بتَارِيخ 2202/5/22م.

نور الدائم» رضي الله عنه، وحرم الخليفة الشَّيْخ الجيلي رضي الله عنه والذي نهلت من علومه ونالت من فيضه الدفاق. وقد خدمت أم القوم المِسِيد والقوم أكثر من أربعين عاماً وما زال عطاؤها مستمراً ولله الحَمْد والمنة.

امتازت أم القوم بالذكاء والقدرات العقلية والتخطيط والتحليل وحل المشاكل وسرعة التصرف والبديهة، وتجيد الكتابة شعراً ونثراً ولها ديوان فى الْمَدِيحِ النبوي تحت عنوان: (نفحات الطيب فى مدح الحبيب). ومن روائع نظمها في مدح خير البرية خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد، اخترنا ليها قصيدة، وأخرى في مدح وتمجيد «اللالوب»، وهذا النمط من الشِّعر ينظم ليذكر فيه الشاعر أهمية الذكر باللالوب، كوسيلة تعين على مداومة الأذكار والأوراد، وكذلك اخترنا لها قصيدة وهي تمثل روائع شعر الرثاء، وقد نظمتها في رحيل زوجها الخليفة الشَّيْخ الجيلي خليفة السَّمَّانية في «طابت» والذي ارتحل إلى الرَّفِيقِ الأَعْلَى في العام 2017. أول قصائدها النبوية المختارة بعنوان (كَنْزِيْ حَجَايَا كريمْ). تقول كلمات القصيدة:

كَنْزِيْ حَجَايَا كريمْ هَوّنْ لِيْ أَزْوْر مَلْجَايَا
رسولَ اللهْ

بِسـمِ اللهْ بَدِيْتْ يَا كـريمْ لِيْ نِدَايَا	لِنَبِيَ الخـيرْ طـهَ كـافِيْ بَلَايَا
أَزُوْرُهْ لِيْهُ يَمْـحُوْ كُـلِّ خَـطَايَا	فِي مَـدْحَ الخـيرْ يبْقَىْ فَنِّيْ غُنَايَا
بِيْهُوْ نارَ الكـونْ طهَ كابِّيْ حَجَايَا	شَرْعُهْ جَانَا عَدِيْلْ بِالقُرْآنْ والآيهْ
بَحَرْ لِيْنَـا يَفِيْضْ بِطَلْعَتُهْ الضَّوَّايَا	لِيْنَا إنزِلْ غِيْثْ يا الرَّسولْ مَلْجَايَا
النبي الأَوَّابْ طهَ بِيْهُوْ رَجَـايَا	تَحْرِسُوْ الأملاكْ لِيْهُوْ سَابْقَهْ عِنَايَهْ
الحَجَرْ طـاعْ لِيْكْ حَبِيْبِيْ نُوْرْ دُنْيـايَا	قَلبِيْ لِيْهُوْ بَرِيْدْ وَحُبُّهْ مَـالِيْ حَشَايَا
يومْ وُضُوْعْ ياسينْ كَمْ نَظَمْ لِحِـكَايَةْ	بِيْ بَشَـايِرْ الخيرْ لِيْنَا رَافِعْ الرَّايهْ
شَرعُهْ لِينَـا قَوِيْمْ دِيْنُهْ لِيْنَـا هِدَايَهْ	النبيْ المكرومْ فِيْـهُوْ حُبِّيْ هِوَايَا
الفَاقْ عيسىْ وَنُوحْ كَمْ سَقَى لِظَمَايَا	رحمـةَ الخـالقْ الـكريمْ مولايَا
الشفيعْ للناسْ العصاةْ وحفـايَا	ساعْةَ الصراطْ منصوبْ وَأُمْ لهيبْ شَوَّايَا
الحاشرَ الـعاقبْ لِيَّ زِيْدْ فِيْ هُدايَا	أصـلِحَ الأحـوالْ وَتِمّ لِيَّ مُنَايَا

طهَ نبيَ الخيرْ فيـــكَ حبيْ رَجَايَا   شفيعنا في الدارينْ مَاحِيْ كلّ خَطايَا
ختامْ صلاتي تَسِيرْ للرسولْ مَلْجَايَا   عَــدْ مَــا أُنزلَ مِنْ الحروفْ والآيهْ
شاذْيَةْ بِيْكْ تُكرمْ تَحِيْطَهَا ألفِ عِنَايَةْ   في طـــريقَ القُوْمْ تلْقَىْ عِزْ وَوِلَايَهْ[227]

وفي مدح اللالوب – وهو كثيراً ما يتغنى به شعراء أهْل المنهج الصُّوفِي لما له من أهمية في المدوامة على أداء الأوراد والأذكار – تقول الشَاعِرَة والراوية شادية في ذلك:

حَـــــــــــالِيْ كَلَامُـوْ   آخرَ اللِيْلْ شِرْبُو مُدَامُو

يا اللّالُوْبْ

يا خُدَّامُوْ الضرعَ الليلْ   عَــــالِيْ نِـــظَامُوْ
طَابْـــقَـــةْ سِهَامُــوْ   حَرَسُهْ يَدُوْرْ بِيْنَ أقْوامُوْ

******

فَـــــاحْ نَـسَّامُــوْ   زُوْلُهْ جَمِيْلْ حَالِيْ كَلامُوْ
عَـــــالي مَـقَــامُـوْ   ما يعَرفُوا المرضْ حُزَّامُوْ

******

زُوْلُـــــــهْ مُــــبَدِّرْ   مَطَرُهْ غزيرْ زرْعُهْ مُخَدِّرْ
نِـــــيْلُهْ مُـــسَدِّرْ   عِيْشُوْ فِرِيْـــكْ مَا هُوْ مُعَدِّرْ

******

زُوْلَـــــكْ مَـــاهِرْ   بِيْنَ النـاسْ بَيِّنْ وَظَـــاهِـــرْ
لِيْـــلُـــهْ مُـــساهِرْ   ســـامَ الـرُّوْحْ للهْ طـاهِـــرْ

******

زُوْلَـــــكْ مـــــرة   ضَـــربَ الصَيْ طَبَـــقَ القَرَّةْ
عَـــــدَّهْ وَجَـــــرَّهْ   جرَسُهْ بَرِنْ وَضَـــرْعَـكْ دَرَهْ

******

زُوْلَـــــكْ جَـــرَّ   اللّالُـــوبُ فَرَشَوْ وَعَـــدَّ
قَـــامْ مَـــا اتْمَـدَّ   طَـردِ اْبْليسْ لِيْهُوْ اتحـدَّىْ

227– المصدر نفسه.

******

زُوْلَـــــكْ هـــايم   عابْدَ الحيْ ذاكـــرْ الـــدايمْ
لله قـــــــــايمْ   تُفـوحْ بِالليْلْ مِنُّـــوْ نسايمْ

******

عـــــامِرْ سُــوْقُهْ   السُّرَّايْ هَـــامْــوا بِشُوْقُوا
ضَــــاوِيْ عَــشُوْقُهْ   تُلْـثَ الليْلْ شَالْعَـــةْ بِرُوْقُهْ

******

طـــــامِـحْ نِيْـلُـهْ   لـــلقايم اللِيْـــلْ بِيْ تَهْلِيْلُهْ
وافِـــــرْ كِيْــــلُهْ   الِكِسْبَ النومْ قُوْلْ يا حِلِيْلُه

******

حـــــالْيَــــةْ ثمارهْ   الـــصادقينْ قَطَفُوهْ وَسَاروا
مــــــا تِخْتَـــاروا   قِيْمُوا اللِيْـــلْ بي أذكـــارُوْهْ

******

اصْــــحَىْ وبـــدِّرْ   تَجنِيْ الخــيرْ وَلِيْهُ تَصَدِّرْ
بَحْــــــرُهْ مُـــسَدِّرْ   يَا حِلِيْلُو ٱلنَّــامْ مُتْحَدِّرْ

******

بَهْــــــدِيْ صــلاتِيْ   لِنبيَ الخــيرْ طهَ حياتِيْ
الـــرَّاوْيَــــةْ تَــــوَالِيْ   لِـلأورادْ في الأوقـــاتي[228]

وفي الذكرى الخامسة لرحيل الخليفة الشَّيْخ الجيلي الحفيان كتبت «أم القوم» شادية أول مرثية منذ رحيله. وقد أبدعت النظم وهي تذكر مآثر الخليفة، اصغوا إليها وهي تقول:

اللِيْلَةْ الزمـــــنْ لبَّسْنِيْ تُوْبْ أحـــزانِيْ
والـــــلِيْلَةْ الحُزُنْ زلزلْ عـــليَّ كَيانِيْ
غـــابْ قمرَ الديارْ الْبِيْهُوْ حِصْنِيْ وَأمانِيْ

228- المصدر نفسه.

مَــــا بِجَيْبَ الـــزمنْ واللهِ مِثْلكْ تَانِيْ

******

اللِيْلَةْ الـــــبلدْ صِبْحَتْ كئيبــةْ حزينةْ
زَيْ عِيْنَ الخريفْ زَرفتْ دموعنـــا سَخِينةْ
غـــابْ زِيْنَةَ البِلادْ الجَيْلِيْ أَبُوْيْ دُخْرِيْنَا
رِكَازْةَ البـلدْ البـــاقيْ سَـــاسَـهْ أَمِيْنَهْ

******

يــــا سِيْدَ البلدْ اللِيْلَةْ بَدْرَكْ غـــابْ
بَعْـدَكْ يَابَـا نارَ كاسِيْ حياتنَا ضَبَـابْ
جَاكَ الموْتْ عِجِيْلْ ما راعَىْ لِلْأَحبابْ
يــــا حُلْوَ الحـديثْ يا راحةَ الألبابْ

******

فَقْدَكْ أَبُوْيْ حارْ في كلِّ صبحٍ جديدْ
فَقَدُوْكَ اليتـــامىْ الْلِيْهُمْ تكِيْلْ وَتزِيْدْ
فَـــــاقْدِنَّكْ ضُيُوفاً لِيْ ضُحُوْتَ العِيْدْ
يــــا المهَلَ الصَّبُوحْ الفارسَ الصِّنْدِيدْ

******

فَقْدَكْ أَبُوْيْ حارْ والله قاسي صَعِيْبْ
ما بِيْكَ العَشَـمْ لِكـــلِ قريبْ وغريبْ
تَـبْكِيْـكَ الجموعَ الكُنْتَ ليها حَبِيْبْ
بَعـدْ فُرقَكْ أَبُوْيَ مَا أظنِّي تَانِيْ أطيبْ

******

فَــــاقْدِنَّكْ عمـــومْ الفقرا والجِيْران
وحلقـــات الـــذكِرِ والخلوة والقرآن
فَــــاقْدِنَّكْ ولادك لي دروس رمضان
وبناتاً حُنَـانْ ماكـنتَ لِـيْهِـنْ أمان

******

نَـبْكِيْـكْ بالـدموعْ مطراً غزير صباب
تَبْكِيْكَ الجموعْ شيبة وصغار وشباب
والنوبة الـــعجمْ ما إِنت ليهم حاب
كم مرضانْ سنين بي نظرةْ مِنَّكْ طاب

******

تَـبْكِيْـكَ الجوامعْ لي الذِكِرْ والتهليل
وتَـبْكِيْـكَ الأرِضْ لي قيـــامَ الليل
وتَـبْكِيْـكَ المحافلْ الكُنْتَ ليها دليل
وين مثل الخبيرْ أصبـح صبرنا قليل

******

مهما قلتَ فيكْ أنا ما بَجِيْدْ أوصافك
يـــا بحر المحيطْ بِتسعِدْ كَتِيْر للشَّافَك
يــا طاهْرَ النفِسْ للقومْ كتير إنصافك
حيرت العشيـــم والزائريـن واطرافك

******

نـــادر من صغير يا أخوي مِنْ تبّيْتْ
كــم آوِيْتْ يتيمْ كبَّـــرْتَ لِيْ وَرَبّيْتْ
إِيْدَكْ بالكـــرمْ ممدودةْ لي كلْ بيت
مرضان النفوس أصْـلحتَ لي وَطَبِيْتْ

******

منو المثل الخبير شـــال الحمول لملم
مـنو مثـــل أبوي النـــطّقَ الأبكم
التعبـــان كتير في بيت أبوي بِنْجَمْ
من بعـد الفراق يا أبوي حياتنا عدم

******

ياحليل الهميم الصافي خاتي الذم
يا زين الخصــال مقنع بنات العم
النــــاقص جزم والله بيك بنتم
بتسعـــد للقلوب تفرج تزيل الهم
******

وصفك ما بجيدو عِجْزَ القلم واشْعاري
تاه فكـــري انشغـــل واتبعثرت آمالي
فراقك لي حـــار جمر اللهيب القــالي
يــا عينة الخريف مطر السيول الجاري
******

طـــابت بي فراقك مكسية بالأحزان
الــقرى والبنادر من حلفا لي أمدرمان
يـــــا سند الطريق البي العِلِم مزدان
يـــا البدر السطح البهدي للضهبان
******

لملام للهمـــايل من الشروق لي غروب
فرحـــــانين طرابــا يتقاسموا المشروب
يـــا سُترْة غطاهم الغطى كل عيوب
حكـــم المولى حق في الأزل مكتوب
******

مهمـــا قلــت فيك أنا ما بجيد القول
يـــا بحر العِلْـــم البي الكــرام موصول
يـــا شيخ المنابر كلامك درر معسول
هزيت البــلد بي الـــعرض والــطول
******

يــــــوم شاع الخبر وجوه البلد ضجه

انكـــــسر المرق وساس بيتنا اتهده
فــراقك لـــينا حار طريقك انسده
كـــــــترت الغياب وطالت المدة
******

حليلو الحبيب المهل الأديـب الراسي
جبار الخواطر البيكرم ولينـــا يواسي
حليلو الأصيل البقدر دوام إحساسي
عجلت الرحيل وأصبح طريقك قاسي
******

وين مثل الخبير الشـــال الحمول قلاها
وين مثـــل الأمير الزان البـلد حلاها
وين مثلو الطبيب الصلح القلوب داواها
مـــنو الزيو الزين المساجد جملها وعلاها
******

بختم بالصــــــلاة ليك يا المكرم طه
عـــدد الكائنات جوه الأرض وسماها
أم القوم بتســـأل يا رب تتمو مناها
في الفردوس مقام الجيلي أبوي وأعلاها
******

بختم بالصلاة ليــــك يا النبي المختار
عـــدد الكائنات ما غني طير أو طار
أم القـــوم بتســأل الله يـــا غفار
مقامك عالي فوق مع الشهداء والأبرار[229]

229- المصدر نفسه.



شادية فضل الله عيسى أبو العول (أم القوم) (1960-   )

ثريا بنت محمد موسى عبدالقادر (العالم) (1969-   ):

الشَاعِرُة ثريا بنت محمد موسى عبدالقادر (العالم)، ولدت وترعرعت في ولاية الجزيرة قرية الشَرِيف مختار في العام 1969ميلادي. والدها هو الشَّيْخ محمد المعروف بـ(العالم)، من مواليد مدينة الجمالاب ينتمي لقبيلة الكواهْلة حيث درس وحفظ القُرْآن بخلاوي «العَلَقَهْ الشَّيْخ مصطفى» ومن ثم التحق بدار الأزهر وتخرج منها عالماً بدرجة البكالريوس. ينتمي إلى الطريقة التجانية. والدتها السَّيِّدة سارة البشير محمد تنتمي إلى قبيلة الجعليين. درست الراوية بِتّ العالم الابتدائية والمتوسطة وتفرغت بعدها لملازمة وخدمة والدها الشَّيْخ، حيث نهلت منه العلوم الفقهية والدينية ومن ثم تزوجت وأنجبت خمسة أبناء، أربعة من الذكور وواحدة من الإناث[230].

سلكت الراوية الطريقة التجانية على نهج والدها وعلى يد الشَّيْخ علي محمد دفع

230- مقابلة مع الشاعرة ثريا محمد موسى. عبر الواتساب أبوظبي- بتَاريخ 2202/8/12م.

الله. تقيم الراوية بِتْ العالم بأم درمان الثورة إلا أنها مؤخراً انتقلت إلى دولة الإمارات العربية حيث تقيم مع ابنها وابنتها. –

بدأت كتابة الشِّعر النبوي والصُّوفِي منذ زمن بعيد إلا أن انطلاقتها الإعلامية كانت في العام 2014م، فقامت بنشر أول عمل لها وهي مدحة (طيبة الأَمَنَة) التي قام بترديدها ابنها المادح علي الزين على قناة ساهور الفضائية آنذاك.

تميزت كتابات الراوية (بِتَّ العالم) بالشجن والحنين والتصوير الوصفي استطاعت كتاباتها الدخول في قلوب المحبين والعاشقين لحضرة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم. لدى الراوية (بِتْ العالم) ديوان باسم (الأنفاس المضرية في مدح خير البرية) حيث يضم عدد كبير من الأمداح النبوية من ضمنها مدحة «المحامل» ومدحة «صلوا دوام يا أحباب» ومدحة «صادق الوعد» ومدحة «نبي الهدى» على سبيل المثال لا الحصر. ومن أعمالها الشِّعرية المميزة القصيدة التالية والتي تقول فيها:

صلوا دوام يا أحباب   لي الخدو ناير
المصطـــفى المحبوب   شافع الكبائر
****

يا سيد السادات نور البصائر   يا عالم المكتوم الفي الضماير
أقبلني يوم ألقاك واجيك حائر   يوم السماء تمور تبلى السرائر
أنا في حَواك يا مجير   يوم النهار وهجير
أرحمني وأرحم من كان لي حاير
****

أرجوك يا متعال حِقّ التمني   يا صاحب الإحسان لا يَخِيب ظني
احظيني بالغفران ورضاك عني   اسقيني بالأســـرار كأساتي دني
يا عالي فوق سماك   أسعدني برؤياك
والحورِ يوم ألقاك يعانقني
****

أنا يا رسول الله حبك شغلني   لك فائق الأشواق مرسوله مني
وهبت ليك شعري مدحي وفني   وهبت ليك روحي بهواك لأني

أنا في غرامك أسير   مكتوب عليّ مصير

هل حثني الشِّعراء وهل كتبوا عني

****

يا الروضةِ الفيحاء متى تذكريني   كلما بعادك زاد يزداد حنيني

قد ضاعت الأيام عمري وسنيني لمتين أزور يا نور أَحْمَد خزيني

أنا يا ملاك مهجور   وقلبي الحزين مأسور

هل سيدي سامع كل ألمي وأنيني

****

يا الساكن أم شباك عند المنيره مدحك أساني جراح وشجون كثيره

من أبلغ الرواة نهجاً وسيره   شيخنا الضعيف محمود وأبو الدخيره

إن شاء الله ليك قراب   في زمرة الأحباب

مدحو النبي الأواب

حباً وغِيرَه

****

في الليل كم نعسان وأنا طرفي ساهر ناظم حروف من نور في الطيبه عاطر

من أجمل المسدار في الخده زاهر   قــد مالــت الأقلام بكـت الدفاتر

أنا كل أحلامي   ومنايا ومرامي داير

أبقى زي حسَّان   في الشِّعر ماهر

****

المادح أبو إدريس يا خيري جاكا   راجيك يــا ياسين طالب لماكا

قول ليهو أنت معاي أمك وأباكا   محسوب مع الأخيار أنظر أراكا

وباسم دوام مسرور   ستر الله فيك مستور

يوم الخلوق عراة ربك كساكا[231]

****

231- المصدر نفسه.

صلواتي تملأ الكون بربوعه داير عد ما نطق إنسان جالس وساير
عد ما سكن في البر زاحف وطائر ترضيك يـا المحبوب تجي بالبشائر
يا حي ويا قيوم بِتْ العالم بيها تروم
لها تُغفر الأوزار صغرى وكبائر[232]

والقصيدة التألية تمثل نموذج لقصائد ما اصطلح عليه «قصائد القوم»، وهي دائماً تتحدث عن مآثر المشائخ أصحاب الإرشاد وأهْل التزكية، كما فيه التحريض على اقتفاء آثارهم، حتى يتحقق المراد للسالك. تقول الشَاعِرّة بِتَّ العالم في هذه القصيدة:

ليهم حوبا
خدموا الآخرة فازوبا
ديل أهْل الله
****

سبحانه منزل سورة التوبة
وفاتح للناس باب التوبة
قـــال لعاصينو ادخلوبا
قبل المـــــوت اغفروبا
****

سنن المختار وطرقو مشوبا
الدنيا عبوس ما اشتغلوبا
حافظين للخمسه المكتوبة
رأس مـــالم سبحة لالوبة
****

هانو الإمـــــارة وحقروبا
لجـــام وسرج شد وركوبا
أريكم فيــــــهم اعجوبة
نفحات الليل عرفوا أسلوبا

232- المصدر نفسه.

****

النوافل ديل مــــــا بخلوبا
ربطوا الحـــــــزامة ونزلوبا
الحي قيــــــــوم اتناجوبا
عند الأسحار شربو الكوبا
* * * * * * * *

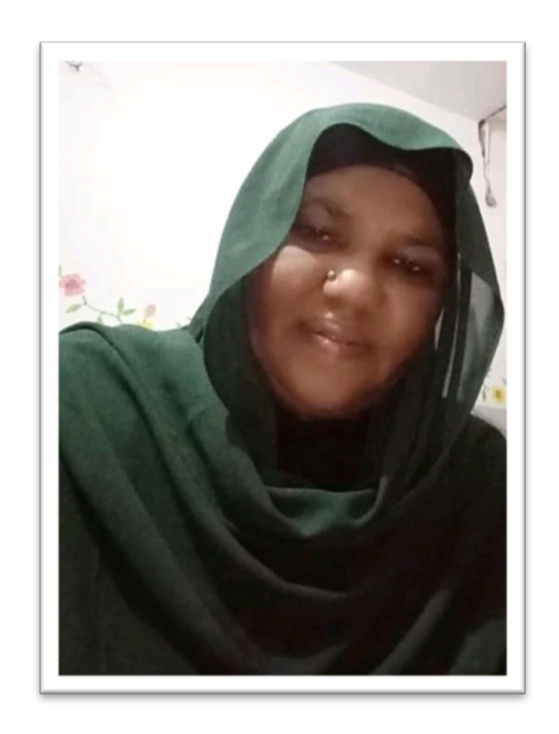
أهْل الأذكـــــــــار المورودة
بخورهم ليل جاولى وعودا
دخلو الوكرات المسدودة
دقشوا السبعين فاح بارودة
****

السبحة نالت مطلـــــــوبا
ضربت أجـــــراس لى مندوبا
حكروا السادات فى المقلوبا
مسكوا التهليل ليهم طوبا
****

يا ليلي الليل ليلك بوبا
أولادك جـــــــــردو اللالوبا
لحقوا الزينين الفـــــــازوبا
ركبوا الجافلات وغـــــاروبا
****

صلاة وتسليم غير محدودة
تصل المختار تقضى فروضا
بِتَّ العـــــــــالم راوية بنودة
تصدق لله توفى عهودا[233]

233- المصدر نفسه.



ثريا بنت محمد موسى عبد القادر (العالم) (1969-   )

سعاد سيد أحمد علي عبده كاشف:

ولدت الشاعرة سعاد سيد أحمد بقرية الأراك محلية مروي. تلقت تعليمها الابتدائي بالخرطوم مدرسة «المايقوما»، ودرست المرحلة المتوسطة بمدرسة الخرطوم الأميرية. فيما تلقت تعليمها الثانوي بمدرسة الخرطوم الثانوية للبنات. في دراستها الجامعية التحقت بجامعة الخرطوم كلية الآداب. واصلت دراساتها فوق الجامعية ونالت درجة الماجستير من نفس الكلية بجامعة الخرطوم. نالت درجة دكتوراة من كلية الآداب قسم الدراسات الشرقية جامعة إدنبرا أسكتلندا، المملكة المتحدة.

سلكت الطريقة القادرية المكاشفية القاسمية على نهج مولانا الشريف (أبو القاسم) تلميذ الشيخ المكاشفي برفاعة. وهي شاعرة مطبوعة تجيد النظم أتت بالعديد من نفائس الشعر العربي الفصيح، ومن ذلك هذه القصيدة الغوثية التي استغاثت فيها بالنبي عليه أفضل الصلاة والسلام، سمتها « توبة النفس الأمارة» والتي رفعتها إلى المقام الأسمى:

يـــا غوثنا غوث الوجود تحيـة–من غرة عبثت بهـــا الأهواء

ضلت طريق الرشد عمراً كامــــلا وتناوشتها في الضحى الظلمــاء

قـــــد أحنت الأيام كاهلها أسى وإلى جنابك يهـرع الضعفـــــاء

حطت على أعتاب جودك رحلها والوقـــــــت وقتك رحمة وعطاء

ونـــــــداك مبذول وعفوك سابغ أنت السلام وروحك السمحاء

عفواً أبـــا الزهراء أشكو خويصة نفسي فمنهـــا تولــــد الأعـداء

حـــــــرص وبخل واعتداد سيدي ضـــــاق الفضاء بها ولات نجاء

ركنت إلى الدنيا وروم صغارهـــــا حتى إذا هــــــــزم الربيعَ شتاء

جاءت تهرول نحو دوحك حسرةً تغريها منـــــــك وعودك الغراء

يــا غوثـــة الملهوف أنت مجيرها وحمــــاك حصـن دوحـة غناء

تحي القلـــوب فيستقيم عطاؤها ويناله‍ـــا لطـــف كـــــــذا ورواء

يـــــا أيها المختار جئتك مثقلا للران والأوزار أنـــــت وقــــــاء

و لطالما يممـــــت نحوك مهجتي وخطاي يوثق قيدهـــــــا الأعداء

والآن هـــا قلبي حضور عندكم تؤويه طيبةُ نــــــــــورك الوضاء

ولأنت أنسى ثم روحــي وراحتي يـــــا خير من جادت به الخلصاء

هل أُحظى بالترحيب منك تفضلا وينالني التكـــــريم منـــــك رداء

يكسوني عزا من جنابك رافلا مسبوكــــــة أعطافــــــــه الغنـاء

حتى إذا فــــــاض العطاء محبة ذاب الفــــؤاد وحان منه فنــــاء

وتلعثمت شفتاي ضاعت أحرفي ولــــدى جنابك تخرس الفصحاء

وتلاشى مني اللفظ عنـدك بغتة وأنهـــل منـــــك الفضل والآلاء

عفواً أبـــــا الزهراء أنت شفيعنا نشكو الزمان وهل سيجدي بكاء

ســـاد الرويبضة استباحوا أرضنا وتجنبتنــــــا الـــعزة الـقعســاء

ها قد وصلنا إلى الحضيض وذله وجــــفتنــــا أرض وازدرانـــا سماء

ذقنـــا الهوان وذقنـــا كـل مذلة وتلـــقفتنـــا الـــفتنـــة العمياء

رفع الزمان وضيعهم و حقيرهم وتحــــكمـــــت برقابنا الغوغاء

ديست كرامتنـــــا وضيم عزيزنا واغتيــــل حـــرف واستبيح دماء

قد أحكم الأشرار عقدة أمرهم وتنــــاقلـت مــــأساتنــــا الأنباء

وبغير عـزك لـــن يعز عزيزنا وبغير جـــاهك لن يكون شفاء
فافتح لباب الفضل وانج أحبة اشـفع لـــقومـي أنتم الرحماء
إني لأرجو في مقامـك سيدي كشف الكروب وتنجلى البأسـاء
وصلاتي يـــا بدراً تجلى نـوره تسبـق سـلامي وقبـــل ذاك ثناء

وقد نظمت العديد من قصائد الرثاء في رحيل شيخها الشريف أبي القاسم، ومن ذلك اخترنا لها قصيدة «الرحيل المر»، والتي تقول كلماتها:

ودعته هـــل كـــان ذاك وداعا أم كان سراً في الحنايـــا وذاعا
لهفي لقلبي بـــات يكتم آهـة نشبت بصـــدري نازعتني نزاعا
ضجت ضلوعي بالحنين وبالأسى وجفاني صـــبري ما يطيق وداعا
أخفي الأنين عـــن العيون تجلـدا والصــــدر حن مرجّعاً إرجاعا
لزمان وصل بالريــــاض مـعتق زمـن الشريف الـوارف المـتراعا
جاشت شجوني واستباحت عبرة تجري الدموع الفاضحات سراعا
يا راحــــلاً أدمى الفؤاد رحيله ما طاب عيش بعد بينك ساعه
فارفق برسم قد ملكـــت زمامه وأرفق بروحـــي أن تطير شعـاعا
نام الخلي وما اكتحلت بغمضة طـــلع الصباح مشوقـاً ملتاعا
قد كنت لي أهـلي وركني وجنتي كنت الحياةَ لكـــاهل ويفاعا
كم من عشوق قد تهاطل دمعه شد الرحـــال وراح صوب رفاعا
هذا المسيد وليس ثمةَ نـــسمةٍ راح الـــعبير مع الحبيب وضاعا
حتى الغصون تهدلت وتكسرت والمـــاء غار وراح يطلب قاعا
ما عادت الأطيار تعزف لحنهـا والـــسرب بات مشتتاً مرتاعا
يـــا عالما أحيا القلوب بنوره ملك الحـواس القلب والأسماعا
أهداك جـدك من جنابه روضة أنـــت الإمام ونحن فيها رتاعا
و زكت بذكـــرك يا إمام محافل عـــم العبير مـــفاوزاً وتلاعا
كم في رحيلك وانتقالك غـصة تاهت قلوب واكتسـت أوجاعا
لكن قلبي لن يحيد عن الهـوى ازداد في درب الوصـال شجاعه

يكفينا فخراً إنكـــم لنا سادة والعهد عهدك دمت فينا مطاعا

لولاك ما بعنا النفـــوس محبة نـــور هواك وضاء فينا شعاعا

و آكي الصلاة على النبي محمد وعلى الحبيب ننال منها شفاعا

ومن روائع نظم قصائد الرثاء في مرشدها الأستاذ الشريف أبي القاسم كتبت الدكتورة المِحِبَّة سعاد سيد أحمد القصيدة التالية، وهي بعنوان « الكنز»، تقول فيها:

يا لحزني حسرتي والوعتي
من رحيل للشريف الهاشمي
غاب شمسي غاب بدري يالها
غصة في القلب أدمت محجري
يا لصرح قد خلا من أنسه
قف ببانت أذرف الدمع السخي
و ابك كنزاً قد ثوى في هيبة
أعجز الأفهام في نشر وطي
يا لحزني حسرتي والوعتي
من رحيل للشريف القاسمي
كل نور في الورى من فيضكم
يا كنوز السر يا سبط النبي
أنت سر الجود يا بحر الندى
منهل الأرواح من شبع وري
يا شفيف الروح يا ري الظما
كم جديب ميت قد بات حي
يا فؤادي يا مرادي سيدي
سر سعدي والضيا في مقلتي
لهف قلبي يا لحزني لوعتي
من رحيل للشريف القاسمي

أنت بدر التم شمس الاصطفا
قد سرت أنوارکم في كل شئ
إن يكن وجدي بكم ذنباً غدا
قد سلبتم قلبي من بين يدي
ليتني أُحظى بطيف منكمو
في الكرى أبصر ذياك المحي
يصطلي قلبي هواكم جمره
يرتجي من فيضك الهطال ري
يا لحزني حسرتي والوعتي
من رحيل للشريف الهاشمي
فتداركني مقيلاً عثرتي
ما مراد القلب عنكم بالخفي
كلما هبت نسيمات السحر
شفني الوجد مفيضاً أدمعي
لم تر عيني جمالاً مثلكم
لهف قلبي قدشواني الحب شي
يا لحزني حسرتي والوعتي
من رحيل للشريف الهاشمي
يا ملاذي يا غياثي سيدي
يا حبيبي يا طبيبي سندي
هل ترى أبكي عليكم أم علي
يا لحزني حسرتي والوعتي
من رحيل للشريف الهاشمي
يا لصرح قد خلا من أنسه
قف ببأنت وأذرف الدمع السخي
و أبك كنزاً قد ثوى في هيبة

أعجز الأفهام في نشر وطني

صيدة أمام العصر


الشاعرة سعاد سيد أحمد

فاطمة الأمين:

ومن روائع النظم النبوي للشاعرة فاطمة الأمين القصيدة التالية:

يا صاح هلا شددت الركابا

لطيبة بلد الحبيب طه المختارا

فإنا نشوم بروق مزن شقّ الدجى فغدا الليل نهارا

بروقا مزق الحشا شوقاً ما غدا تا الله يطيق اصطبارا

قال اصبر كيف الصبر والدمع جرى على الماقي مدرارا

قبلاً لبست الصبر ثوباً فجرى ذيله على الرمل فاحتارا

صلاة وسلام عليك يا النور جيت بالنور والأنوارا

والنجم الزهر تدلت فرحاً بمولد المختارا

قف بطيبة وأطل الوقوف صاحِ تجلة لحامل الأسرارا

ثم عرج على البقعة فحي الشريف وآله الأطهارا

سلام على الخليفة من قام لله ساجدا قبلة الأنظارا

سلام على الدر المنظوم أهل التقوى هم الأطهارا

هاشم بكري ومحمد من سماه الحفيد على المختارا

وسمي الجد طه من لهزة سيفه ولى الكفر إدبارا
سلام عليك يا خادم القرآن بنوره تلألأ الكون سُرجاً أنوارا
وللجمع سلام في مولد الحبيب كبارا وصغارا
فإن بعدت الشقة فالشوق لا يعلمه إلا مقدر الأقدارا
فلا بد للحي من لقاء أحبتي وإن طالت الأسفارا
فهنيئاً لكم بمولد الهادي من أدناه الإله وكساه أسرارا
عليه صلاة عد ما صلى مصل عد ما ذكر في الأسحارا
صلاة يفوز بها القوم نجاة من سوء الأشرارا
وننال بها والآل والذرية فوزاً فوز الصادقين الأطهارا
صلاة على الحبيب عد النجم عد الهاطلات قطارا

مريم الطيب مصطفى:

مريم الطيب مصطفى هي شاعرة ومادحة وكاتبة. تخرجت في جامعة النيلين كلية الآداب حيث تخصصت في علم النفس. ومن مؤلفاتها (مدح المحبوب صلى الله عليه وسلم ومجاراة الأحبة)، وديوان مديح (بروق) وديوان مديح (نسيمات).

سلكت طريق القوم القادري المكاشفي على يد العارف بالله الشريف أبي القاسم برفاعة، وذلك في العام 1998م.

ومن روائع نظمها في مدح الجناب المحمدي قصيدة «الحمامة» والتي تنشد فيها قائلة:

خبريني يا حمامة
كيف كان الغار معتّم
ضوّ نوّر وحوله حالك

******

خبريني يا حمامة
بالجميل صاحب العمامة
وكيف سعدتي وطار جناحك

وحين نزلتي وزاد رباحك
والحبيب في الغار معظم
والصديق في معيته مكرم
خبريني بكل صراحك
******

الحبيب كامل الوسامة
الشفيع يوم القيامة
منه فاض الخير وجالك
دام حماكي وزاد نوالك
أحكي عنه لما كلّم
والبرق ساعة تبسم
يا حمامة أحكي لي حالك
******

طرفه أدعج ذو علامة
وفي وصوفه البائنة شامة
شعرو ليلاً بادي حالك
ونورو سرّج للمسالك
المكارم ليها تمّم
ولي جميع الرسل ختّم
يا حمامة النور كسالك
******

سيدي مخصوص بالزعامة
في الهجير تبراه الغمامة
طوبى يا روحي الهدالك
من جميل مدحو وعطالك
غني تاني وزيدي مريم

بي مديح حالي ومنغم
والشريف ختّم ودعالك
******

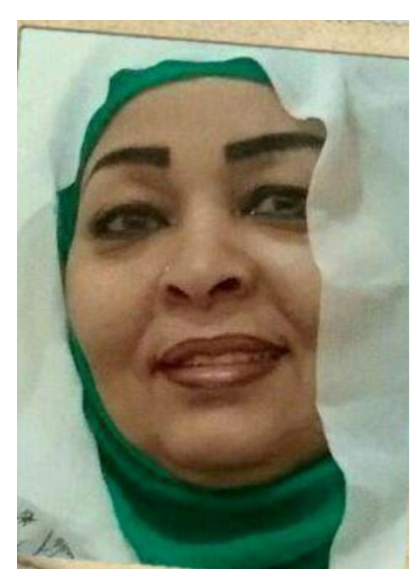
البريق جرحني ياما
أسهر العين شال مناما
ويا حمامة أنا حالي حالك
شوقي برّح وليا مالك
في رؤاه حبيبنا نعشم
وفي الجوار نسعد وننعم
ننجى من شر المهالك
******

الصلاة المطبوق سلاما
للنبي وآله النشامى
تطفي نيران المعارك
تهدي تفتح للمدارك
ما عشوقاً غنى مغرم
صاح بالشوق قال كمريم
يا حمامة أنا في انتظارك

القصيدة التالية للاستاذة مريم الطيب بعنوان «كل نفس إلى مولاها راجعة» وهي نظمت في نعي الشيخ الشريف أبي القاسم، تقول فيها:

كل نفس إلى مولاها راجعة
وكل حي إلى باطنها منقولُ
وإن كتب البارىء خلوداً
لكان أولى بالخلود رسولُ
أأبكي حبيباً أحب الله مقدمه
أم أبكي فؤاداً بصدع البين معلولُ

أو أبكي زماناً مضى منا وما كنا
سوى وصل لنا من فوقها سولُ
شريف سما وازداد في شرف
فرد تفرد بين الخلق مأمولُ
قسيماً وسيماً زانه فلج
وحلو حديث عنه منقولُ
يجسد بالعلم معنى يسلب اللب
ويشرح بالحب ما من عنه مسؤولُ
ويكسو عميراً ما أراد له والحق في جده والمزح والقولُ
حقاً وصبرنا كان عهدهمو والعطف والمال للغاشين مبذولُ
أكرم بشيخ جاد الزمان به
وأنعم بشرف في الهامات محمولُ
لله درك يا سيدي أبا القاسم
قد فاح نشرك رياً غير مقفولُ
عم البلاد عبيرك طافها سراً
من طيبه أرج فواح موصولُ
ناحت لفقدكم قوافي الحب دامعة
كيف لا؟ ولكم في الحب مرسولُ
أقلام المحبة ما برحت تمجدكم
من أين لي سطر والحرف مشلولُ
ألا ليت شعري هل أبحرن في وافر وأجمع من درر تأتين في طول
وأرسل من خير البقاع تحية
لذاك المقام الذي به البال مشغولُ
فيا رب صلّ وسلم على النبي وآله ما زار مشتاق بالوجد مزهول
ورددت مريم والقلب منفطر
كل حي إلى باطنها منقول



ا لشاعرة مريم الطيب

فوزية محمد الهادي (1971–   ):

الشَاعِرٌة فوزية محمد الهادي من مواليد منطقة أم دَمْ حاج أحْمَد في العام 1971م. فوزية تمثل نموذج لشَاعِرَات يجدن تذوق وكتابة الشِّعر النبوي وشعر الْمَدِيح الصُّوفِي بشقيه الإرشاد، السلوك ومدح الأولياء. ولعل النماذج المختارة لها تقف شاهد ودلَيلاً قوياً على مدى إبداعها في صياغة الشِّعر. شاعرتنا متزوجة وأم لخمسة أولاد وثلاث بنات. تلقت تَعْلِيمها الابتدائي بموطن ذويها بأم دم حاج أحْمَد. وهي ربة منزل.

أخذت الطريقة السَّمَّانيه على يد العارف بالله الشَّيْخ عَبْدَ الرَّحِيمِ البرُعِي بن الشَّيْخ محمّد وقيع الله (1923–2005)[234].

ومن روائع نظمها قصيدة «صباح النور على المدخور»، والتي تقول في كلماتها:

صباح النور على المدخور

يا خالق الماء آبار وبحـــور –عبدك راجيك سهلـو يزور

يكون بالخير عليـــه درور –ويزور الطاهر جوه أم سور

بثني على النبي المدخــــور –شفيع القوم وجالي كـــدور

أصل الأصل نور من نـــور –رحيب الصدر هو المدخور

234– مقابلة مع الشاعرة فوزية محمّد الهادي، الخرطوم عبر الواتساب بتَاريخ 2202/5/52م.

في ربيع ميلاده كان مشهور –عما الكون جمال وسرور
حضروا ملائكه نساء وحور –خمد النــــار وزال غرور

نبياً بالعفاف مذكـــــور –تحبو القـــــوم وليهو تزور
يعدل المايل والمحســـــور –يلائم جرح الكان مكسور

أصحابك يا النبي المنصور –رفعوا الراية وركبـــــوا مهور
ناس بالعزة ليهـــــم دور–سكونهم جنة وعالي قصور

أدعوك يا ربي أكون منصور–حجة وعمـــرة وإذن بمرور
بها أبو سامر يكون مسرور –يصل للخضرة لسيدو يزور

من تال القبة وداخل أم سور –فاح نسامو عـــطر وبخور
ذكرني حبيبي نـــــور النور –زادني غرام وهيام وســـرور

عدد النفي جـــــار ومجرور–صلاتي عليك نور النــــور
بها فوزية إن شاء الله حضور –تجد الفوز بالرضا ممهــــور[235]

235- المصدر نفسه.



فوزية محمد الهادي 1971-

مي أزهري خير الله (1975-   ):

الشَاعِرُة مي أزهري خير الله من مواليد 1975م أمبده الحارة السادسة. متزوجة وأم لثلاث بنات وثلاثة أولاد. درست الابتدائية في مدرسة أم أيمن بأمبدة الحارة السادسة، كما درست المتوسطة في مدرسة الحارة الرابعة، ومن ثم التحقت بمدرسة أمدرمان الفنية القسم التجاري للمرحلة الثانوية، كما التحقت بجامعة أمدرمان الإِسْلاَمية كلية العلوم الإدارية. تعمل الآن في مهنة التدريس كمعلمة لرياض أطفال.

سلكت الطريقة السَّمَّانية على يد الشَّيْخ عَبْدَ الرَّحِيمِ البُرْعِيّ بن الشَّيْخ محمد وقيع الله رضي الله عنه، وهي في الخامسة عشر من عمرها، كما تتلمذت على يد عدد من المشايخ في القُرْآن وتجويده وبعض العلوم الإِسْلاَمية.

بدأت كتابة الْمَدِيحِ النبوي والقصيد القومي وكان عمرها اثنتا عشر عاماً. تعددت في كتاباتها الشِّعرية فمنها:

1. الْمَدِيحِ النبوي وآل البيت عموماَ والصحابة.
2. القصيد القومي (وهي نمط من الشِّعر في مدح أهْل الطريق الصُّوفِي).
3. إنشاد _ مناجاة[236].

236- مقابلة مع الشاعرة مي أزهري خير الله. الخرطوم بتاريخ 2202/5/03م.

وكتبت عدداً من الصلوات على سيد السادات منها «الرتب العلية في الصلاة على خير البرية»، ومنظومة المولد النبوي الشَريف التي شاركت بها في بعض النشاطات منها مجالس (الصلاة على النبي _ الدلائل _ البردة الشريفة _ سر الأسرار) كما شاركت أيضاً في خيمة السَّيِّدة فاطِمَة الزهراء في احتفالات المولد النبوي الشَريف السنوية. ومن قصائدها اخترنا لها قصيدة (قوماك نزورو الغالي في أم شباك)، وهي في مدح النبي الخاتم، تقول فيها:

قوماك نزورو الغالي في أم شباك مُوفي النزورو
أَحْمَد رسول الخير
******

حي يا غفورو ياخالق الإنسان بعثو ونشورو
بيض نوايانا طول الدهورو كالسادة يا مولاي نعبر عبورو
******

وقت السُحَيره بلغنا يا مولاي تلك النُظَيره
نبلغ بها الغايات كالقوم سيره وكذاك في الحضرات نشرب نُهَيره
******

ثنيت بيهو أَحْمَد رسول الله للروح يريحو
فاق الرسل طرآ ماليو شبيهو طب القلوب قسمآ مبري الجريحو
******

خذ يا بنيا انهل علينا الخير ميلاد نبيا
الغالي غايه الروح صفاها نيه شفاعنا في الوقفه ساعه القضيه
******

هاكم صفاتو أفلج مليح مربوع قالو النُعّاتو
أم معبد وحسان حظو بالنجاتو مدحو غير كلفُه حباً في زاتو
******

أصحاب نبيا أهْل الكرم والجود أهْل العطيه
صديقنا والفاروق فاقو الثريا وكذاك ذا النورين أيضاً عليا

******

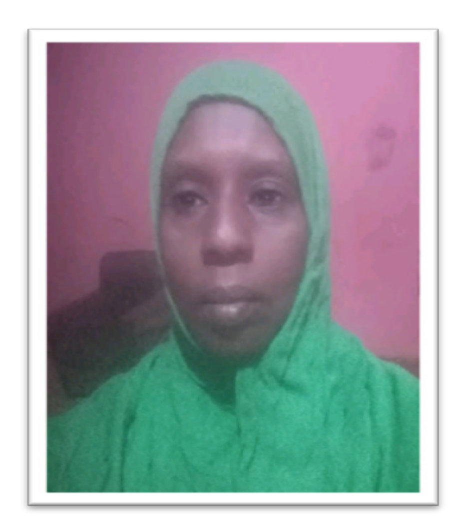
البرق بَقّا نسامو أسكربي ساساتو دَقّا

قلل على نومي لزرعي سَقّا لمتين لماهو الغالي القلبو رَقّا

******

صلوات توازن كل ما خلق مولاي توصل حجازن

مي تلتمس منكم معنى ومجازنا وصلو في دارو مختوم جوازن[237]



مي أزهري خير الله 1975-

إقبال جعفر محَمْود (1976-):

الراوية إقبال جعفر محمود الشَرِيف. من مواليد قرية وَدْ السَّيِّد غرب الحصاحيصا في العام 1976م. تسكن حي المنيرة بـ»ودمدني»، وهي ربة منزل. تنتمي إلى الطريقة المكاشِفية لمؤسسها الشَّيْخ عبد الباقي المكاشِفي. وهي حفيدة الشَرِيف محمود الحسيني.

بدأت في كتابة الْمَدِيحِ منذ العام 1998م[238]تقريباً. ومما نظمت من أشْعار اخترنا لها التالي من النظم:

237- مقابلة مع الشاعرة مي أزهري خير الله. الخرطوم بتَارِيخ 2202/5/03م.

238- مقابلة مع الشاعرة إقبال جعفر. مدني بتَارِيخ 2202/6/6م.

يا وسامتك وجمال جمالها سماحتك

سيدي النبي

******

حي يا كريم شكراً جزيل علي نعمتك

سيدي النبي أعظم عطاء من رحمتك

ثبت قلبي ونور دربي وأنعم علي بطاعتك

سيدي النبي

******

ثنيت عليك يا الكاملة خلقك وخلقتك

من نور قديم مرويه أصلا طينتك

أنظر إلى وكحل عيني بنور هداك ومحبتك

سيدي النبي

******

هليت سعد وفرح الجميع بهلتك

وشيئا عجيب عم الكيان بطلعتك

لحظة هنا وتم المني وعظمة حليمه الشالتك

سيدي النبي

******

أعظم نساء حضرن ولادتك

وشافتك ما بين ذهول ما بين فرح والشفاء تحكي روايتك

شرف عظيم وكرم عميم لآمْنَة كانت أمومتك

سيدي النبي

******

نبيا فخيم مرفوعه عاليه عمامتك

سامي القدر معدوم سماحك وهيبتك

كلك جمال ومليان جلال ومولانا جلي مرايتك

سيدي النبي
******

من غير دلال من غير كحل مكحولة مقلتك
ونورا يشع يملأ المكان ببسمتك
غرف الجنان والحور كمان من نور بهاك وحليتك
سيدي النبي
******

بلسم شفاء ويبرأ العليل بمستك
وحتي البعير شافك بكي وخر الدمع لرؤيتك
وجذعا يحن مكتوم يأن من نار بعادك وفرقتك
سيدي النبي
******

ياليتني ياليتني كنت التراب الواره جسمك وهيأتك
ولا الحذاء لك سيدي تطأ علي في مشيتك
واسعد كتير وافرح واطير لو جيت عبيده لخدمتك
سيدي النبي
******

آه أنا من سر جمالها مدينتك
نالت كمال روعه وعفاف بمجئتك
قبلة حرم وغاية كرم والروح تهيم تسكر تروح في خضرتك
سيدي النبي
******

إنت الحياة وسر الوجود بعنايتك
زال الضلال كشف الظلام بهدايتك
أمنن علي برضاك علي واسبل علي عبائتك
سيدي النبي

******

ما فاح نسيم يحمل شذاك وريحتك
صلوات تدوم تسليم جزيل الفي السماء تحيتك
إقبال بها ويكون لها جوال علاه شريحتك
سيدي النبي
******

يا وسامتك وجمال جمالها سماحتك
سيدى النبي[239]

إلى جانب نظمها في القصيد النبوي في مدح خير البرية، أيضاً لها العديد من القصائد في مدح أهْل الطريق الصُّوفِي، ومن ذلك القصيدة التالية التي تحمل العنوان «القيمان السلفت»:

القيمان السلفت
******

والله جد شاقوني القيمـــان السلفت
التقي والرحمه والقـــــلوب الألفت
من بحور الغيب كم سقت كم غرفت
******

والله نعمه أبواتي الكرام الصـــــفـوة
ما بيعرفو خصام ولابيعرفو الجفـــوة
ياما بي دعواهم كم أزالو الكـــــفوة
ساقو ليلهم وعبدو وكان نومهم غفوة
******

بالكتاب والسنه الحقوق عرفوهـــــا
والدنيئه الزايله حاشا ما ألفوهـــــا

239- المصدر نفسه.

والشيات والكبده هم يمين عافوهـــا
والمضاجع الناعمه في المنام جافوهـا
******

خاشعين لله والــــــدموع زرفوهـا
الكاظمين الغيظ والاذيات خفوها
والنسائم الطيبه في السحر كرفوهـا
شربو شرب الراح والثمار قطفوهـــا
******

الصادقين الكمل حليلهم يا حليـل
باقيات أفعالهم تتلى جيل وراء جيل
والوا ذكر الله بــــالنهـــار والليل
خندريس شرابهـــــم وخمرتهم تهليل
******

يا جمال ذكراهم في الـشرق والغرب
رفرفت أعلامهم ونـاطحت للسحب
لمعت أسماهــــــم بالدرر والذهب
أحيو فينا محبه ونورولنا الــــدرب
******

والله كم بهواهم وعقلي فيهم ساهي
الســـابو حب الدنيا ثم حب الجاه
وعمرهم ما انشغلو بــالذات وملاهي
ديل قلوبهم وقرت وعـــــارفين بالله
******

اتبــــع طـــــرقاتهم وانتبه يا أخيا
اتــــرك الغفــلات النميم والغيا
حبهـــــــم بصدق أوعا من الريا

ديل أكـــــان حبوكا بقطعوك الفيا

******

صل يـــــا متعال والسلام مقرون

عد علم اللوح والفي الكتاب مكنون

بيهـــــا ربي إقبـــــال بابواتا تكون

تلتزم بالشرع وتســـــلك المسنون[240]



إقبال جعفر محمد 1976-

إبتهاج إِبْرَاهِيْم بشير (1979-):

الشاعرة والإعلامية والناشطة الصوفية الأُسْتَاذْة إبتهاج إِبْرَاهِيْم بشير من مواليد حلفاية الملوك في 19 فبراير 1979م. تلقت تَعْلِيمها الأولي بمسقط رأسها حلفاية الملوك. درست بكلية العلوم قسم الفيزياء بجامعة الخرطوم، وأحبت مجال الأعلام.

امتازت بموهبة الكتابة الشعرية وحبها للرسول صلى الله عليه وسلم فظلت تكتب أشعار مدح فى الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام. وهي عضو المجلس القومي لرعاية الثقافة والفنون وأمينة الْمَرْأَة بالمجمع الصوفي العام. وتعد واحدة من مؤسسي إذاعة الكوثر لتعظيم النبي. قدمت العديد من البرامج الناجحة في قناة أمدرمان وإذاعة المساء ومن ذلك برامج «الليل الأبيض» و»عبق المسيد» و»مداح

240- المصدر نفسه.

القمر». كما قدمت برامج في إذاعة المساء «فرسان وحيران»، «تواشيح وأماديح» و»هدايا المحبين» و»إنسان المحبة». عملت متعاونة مع عدد من القنوات العالمية مثل قناة المحور وقناة الإرث النبوي[241].

لها ديوانان من الشعر النبوي الأول بعنوان « عذراً رسول الله» و الثاني بعنوان «نور الباري في مدح الرسول الساري». قام بمدح أعمالها عدد كبير من المداح والمادحات.

وعن نشاطها الخارجي فقد قامت بمبادرة بالتعاون مع سفارة السُودَان بالقاهرة في إقامة مهرجانات للمديح النبوي في جمهورية مصر العربية.

وثقت لعدد كبير من المشايخ والعلماء ورواة المديح النبوي القدامى والمعاصرين في عدد من البرامج الاذاعية والتلفزيونية. كما شاركت في عدد كبير من المهرجانات والليالي الثقافية تقديماً ومشاركة أدبية وشعرية وإعلامية. وشاركت في اللجان العليا لمهرجانات الثقافة في السُودَان وشاركت في مشروع ذاكرة الأمة للمديح. وهي ناشطة صوفية ولا تنتمي لأي حزب سياسي. قدمت برنامج «وما ينطق عن الهوى». وذلك إلى جانب تقديمها لبرنامج السيرة النبوية للأطفال في إذاعة الكوثر. عرف عنها جمال الروح و الحضور الراقى وحسن التعامل مع الناس[242].

سلكت الطريقة السَّمَّانية على يد الشَّيْخ المختار مُحَمْد الحسن الحاجّ تلميذ الشَرِيف التجاني الشَرِيف محمد الأمين الخاتم كركوج.

والأُسْتَاذة إبتهاج إِبْرَاهِيْم شاعرة مطبوعة ولها الكثير من النظم الشعري في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما لها قصائد في المناسبات الدينية كمولده صلى الله عليه وسلم. ومما جادت به قريحتها الشعرية فقد اخترنا لها قصيدة «قوافي المحبات». وتقول فيها:

يا طيب السيرة   يــ،ا الخيرك عــما
يا اللينا نصـيرا   يــــا جــالي الغما
****
سبحانــك ربي   عالمــــاً وقـــديـرا

241- مقابلة مع الشاعرة إبتهاج إِبْرَاهِيْم بشير. مدني بتَارِيخ 2202/11/71م.

242- المصدر نفسه.

أرسلت حبيبك للكـــــون مـديرا

****

قال أنت المعطي وهو القاسم الخيرا

أوهبلي بجاهو فتحـــاً تسخيرا

****

قال ربي عرفني والكـــل في حيره

سل عنه صهيباً ســـل عنه بحيره

إرهاص ميلاده ومـــلوك الحيره

كان ابن المنذر لجـــدو بـشـيرا

****

قال أويس القرني العنـــدو بصيرة

كالسيف في غمده أوصافه عسيره

قاصرين مداحه لو قطعـوا مسيرة

هي بوح أشواقنا يــا رب تيسيرا

****

مــا ليـك سوانا يـا منكر سيرة

ضاعت أيامـك مأسوفة حسيرة

ما ضقت شرابنا وكـؤوس السيرة

في مدح النـــور أبصـار وبصيرة

****

لم نطري جنابه كالأطرو عذيرا

وابن العـــذراء أهْل الـــتزويرا

بل قلنا مشاعر نـامية وغزيرة

ووصفنا شمائل واجب تعذيرا

****

يا عاشق امدح وحـبر تحبيرا

في من قد جانا مرشد وخبيرا
لولاه خطوبنا ما هان تصبيرا
ولولاه كسورنا ماكان تجبيرا
****
سلني عن ريده أنا بيهو خبيره
مسكرني هواه لا كأس لا بيره
كم علم أمي فاح منو عبيرا
وكم ألهم أشتر خاينو التعبيرا
****
البريق الجاني من أرض الخيره
أشْهَر لي سلاحه وملاني ذخيره
قال سيبي النوم وكفاكي شخيرا
أرحلي لداره من غير تاخيرا
****
عد الوديان الداوي خريرا
صلوات للصافي الناقي سريره
إبتهاج تتجمل بالخير تقريرا
دائماً مكرومة وعيونا غريرة[243]

ومن بدائع نظمها في خير الناس الرسول الأكرم قصيدة عن معراجه صلى الله عليه وسلم، نستمع إليها وهي تقول:

لمعراج الحبيبِ صليلُ ذكرى لها في القلب معراجٌ أصيلُ
وأصداءٌ من التَارِيخ تترى يُرسخها لنا شرفٌ نبيلُ
سريتَ أيا أبا الزهراءِ ليلاً فأبلج صبحك الباهي الجميلُ
وسارت في فضاءِ الكونِ شمسٌ بها هديٌ وإشراقٌ دليلُ
رقيتَ إلى مراقيٍ لم ينلها ملاكٌ أو نبيٌ أو رسولُ

243- المصدر نفسه.

محباً دانياً كـالقـــــابِ أدنى من القوسين كان لـــه مثولُ
نجياً للإله فمـــا الكــليم وما ابن البتولِ ومــا العدولُ
أتى المحبـــوبُ فـاذدان اللقاءُ قبـــولاً لا يـدانيه قبـــولُ
فيا إســـراءُ عطّر للمعـــاني ويــــا معراجُ جمِّل ما نقولُ
وسمتَ بهامــــةِ التَاريخ عـــزاً منيراً ليـــس يــدركه أفولُ
وحُق لنـــــا به فخراً وتيهاً تُدقُ بســــوحِ عزتنا طُبولُ
فشكراً يا إله الـــــعرشِ إنَّا بفضلِ نبيكَ كان لنا دخولُ
إلى معراجك الأسمى صـــلاةً مخمسةً بهـــا أجرٌ جزيلُ
أتيتُكَ يا حبيب الله أشـــكو زماني قد تمـــلكني ذهولُ
وأرمي عنـــد مرمى الله حملاً ومن لسواكَ قد تُرمى الحُمولُ
فأنت لهـــا بيومِ الهولِ حصنٌ منيعٌ يحتـــمي فيــه الفحولُ
وكـــم نال الجوار بكم وقيعٌ وكم مُنحتْ ضمانات وسُؤلُ
أتى المعراج سيـــدنا ولــكن تعرّج ركبنــــا كــــدنا نميلُ
تمسكنا بحبل الجهــــل زغنا فلا حـــادٍ يعينُ ولا دليـلُ
بُلينا بالهوانِ ومــــــا وَعِينا بـأن سـواكَ ينحرفُ السبيلُ
ومـــــن رامَ الفلاح بغير طه وضيعٌ حــــائرٌ سَفِهٌ ذليـلُ
فنحنُ كما الغُثْاءِ (وقد ذكرتم) تكاثـــرنا وجـــدوانا قليلُ
قتلناهــــا جحورَ الضبِ بحثاً عن الضُلَّالِ إن مالوا نميـــلُ
تباكينا على مجــــدِ الخوالي كــأن المجدَ يُرجعه العــويلُ
أضعنا أرضَ مـــســـراكَ فضعنا وكلُ بلادنــــا قدسٌ خليـــلُ
وتِهنا مـــــا عبدنا العجلَ لكن لنا في كلِ صــحراءٍ عجـــولُ
لنـــا في كلِ فــــج سامريٌ وفرعون وأُجنــــــادٌ تجـــولُ
أغثنـــــا يا غياث الكونِ إنَّا على عِلاتنا دومـــاً نقـــولُ
نـــــلوذُ بجـاهِ أَحْمَد في البرايا وَإِن ضلت خُطانــا والعقولُ
لـك الجاهُ العريض بيومِ حشرٍ كما روت الصحائفُ والنقولُ
أجـــرنا في كـــلا الدارين إنَّا على أكتافِنـــا هـــمٌ ثقيلُ

برغم ذنوبنـــــا جئناك نسعى   وحادي ركبنــــــا ظـن جميـل
على دمعِ المآقي قــد سبحنا   على أهدابنــــــا كان الرحيلُ
وعِيسُ الشوق تسري في الفيافي   يعطرُ ليلها النســـــمُ العليلُ
تُداوينـــــا بنفحةِ مصطفانا   يُخامرُ لُبنــا الـسُكرُ الحـليلُ
«إذا جاءوكَ» جاءَ خطابُ ربي   سيستغفر لكم هـــــذا الرسولُ
وقد جئناكَ يــا ماحي الخطايا   ويا من في الكـــروب بنا كفيلُ
توسلنــــا بكــم مختــار ربي   وعترتكم ومــن مـنكم سليلُ
توجهنـــــا بكـــــم لله ربي   يبدل مُرَ دنيانــــــا عسيلُ
عليك تزاحمت سحبُ الصلاة   من الرحمن تســــليمٌ جزيلُ
مدى الأيام يــــا خير الأنام   ويا مـــــن أنت للبلوى مزيلُ
بها تجد ابتهـــــاج دوام عزٍ   وتدركها العنايـــــــة والقبولُ
وكل الســـــامعين ومن تمنى   بأن يمسي بساحتكم نزيلُ[244]

ومن روائع نظمها في حب رسول الله صلى الله عليه وسلم القصيدة التالية:

وبوادي حبك قد خلعت نعـالي   يا أيها البدر المنير العـــالي
هذي عصا وجدي تهش مدامـعي   ومآربي أنتم وقصد نــوالي
أشتم مسكا من حضورك عابقــاً   لا مسك عطار بـدم غزال
وأرى جبين النور في غسق الدجى   قمراً بطلعة وجهك المتلالي

******

وبوادي حبك قد نثرت قصائدي   وطناً مــــن الإلهام والإحساس
آنست نار الشوق تشعل مهجتي   أهفو لطيفك في الكرى ونعاسي
إن ضل قلبي أنت بوصلة الهدى   أو شان ذنبي أنت طهر حواسي
يا زمزم العشاق يــا بحر الندى   يـا من بنــا متلــطف ومواسي
عهدي بلطفك أن تزيل شوائبي   يا شــافع اليوم العصيب القاسي
وتجود بـالاكـرام لي ولنــاسي   من كــان لي متــذكراً أو ناسي

244- المصدر نفسه.

****

وبوادي حبك قـــد رأيت طوالعا   نحو الفلاح تقودني وتنـادي
قد كان درب العمر قبلك ضائعا   أعلنت حبك لحظة الميـلاد
صليت فرض الحب جهـرا ماتعا   يامنبع التشريع والإرشـــاد
وسكبت بوح الروح حرفاً جامعا   للذوق والتسطير والانشـاد
ناديت بين الناس فجراً ســاطعا   يا سيدي أنت المنى ومرادي
يــا شافع الميعاد جئتك طـامعا   في الفوز والتأييد والإسعـاد

****

وبوادي حبك قد سكبت مدامعي   نيلاً تقدس بـــالهوى كالـنيل
وطناً من الإحساس غــربة شاعر   عن عالم الدنيا وكـــل خليل
أظمأت يومي عن شراب سواكم   وسهرت أسأل عنك كل دليل
صح اللسان إذا ذكــرت مُحَمْداً   وحلى البيان بســيرة المرسول
يا شافعي يـا دافعي يـــا رافعي   يا عدتي يا عمدتي يـــا سؤلي
هب لي بفضل الجود منك عطية   نشر المديح وقولك المعــسول
وصلاح حالي في الدنا وسلامتي   من كل أمر شائك ومـــهول
وأقبل لأحـــبابي وجمـع عشيرتي   واكسيهم من فيضك المسبول
ثم الصلاة مع الســـــلام تحية   تصبا رياض الصادق المأمـول
تأتي بنفحات الهدايــــة والرضا   تلقى إبتهاج بها جميع السـول
وتشاهد النبراس تلحق ركب من   حاز الفخار ونال كل قبــول[245]

245- المصدر نفسه.



الشاعرة والإعلامية إبتهاج إِبرُاهِيْم بشير

شامة الشَّيْخ السَّمَّاني (1982-   ):

هي الشَاعِرٌة شامة الشَّيْخ السَّمَّاني الشَّيْخ البكري الشَّيْخ السَّمَّاني الشَّيْخ البشير ودنورالدائم وهي حفيدة الشَّيْخ أَحْمَد الطيب البشير مؤسس الطريقة السَّمَّانية في السُودَان ومصر. ولدت في العام 1982 بقرية أم عيدان ولاية سنار والتي تقع في الضفة الشرقية لنهر الدِنْدِرْ. تلقت تَعْلِيمها الأولى بمدرسة أم عيدان الابتدائية ودرست الثانوية بمدينة الدندر، ثم التحقت بجامعة أم درمان الإِسْلاَمية.

درست القرآن الكريم في خلاوي أبونا الشَّيْخ السَّمَّاني وختمت القرآن حفظاً باللوح والدوايه وكانت آنذاك بالصف الرابع أساس. وعملت شيخة لتدريس القرآن في خلوة والدها الشَّيْخ فترة من الزمن حتى دخولها المرحلة الثانوية. وتمثل دفعتها الدفعة الأولى التي تخرجت من خلاوي أبينا الشَّيْخ السَّمَّاني الشَّيْخ البكري بأم عيدان.

بدأت رحلتها مع كتابة الشِّعر في العام 2000م، لديها العديد من النظم الشِّعري والذي يشمل قصائد في المدح النبوي وقصائد في مديح القوم أصحاب المنهج الصُّوفِي، ولها قصائدها في مدح رِجَال سندها السَّمَّاني. وهي متزوجة وأم لعدد من

البنين والبنات[246]. ومما نظمت اخترنا لها التالي من النظم النبوي:

سرت الروح لي نبينا الغالي   في سوح المدينه الغالي

****

الحَمْد لله المـــــعينا   إيـــــاك نعبد نستعينا

أكرمنا بي جاهو نبينا   واسقينا من كأس معينا

****

بثني بي نـــــور المدينه   الحبو كـــــامن جوه فينا

شافع العصاة والمذنبينا   يوم الحساب والعيب يبينا

****

يوم وضوع الخير نبيـــنا   طيبو فـــاح في العالمينا

ابتهج الكون والحاضرينا   يا بشرى بالمبعوث فينا

****

بمدح الرتبـــو الـــعليـــا   مُحَمداً خيـر البرية

النفسه راضيه ومرضيه   والكفه بركه ونديه

****

سرت الروح وزاد هوايا   لي صاحب الحوض والسقايا

في مدحه راحتي وهنايا   النبي سمـــــح الـــسجـــايا

****

سرت الروح وزاد هيامو   لي بهجته ومشكاة ظلامو

طبهــــا وبلسم سقامو   طابت بـــه وطاب مقامو

****

الجانـــــا بالهدى والرشادو   ضوى الظلام زال الفسادو

سيدي النبي وسيد الأسيادو   هيلـــو المقام هيلو السيادو

****

ربو غاب قوسين دنالو   وكل سر الكون نالو

246- عبدالجليل عبدالله صالح. الدور الديني والاجْتِمَاعيّ والأدبي للسمانية أم عيدان. دار عزة للنشر، الخرطوم، 1202م.

سراقة بـــــالغدر نوالو   توجـــو وزال ضلالو

****

صحبه الغر الفحولو   هيلم الـــعز والـــــقبولو

بادوا للكفر العتـولو   يا نعمه هم نصروا الرسولو

****

صلي يا من حي وباقي   للنبي الجـــــاز الطباقي

شامه بيك ترقي مراقي   وفي حماك يوم لف الساق

ومن نظمها في مدح رِجَال المنهج الصُّوفِي اخترنا لها قصيدة «»أبوي الطايلة إيدو»، وهي قضيدة نظمتها في والدها العارف بالله الشَّيْخ السَّمَّاني الشَّيْخ البكري، تقول كلمات القصيدة:

عاجبني أنا وبريدو   أبوي الطايله إيدو

إلهي يا مجيدو   كرم بلا تحديدو

بنبيك شافع الوعيدو   أدعوك يا رب زيدو

أبوي في عصرو فريدو   الفاق ندو ونديدو

الزار أبوي سعيدو   يرشد يعز مريدو

أبوي يا قوم حبابو   توب ستري البتغتابو

بنفق بلا حســـــابو   بفخـــــــربو بتنبابو

الجبل الفي رحبأبو   للناس يعم ترحبأبو

الجوهو يا أحبابو   أسقاهم صافي شرابو

أبوي دور جريالو   اسقى الكشكش وكالو

راكب البرن خلخالو   بلحق يمين وشمالو

مقامو كالقبـــــالو   النذُر الكمُـــــــال

طيبي وعزيز صلصالو   العظمة هيلو وفالو

زانت به ام عيدانو   وطابت به القيمانو

أبوي الغوث في زمانو	كدي هزوا يا حيرانو
خدم طريق سمانو	بالصـــدق والايمانو
مسلسل نسبو كمانو	كالدوري والجمانو
أبوي الرب حبـــاك	تمَ واظهـــــر ولاك
يا أبوي بحق اباك	اجد المدد ورضاك
الصلاة والسلام يوماتي	توصل عظيم الذات
شامة بتقول يا أبواتي	بيكم متينة صلاتي[247]



زمزم زكريا جمعة (1986–   ):

الرواية والشَاعِرَة زمزم زكريا جمعة من مواليد ولاية النيل الأبيض مدينة كوستي في 1986/8/31م.

سلكت الطريقة اَلْقَادِرِيَّة المكاشِفية على يد الشَّيْخ عبد الله تاج الدين عن الشَّيْخ عبد الله وَدَّ العجوز عن الشَّيْخ عَبْدَ الباقِي المكاشِفي.

247- المصدر نفسه.

تعمل كمحامي وموثق عقود بمدينة كوستي.

بداية رواية الْمَدِيحِ النبوي في 2013/3/30م. لديها ديوان في الْمَدِيحِ باسم (نسائم الأسحار ورائع الأعطار في مدح النبي المختار). وكذلك ديوان قصيد باسم (كأس الشراب في مدح درة الأحباب)[248]. ومن بدائع نظمها قد إخترنا لها قصيدة (أهْل الحضرات)، والتي تقول كلماتها:

أهْل الحضرات الساقوا الليل

والوا الفرات حليلهم وين

رافع السموات وداحي الأرض مُحي الأموات

بسر السر والنجوات ألحقني بقومي شيوخ وروات

_***********

والوا الفرات دخلوا الخلوة بقليل تمرات

هزموا نفوسهم ٱجتازوا العثرات

لا شك فايزين عند السكرات

_***********

سبحهم جارات

طبقوا السبعين كم كم كرات

أرض الغيب حرتوها حرات

ورموا تيرابهم وحصدوا الثمرات

_***********

عندهم نظرات

في لمحة عين طافوا القارات

يمين ما بهابوا من الغارات

ساعة النجدات خيلهم كارات

زي النجمات

248- مقابلة مع الشاعرة زمزم زكريا جمعة. كوستي- عبر الواتساب بتَارِيخ 2202/01/51م.

تهدي أنوارهم عند الظلمات
فايحة أعطارهم مع النسمات
وفي طريق الحق وضعوا البصمات
****

يلفوا الورطان
تدخل سوقهم تطلع بطران
مكاشفي أبوي مع السلطان
جلبوا الكافر قبطي ورطان
****

طريقهم عمران
شريعة حقيقة بنوا العمران
حافظين لمتونهم والقرآن
قول يا التاتاي أب قران
****

خيلهم لافات
في ثلث الليل زي الصافات
لمريد القوم حارسات كافات
وتجي للمنكر زي الآفات
****

أرواحهم عابرات
أقطاب الكون دخلوا الحضرات
جالسين مع طه علي الككرات
بحضور وهيام شربوا الخمرات
****

آلاف صلوات
وسلام لنبينا زاهد النزوات

أكفي زمزم شر البلوات

ومن بحر القوم تفتح قنوات[249]



زمزم زكريا جمعة 1986–

آمِنة الصادق الأَمِين (1987–):

الشَاعِرُة والراوية آمِنة الصادق الأَمِين من مواليد قرية أبو آمِنة شرق مدينة سنار في العام 1987م. تسكن ولاية الجزيرة مدينة مدني. بدأت كتابة المِدائِح النبوية في شهر 2021/10م. سلكت الطريقة القادرية المِكاشِفية على يد الشَّيْخ مهدي الشَّيْخ الطيب المِكاشِفي.

لها العديد من القصائد في المدح النبوي ومديح أهْل الطريق[250]. ومما كتبت اخترنا لها القصيدة التالية:

قلبي اليروم مشتاق للقدرو سامي

ليك يا رسول الله حب واحترامي

****

الله يا رحمن تم لي مرامي

أقري السلام دوام لابنِ هُشامي

يقبلني والاحباب أهْل النظام

ويدخلني في الحضرات وشرب المدامِ

****

بثني جميل القول بيك يالتهامي

249- المصدر نفسه.

250- مقابلة مع الشاعرة آمنة الصادق الأمين. سنار- عبر الواتساب بتَارِيخ 2202/01/12م.

المجتبي المعصوم صاحب الوسامِ
جملة الصفات حازها طيب الكلامِ
سمح الطِباع سيدي فاق الكرامِ
****

ميلادو ضوى الكون الكان ظلامي
طلعت شموس العز والخير نامي
بشرانا بالمدخور نافي الملامِ
قايدنا للرحمات قائد الزمامِ
****

أبيض جميل محياه سمح القوامِ
زاهي قسيم ووسيم طيب الكلامِ
نور الحبيب ياناس ضوي الظلامِ
من عالم الأرواح فاق العظامِ
****

من معجزات الخير ابن الكرامِ
ليهو البعير والضب نطقو الكلامِ
الحجر والأشجار ردوا السلامِ
في النهار وهجير يبرا الغمامِ
****

أصحابه الطاهرين ليهم سلامي
صديق والفاروق وعلي الإمامي
راكبين خيول الحرب وقادوا الزمامي
نصروا الرسول ياسين بدر التمام
****

من جيهة الحرمين هب لي نسامي
زود علي الشوق هيج غرامي

مناي أطوف البيت اصل المقامِ
واجلس قريب منو ويسمع كلامي
****

صلواتي والتسليم تصبا أم رخام
بعد ما في الكون وعلم العلامِ
آمِنة طالبة لقاك يا إبن هشامي
ناديها قول ليها نلتي المرامي[251]



آمِنة الصادق الأَمِين 1987

وداد الصديق أحمد (1991–):

الراوية وداد الصديق أَحْمَد (أم نبأ) من مواليد 1991/5/25م بمنطقة «أبو دليق» التي تقع في محليه شرق النيل ـ ولاية الخرطوم. وتنتمي لقبيلة البطاحين. درست الأساس بمدرسة «أبو دليق» الأساسية، والثانوي بمدرسة عصام الشَّيْخ بنات بـ»عِدْ بابِكِر». تعمل في حقل التدريس، فهي أستاذة متعاونة في مدرسة أبو دليق.

سلكت الطريقة القادرية على يد الخليفة محمد (المجتبى) ابن الشَّيْخ الحسن محمد طلحة جبل الحديد (أبوشام).

بدأت كتابة المِدائِح النبوية في ٢ صفر ١٤٤٢هـ. ولها العديد من الأمداح والتي تم

251- المصدر نفسه.

بثها على قناة «ساهور القمر الهاشمي لتعظيم المصطفى» صلى الله عليه وسلم[252].
ومن روائع ما نظمت قصيدة (هاج غرامي وزاد هيامي)، تقول كلماتها:

هاج غرامي وزاد هيامي
على الرسول الهادي الإمامي

_

ربي يا محي العظام
أدعوك بي سورة الأنعام
أحفظ نفوسنا من أوهام
وارفع مقامنا يعلو سامي
****

ثاني بي سيدي الامام
نور الكون ضئ الظلام
الجانا بي دين الإِسْلاَم
وشرعوا سايد بي نظام
****

يوم وضع سيدي التهامي
القصر طاح اصبح حطامي
القمر ليهو في انقسامي
والنسوه فرحن بي الغلامي
****

الحبوا ساكن قلبي وعظامي
وروحي هايمه طالبه المرامي
دا المكسي هيبه بزي إسلامي
يا رب ليهو سهل قيامي
****

نبينا صادق في الكلام

252- مقابلة مع الشاعرة وداد الصديق أحمد. أبو دليق- عبر الواتساب بتَارِيخ 2202/01/1م.

خضر يياس ترعي البهام
حليمه قالت درت اغنامي
جانا بالخير وزاد اكرامي
****

أصحابوا القولهم تمام
صديق بالمال والغرام
عُثْمَان وعمر حقوا النظام
والليث علي سيفو درغام
****

هبا النسيم تالا أم رخام
فتق لي جرحي وكسر عظام
مناي أصل أب قدراً سامي
يشفي لي قلبي ويليق مقامي
****

صلاتي لي النبي التهامي
عدد الدهر والإيامي
بيك وداد ترفع مقامي
وأسقيها من كأسك مدامي[253]

253- المصدر نفسه.



وداد الصديق أَحْمَد 1991–

مناهل فضل السَّيِّد الزين (1991–   ):

ولدت الراوية مناهل فضل السَّيِّد في العام 1991م بمدينة عرشكول التي تقع في النيل الأبيض شمال غرب الدويم. بدأت مراحلها الدراسية بمدرسة الحميراء بنات. وحالياً تسكن مدينة الدويم النيل الأبيض.

سلكت الطريقة اَلْقَادِرِيَّة المكاشِفية على يد الشَّيْخ محمد الراجل الشَّيْخ المهدي الشَّيْخ الخنجر. فيما بدأت كتابة المدائح النبوية في العام 2020م. ومن نظمها الشعر مدحاً في خاتم الأنبياء والمرسلين قصيدة «طه الحليم». تقول في كلماتها:

طه الحليم
في مدحه يا أحباب شي عظيم
مدحا عجيب منظوم

ربي العظيم
وصلني لي طه والد إبرهيم
انظر للسهوة بحب وأهيم

واحكي أشواقي ليهو الهميم

أصل الكلام
بنظم بقول مدحي فوق الهمام
يا سيد الكونين نور الظلام
أكرمنا بكرمك نحظى المرام

في عام الفيل
ميلاد نبي الخيرات صحاب الدليل
حضوروهو حور والأملاك موكب جميل
بشرانا بالمختار غيثنا الهطيل

كامل الوصوف
أخلاقو ياسمعين حليم عطوف
يرحم المسكين باليتيم رؤوف
صادق أمين خلقو للسر كشوف

تسبح أحجار
لي طه سيد الروح عالي المنار
من يدو الشَرِيفه الهادي المختار
نبع النمير وله تسعى الأشجار

قول العدول
أصحاب رسول الله والد البتول
هانو لي الكفار ماخلو زول
مولاي بي جاهم نجد الوصول

هب النسيم
من جيهة الخضراء زاد الأليم
نار الغرام زايده شي كالجحيم
يا ربي جود بزوره ليهو الحليم

الصلاة كرات
وسلامي للمختار صاحب الغارات
مناهل يا مولاي كالصالحات
تقبر بقيع عُثْمَان عند الممات[254]



تسنيم كباشي مصطفى (1992–   ):

الراوية تسنيم كباشي مصطفى الطاهر عبد الرحمن مجاور، من مواليد الجزيرة مدينة وَدْرَاوَةْ في يوم 29 أكتوبر 1992م. ربة منزل وأم لأربعة أطفال.

254- مقابلة مع الشاعرة منأهْل فضل السَّيِّد الزين. الدويم- عبر الواتساب بتَارِيخ 2202/01/03م.

أخذت للطريقة العركية عن يد الشَّيْخ يوسف بن الشَّيْخ محمد بن الشَّيْخ عَبْد الرَّحِيمِ بن الشَّيْخ يونس.

بدأت كتابة الْمَدِيحِ في العام 2015، وهي تسعى لجمع قصائدها الشِّعرية لتكون ضمن ديوان اختارت له اسم (ترياق العاشقين)[255]. وقد اخترنا لها ما يلي من قصيد:

سيدي النبي المنصور

يا مولاي ليهو أزور

♡♡

مولاي ياكريم غفور

حلحل لينا الساجور

نصل طيبة أم سور

نزور للقبره يشلع نور

♡♡

ببدأ قولي بالمنصور

الفي كتفه حيصور

أصحابه النفوا الجور

وبيهم أمرنا ميسور

♡♡

يوم ميلاده المشهور

عم الكون فرح وسرور

الملائكة ليهو حضور

وكذا النسوة والحور

♡♡

طفى النيران المشتعلة دهور

وكذا الأيوان أضحى مكسور

خرج ساجد لربه شكور

بدل الظلام بالنور

255- مقابلة مع الشاعرة تسنيم كباشي مصطفى. ودراوه- عبر الواتساب بتَارِيخ 2202/9/52م.

♡♡

سيد روحي وسيد عمري

سيدي اليقبل العذرِ

سيدي الخاطبه الشجرِ

وسبح في كفه الحجرِ

♡♡

نبياً جانا خيرو عديل

نبياً هادي طبعه جميل

نبياً ما في ليهو مثيل

نبياً كان يقيم الليل

♡♡

نبياً عظيماً كان

نبياً يفقد الجيران

نبياً في وصفه قال حسان

كفه فاق الحرير لمسان

♡♡

نبياً جاهو شاملنا

وفي الاخرة ضامنا

نبيناً بيهو نتمنى

السكون معاهو في الجنه

♡♡

وأذكر أصحابو عموم

الوالوا القيام والصوم

أسيادي المثلهم معدوم

نصروا الحبيب أبو أم كلثوم

♡♡

البرق الرفة وشال

من جيهة سيد بلال

قطر دمعي ليهو وسال

حل لي قيدي يا حلال

♡♡

صل العلي العلام

عد ما خلق أنعام

لي كافل الأيتام

تسنيم تبرا من آلآم[256]

ومن نظمها أيضاً قصيدة «عجبوني الجالسوا» والتي تقول كلماتها:

عجبوني الجالسوا

للنبي آنسوا

♡♡

عجبوني النصروا الرسول

عجبوني سمحين القول

أهْل الصفاء والوصول

بيهم نحظى بالقبول

♡♡

عجبوني الجالسوا الغالي

عجبوني وسروا بالي

ديل الذكرهم متوالي

البقيموا في الليالي

♡♡

عجبوني مطر الخريف

عجبوني البكرموا الضيف

ديل القلبهم نظيف

256- المصدر نفسه.

العالجو الصم والكفيف

♡♡

عجبوني طوال الباع

عجبوني الاذنهم سماع

ديل الجالسوا الشفاع

ديل البيهم النفاع

♡♡

عجبوني الكرمهم فياض

عجبوني الخيرهم فاض

كون في بحرهم خواض

وفي طريقم ركاض

♡♡

عجبوني أهْل التهليل

عجبوني الوزنهم تقيل

ديل الرسول ليهم خليل

يجالسهم نهار وليل

♡♡

عجبوني الجردوا العدد

عجبوني أهْل المدد

ديل للضعاف السند

بيهم الراحة للابد

♡♡

عجبوني السكنوا الفيافي

عجبوني المثلهم مافي

فيكم بنظم القوافي

يا سادتي الأشرافِ

♡♡

عجبوني الدائمة صلاتهم

للرسول وقوية صِلاتهم

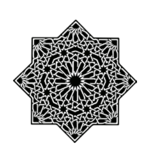
تسنيم تدخل حضراتهم

وتكرم يا رب بجلساتهم[257]



تسنيم كباشي مصطفى 1992–

257- المصدر نفسه.



الباب السادس

نماذج لمَادِحَات من السُودَان

تَارِيخ فن الْمَدِيحِ في السُودَان:-

-المدح نقيض الهجاء وهو حسن الثناء، ويقال مدحت مدحة واحدة، ومدحه يمدحه مدحاً والجمع مَدائِح. تعود العرب منذ العصر الجاهلي أن ينوهوا في أشْعارهم بأشرافهم وذوي النباهة منهم، ويتحدثون عن خصالهم النبيلة من الكرم، والشجاعة والعِلْم والوفاء وحماية الجار، وكان لا يعد السَّيِّد فيهم كاملاً إلا إذا تغنى بنباهته ومناقبه غير شاعر، ومضوا على هذه السنة في الإِسْلاَم[258].

-ولقد ابتدع الصُّوفِية فنوناً في الآداب العربية، لم يشاركها فيها غيرهم مثل المدائِح النبوية، والتزهد والحب الإلهي، والأوراد، وهي بالحق ألواناً حية طالما أثارت اللواعج وحركت الأشواق في قلوب العاشقين والسالكين[259]. الملاحظ أن ابتداع الْمُتَصَوْفة لفنون الْمَدِيحِ «أو القصيد» -كما سمعت عن بعض الشيوخ - يقوم عليه بصورة أوضح الشيوخ أنفسهم توسلاً به لنيل الرضا والتبدل. فإن الأماديح والمدائِح الصُّوفِية في الآداب العربية والتي تقوم على الصدق والإخلاص والمحبة حيث لا تعترضها عوأرض من المدح الكاذب أو الاستجداء على أبواب الحكام والأمراء والملوك[260].

258- رفيدة مُحمْد سلمان مُحمْد. أدب الشَّيْخِ الصابونابي (دراسة وتحليل. رسالة ماجستير غير منشورة- جامعة الجزيرة- كلية التربي (حنتوب- 2002. ص- 3.

259- نصر الدين سليمان علي فضل الله. دراسات فكرية في التَّصَوُّف بالسُودَان، أوراق وتوصيات المؤتمر الأول للدراسات الفكرية للتصوف في السُودَان. دار عزة للنشر والتوزيع. (8002م. ص.54.

260- المصدر نفسه. ص- 74.

-إن الأدب الصُّوفِي واحد من الأشياء التي أسهمت في حفظ التعايش بين السُودَانيين بمختلف معتقداتهم الفكرية، وإن الْمَدِيحِ وحد وجدان الأمة السُودَانية وكان له أثر بالغ في تعظيم ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم في قلوب كافة أبناء البِلاد مؤكدين أن التَّصَوُّف هو المعين الأول الذي ساعد في انتشار الدعوة الإِسْلاَمية، مبينين أن الصُّوفِية هم من وضعوا الأسس السليمة لطريق الدعوة[261]، كما تربى إنسان السُودَان بالغذاء الروحي ومن وجبات القُرْآن والذكر الذي منحتها له الصُّوفِية.. وتربى بشوقه وحبه للذات المِحَمْدية التي أثارها فيه أنصار السنة بحبهم وغيرتهم على الرسول الكريم وما جاء به، وامتصت المِدائِح النبوية التي سب عليها كل عصبيات الدين والعرق والعنصر، فتمازجت القبائل في أحضان هذا الدين بصوفيته وسنيته وتمثل ذلك جلياً في ساحات الذكر العامرة بالحب والمفعمة بالوداد.. وصار بذلك هذا الإنسان السُودَاني صفاء، ونوراً، وروحاً في حلقات تلاوة القُرْآن ودروس السنة المِحَمْدية. فتشكل بذلك البناء الإِسْلاَمي في المجتمع السُودَاني الذي عرفه أباؤنا وعرفناه من بعدهم.[262]

-من المعروف أن القصائد الدينية أو المِدائِح النبوية، سمها ما شئت، قديمة في السُودَان قدم الدين الإِسْلاَمي فيه، فالدين الإِسْلاَمي كما هو معلوم دخل السُودَان محمولاً على أدوات الصُّوفِية ولعل من أهمها الْمَدِيحِ.[263]. يعتقد العلامة عبد الله الشَّيْخ البشير (1928–1994م) أن انتشار الإِسْلاَم في السُودَان وإفريقيا قد تحقق من خلال جهود الصُّوفِية، الفقهاء، الحفظة والمادحين. وأن هذه الجهود قد تمت عبر الوسائل السلمية تمثلت في غرس الاعتقاد في قلوب الوطنيين وأخذهم نحو حظيرة الإِسْلاَم[264]. وأتوا أخيراً لإحداث تغير رادكالي في حياتهم وأعدوهم ليكونوا النواة لأول دولة إسلامية في البِلاد. هذه المجموعات الأربع قد نشرت الإِسْلاَم في المليون

261- 18133/afahasla/moc.sseradus.www//:ptth

262- أحْمَد عُثْمَان مُحَمْد المبارك. إلى علماء الدين. لمصلحة من يحدث كل ذلك.. أفتونا رحمكم الله؟. التيار الجمعة 3 فبراير 21002 الموافق 11 ربيع الأول 3341هـ العدد 788، ص-7.

263-) عبد اللطيف البوني وعبد اللطيف سعيد. البرُعِيّ رجل الوقت. مطبعة التيسير، الخرطوم، 0002، ص31.

264-) erutuF & yrotsiH ،enirtcoD :ayyinammaS ehT .hilaS alladbA lilagludbA ،51002. 98-88 .p

98-88 :dibI (

%-8A%8D%FA%8D%3A%8D%/stsop/66badaybala/moc.koobecaf.www//:sptth

ميل مربع ليس بالسيف أو سائل الإكراه الأخرى بل عن طريق كسب الثقة والإيمان والإخلاص. وقد أفلحوا في إحداث تغير في نمط أسلوب حياة الناس فأبدلوا التشتت بالإجماع والغفلة بذكر الله، وهذه قادت إلى تأسيس الدولة الإِسْلاَمية في سنار والتي بدورها ساهمت في ترقية الفكر للعلماء والطلاب على حد سواء ليساهموا إيجاباً في حقل الدراسات الإِسْلاَمية[265].

-للمديح النبوي في السُودَان شأن عظيم ومكانة كبيرة ويظهر ذلك من خلال المحبة الشديدة التي يكنّها أهْل السُودَان للنبي محمد ولكثرة المادحين الذين برعوا في فنون الْمَدِيحِ وأبدعوا فيها حتى أصبحنا الأشْهَر في هذا المجال.[266] وعُرف الْمَدِيحِ النبوي في السُودَان بأنه مؤسسة شامخة عبر التَارِيخ لها أعلامها القدامى والمحدثون وملتزموها من المحبين. واعتزت بإيقاعاتها المنوَّعة وأصواتها المميزة وسمتها وهيئتها المهيبة الأنيقة فأثرت وجدان المجتمع وعاشت في شعوره وصارت له سكناً يتفيأ فيه معية رسول الله صلى الله عليه وسلم. وسيبقى الْمَدِيح ذلك الغناء المسداري التجاوبي المدهش . في السُودَان منظومات خالدة وإيقاعات آسرة وألحاناً تغافل القلوب فتأخذ بشغافها.[267]. إن حقيقة الحقائق في هذا الشأن أن مشائخ التَّصَوُّف السابقين واللاحقين منهم قد اهتموا بالعِلْم تأليفاً وتدريساً، حتى إن أشْعارهم وأشْعار المادحين في مسايدهم كانت هي منبع المعارف ومصدر المعلومات لعامة الناس، ولا ينكر أثرها العظيم في تبسيط أساسيات العقيدة والسيرة والفقه إلا مكابر، وقدموا ذلك في قالب فني جذاب ومؤثر ومناسب مع المجتمع الذي تتفشى فيه الأمية ويقل فيه المتعلمون، ولقد أحسن وصدق وأنصف شيخ شعراء السُودَان في القرن العشرين الأُسْتَاذ عبد الله الشَّيْخ البشير حينما قال عن المادح السُودَاني:

--مُعلِّم الشعب جلَّ قدرا--مهَيئ الفنِّ للفقير[268]

ثم كان دور المداحين الذين يجوبون البِلاد بالشِّعر الإِسْلاَمي سواء كان باللغة الفصحى أو العاميات المتداولة، وقد ترك هذا أثراً واضحاً في كل المحافل التي كانوا

265-) Ibid: 88-98

266- https://www.facebook.com/alabaydab66/posts/%D8%A3%D8%AF%D8%A8-%

267- أحمد المجذوب حاج الماحي. ساقية حاج الماحي. الجزء الأول. على الرابط http://m-nile.com/?p=1842

268- أبو الطيب الحفياني. حادي العيس. الأمانة العامة للذكر والذاكرين. 2009، ص4.

يغشونها.. كما أن التنويع في المصادر التي يستقي منها المداحون أشْعارهم – سواء كان من السُودَان أو من خارج القطر – ساهم في التنوع الثقافي الذي أثرى الفكر المتداول.[269]

–وقد كان المادح قديماً في مرتبة العلماء، فالْمَدِيحِ كله يتعلق بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، فمعظم علوم السيرة يتلقاها الناس من المادحين الذين كانوا يجوبون القرى لتوصيل رسالتهم، كما أن الناس كانوا يستقبلونهم بكل حفاوة[270].

وعن أثر الْمَدِيحِ ودوره الكبير في نقل سيرة الحبيب المصطفى يطالعنا أديبنا المخضرم الطيب صالح قائلاً:(لا أظن أحداً من السُودَان يزور هذه الأماكن ولا يخطر بباله «حاج الماحي»، إن شعره خاصة وشعر أضرابه، صاغ وجداننا ونحن أطفال نتشبث بأذيال آبائنا وأمهاتنا في حلقات (الْمَدِيحِ) بالعشيات. قبل أن نعرف القراءة والكتابة، أو نعي شيئاً من أمور الحياة، عرفنا مولد الرسول الأَمِين ونشأته وبعثته، وما كابد من العناء في مكة ثم هجرته إلى المدينة حيث سطع نور الرِّسَالَة قوياً وهَاجاً. عرفنا جهاده وجهاد أصحابه وعرفناهم بأسمائهم واحداً واحداً. المعرفة انتقلت إلى قلوبنا الغضة مباشرة، في صيغة غناء مترع بالحب والشجن)[271].

–وتشتمل المِدائِح الشعبية على أسلوب قصصي جميل من ذلك النوع الذي تتميز به الملاحم. فها هو أَحْمَد ابن أبي شريعة يصف هجرة النبي في أسلوب ملحمي يقول:

قالوا المشركين هذا الغلام محّنا	مهما نحكي قول يعلم كلامنا القلنا
كيف الراي دحين هذا الأمر ماكنّا	وا خيبة رجانا أريتنا كان ما كُنا

شاوروا لى أبْ جَهَلْ قالولو نحن بطلنا	ومن كافة عبادة أصنامنا اتعطلنا
رايكُم تمموا لا ينكشف باطلنا	لموا ولاد قريش النّخلي منّو وطنا

إبليس قالهم يا قوم مرق راجلنا	سوا اسحاروا بى قبضة تراب خجلنا

269– محي الدين صالح. الأدب الصوفي وأثره في الدعوة الإسلامية، نموذج من السُودَان العربي الإفريقي. جامعة أفريقيا العالمية، ورقة علمية قدمت في مؤتمر الإسلام في إفريقيا، 6002، ص 562.

270–%-8A%8D%FA%8D%3A%8D%/stsop/66badaybala/moc.koobecaf.www//:sptth

271– الطيب صالح. مختارات للمدن تفرد وحديث: الشرق. مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي. الطبعة الثانية، فبراير 0102، ص-15.

نوّمنا الجميع وا عيبنا ما عجّلنا	سكان مكة قالت عبنا واتجلجلنا
اتلموا الصباح قالوا الأمر لوّمنا	خيبة على دقونا الكُلنا اتبومنا[272]

وعند الأُسْتَاذْ الفنان محمد وردي (1932–2012م) أن في الْمَدِيحِ جانب روحي مهم، في عباراته:» إن الْمَدِيحِ هو جزء من التركيبة الوجدانية السُودَانية وفيه جانب روحي مهم وقد قدمت قصيدة محمد المكي إبْرَاهِيْم (مدينتك الهدى والنور) وكان فيها جانب صوفي حقيقي وليس نفاق.»[273]

نموذج لمَادِحَات من السُودَان:

بفضل الإنترنت وانتشار شبكات التواصل الاجْتمَاعيّ خاصة اليوتيوب والواتساب نشطت في الأزمنة الأخيرة ظاهرة المِادِحَات من العنصر النسائي. وكصحوة دينية وسط هؤلاء النسوة – والتي كان مسرحها جمعيات الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم – ازداد انتشار هذه الظاهرة والتي عرف بسيطرة الرِجَال عليها ومنذ مئات السنيين في البِلاد. هذه الظاهرة يبدو أنها غير غريبة على المجتمع الصُّوفِي، حيث وجد هذا النمط من أدب الْمَدِيحِ بشكل فردي عند العديد من الفقيرات في المسايد الصُّوفِية، على سبيل المثال المادحة (من دامت) التي كانت تتميز بالصوت الشجي واللحن الجميل في مَسِيد الشَّيْخ السَّمَّاني الشَّيْخ البشير بشرق سنار. ويمكن القول إن في كل مَسِيد صوفي في السُودَان توجد امرأة تجيد فن أداء الْمَدِيحِ.

الثائي سيدة وصفية:

تشكل كل من سيدة سعيد وصفية عُثْمَان ثنائي مديح متفرد في حركة الْمَدِيحِ النبوي والصُّوفِي السُودَاني. وفي حوار لهن مع قناة الشروق في برنامج «المدهشون»، ذكرت سيدة أن البديات الأولى لهن مع تجربة الْمَدِيحِ كانت أثناء دراستهن للقرآن الكريم وحلقات الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. حيث كن يترددن على مَسِيد الشَّيْخ عَبْدَ الرَّحِيمِ الركيني في منطقة الكلاكلة، وهي من أحياء الخرطوم الكبيرة.

تقول صفية عُثْمَان: بدأت الْمَدِيحِ وأنا في عمر الــ19 عاماً في كَدَبَاسْ غرب بربر.

272–عبد الجليل عبد الله صالح. الترابي والصُوفيَّة في السُودَان اختلاف منهجين. الراوي للنشر، 9102م، ص913.

273– طارق شريف. وردي في منبر «الصحافة» الغناء توقف منذ 71 عاما والمنتوج «إسفاف». الصحافة السبت 72 جمادي الأولى 7241 الموافق 42 يونيو 6002م، العدد 6864، ص- 21.

حفظت القُرْآن الكريم في «دار السبيل» في الخرطوم. بدأنا الْمَدِيحِ في العام 2005م. كنا نعتمد في الأداء بادئ الأمر من خلال النص المكتوب، لم يستمر الوقت طويلاً حتى صرت ألقي القصيدة حفظاً وأداء عن ظهر قلب[274]. بدأت رحلة الْمَدِيحِ عندنا بإلقاء مديح الشَّيْخ البرعي، وشعر كدباس والشَّيْخ الطيب. وأول ما بدأنا من شعر الشَّيْخ البُرعيّ كانت قصيدة:

ساكن المدينة الخير .. أنا ناوى ليه .. قوماك غير تاخير

يا مــــن سميع وبصـير   سامحـــــــنا فى التقصير
أصبح زمنـا قصــــير   وبقت شمسنـــا عصير
فى الدين غلبنا الســير   قاسى وســلوكو عسير
نهج التقى الإكســير   ويـن البى دربــو بسـير
سل بى رســول الخير   سابـــق الرسل وأخِير
بل أفضلهـــم وأخَير   كمـان قائد عنان الخير
يوم وضعو فـــرح الطير   فاح طيبو مسكو عطير
سدالنا بــــاب النير   قومــــاك غير تأخـير
نبى تقى ومبـــــروك   الــدينه مــا مشـروك

بعد فترة وبمرور الزمن بدأنا نظم قصائدنا، فصارت لينا قصائد من نظمنا. تقول سيدة كان من القصائد النبوية التي نظتمها «الليله وجيد ليا»، أقول في بعض كلماتها:

الليله وجيد ليا رسول الله الكريم
الليلة وجيد ليا
رسولنا الكريم في القيامة يشفع ليا
حبيبنا الأَمِين
بي قلوبنـــا حبينـاك –بي أرواحنــــــــا نحن فداك
بالأنوار قمرنا ضيــاك –في الفردوس إن شاء الله معاك

274- قناة الشروق. برنامج المدهشون. حلقة مع ثنائي المديح سيدة وصفية. على الرابط /moc.ebutuoy.www//:sptth I-zU4VWPmQ-=v?hctaw

فاح العطر من جسمــه–فاح الجنـــان من اسمه
سيرتو سمحة طيبة ذكرت–ويا عشاقو الليلة أقِدْلُو

فاح العطر من جسمــه –ضماهو الإله مع اسمه
سيرتو سمحة طيبة ذكرتو –يا احبابو الليلة أقِدْلُـو

هون يا كريم بي زيـارتو–لي رســولنا العالية منارتو
يا مولاي الليلة حضرتو–نمشي للرسول في حـجرتو

لي رسولي شوقي شديد –يا مولاي حل القيد
ريدتي الواقفة لينــا تجيد–نزورو الليلة يوم العيد

هون يـــاكـــريم تم ليـا–لي رسولي عندي النية
لي شفيعي سمـــح الزيا–لابن كنانة وابن قصيا

للحجرة العظيمة مشينا–للجمرات وقفنا رمينا
من زمزم شربنا رويـــنا–هرولنا طفنا سعينا

الصلاة والسلام كل ليلة–توصل لي شفيع الميلة
ترضي الجانـــا بي تنزيلا–وبيها للجنان نمشيلا[275]

تقول: نظمت الْمَدِيح النبوي ولي عشق وشوق شديد يتملكني لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ضمن القصائد في هذا الشأن نظمت مدحة (القبة البلوح براقا). ولي قصة مع مدحة (بالسبعة المثاني يا ربي حجة وعمرة تاني)، عندما نظمت هذه القصيدة وسمعها الكثير ممن ألقيتها عليهم استغربوا وتساءلوا عن المضمون الوارد في القصيدة، والذي فيه:»عمرة وحجة تاني». فالذي حدث أن لي أخت في

275- المصدر نفسه.

الله تدعى فوزية الطاهر، اتصلت علي وقالت لي:(جوازك جاهز نحن متبرعين ليك بعمر)، وقد كان. ثم وصلت الحرم النبوي الشَرِيف، فجميع ما ذكرته في القصيدة من معالم الحرم كنت قد رأيته بعيني. ومن أبيات القصيدة قلت:

الخضرا البلوح براقا   أنا من زمان عليك مشتاقا

الخضرا البلوح براقا   أنا من زمان عــــاقدا النية

الخضرا البلوح براقا   يـــــا رب العبـــاد تم لي

الخضرا البلوح براقا   أزور وَدَّ آمنـــه وَدْ سعـدية

ورفيقة دربها صفية محمد عُثْمَان تقول: كانت عندي مدحة وهي من نظمي، وكنت دائماً أرددها أثناء دخولي وخروجي من منزلي، والمدحة بعنوان (طال الشوق شديد)، تقول كلماتها:

طال الشوق شديد –للبــلد البعيـــد

شوقي للخضـــراء –أم شباكاً حديد[276]

وبعد فترة من الزمن – وقد انتشرت المدحة واشتهرت – اتصل علي قريبي اسمه عبد الرحمن أَحْمَد العشاري، قال لي: جاهزة للحج؟، قلت: نعم، وقد كان. كلمات القصيدة تقول:

طال الشوق شديد –للبــلد البعيـــد

دوبا للخضـــراء ––أم شباكاً حديد

يا ربي لي تريد –أكرمنـــا بالوعيد

يوم صباح العيد –في شيـــا شديد

رب العالمين عالي –غيــــــــر درج

في حيناً قريب –عجـــــل بالفرج

الرسول أَحْمَد –صـــادق الوعــد

خر ساجداً –للاله عــــــــــرج

276–المصدر نفسه.

حبك يا الرسول – في جوفي أنا شديد
كـــــل يوم يزيد –أكان الشي بالليـــــــد
أنا أزورو كل عيد

رب العالميــــــــن –واســـــع الفضل
زيد فضلاً كتير –أرحمنـــــا بالصبر
مادحة الرسول من قبلي ومن قبل
عشمي فيك كتير لي ضمة القبر

رب العالمين –لي تم المنى
أنا والمادِحَـــــات والحاضرات كلنا
لي زيارة الرسول –لي جلـــسة مني
والحجاج مشو –عادكن شــــوقنا

بدري مــــــع الصباح المنادي صاح
سرا بالصراح قــــــال لي قومي اراح

بابورنا قام خبت لا خذا لا اتلفلت
وصلنا بورسودان بي فرحة وبي نشاط
قمنا بالهواء الساعة مابقت

بابورنا قام عدى شرقو في جدة
ركبنا بي عجل –أحرمنا للحجة
المطوف أجى بدا

اسمي بِتْ عُثْمَان عاتق المرقوب
في اللوح المحفوظ ظاهر هناك مكتوب
في عالي الجنان فتح لي هبوب[277]



الثائي سيدة وصفية

فيحاء محمد علي:

هي إنسانة بسيطة نشأت وترعرعت في أسرة أنصارية في جزيرة «أمْ جَرْ» بالنيل الأبيض. تلقت تَعْلِيمها الابتدائي بأم جر، والثانوي العالي بالعيلفون، وقد نالت حظها في التَعْلِيم العالي حيث درست الإعلام والعلاقات العامة بجامعة السُودَان.

في لقاء معها تقول عن بداية علاقتها بالْمَدِيحِ:»بدأت علاقتي بالْمَدِيحِ منذ طفولتي الباكرة ..وأذكر أول مدحة أنشدتها كانت بعنوان: (كل البينا بقي وشاية ونميمة وناس وشاية)، وكان ذلك في طابور المدرسة الصباحي، ورويداً رويداً استمرت المسيرة حتى يومنا هذا».[278]

تواصل فيحاء عن تجربتها مع فن الْمَدِيحِ وتقول: «دخلت مجال الْمَدِيحِ لأثبت قدرات الْمَرْأَة السُودَانية ونجاحها، وكان الأمر في السابق محصوراً على النِّسَاء الطاعنات في العمر.. وأنا كشابة عمدت إلى كسر حاجز الاحتكارية وتغيير المفهوم السائد أن مديح النبي صلى الله عليه وسلم حكر على الرِجَال».

تقر فيحاء أنها وهي في بداية تجربتها الإعلامية مع الْمَدِيحِ أنها واجهت صعوبات

277- المصدر نفسه.

278- فيحاء مُحمْد علي: أنا أول مادحة سودانية وأنافس نفسي بنفسي!نشر في صحيفة الاهرام اليوم بتاريخ 62-3-1102 18971/abokarla/moc.sseradus.www//:sptth

بل واعتراض من بعض أفراد أسرتها:» في البدء كان هناك اعتراض من بعض أشقائي، وبمرور الوقت تفهموا الأمر، وعلى العكس من ذلك كان موقف والدي مشجعاً ومسانداً لي، وأنا أدين له بالفضل الكبير. ذهبت لأول مرة في عام 2001م لأمدح في إحدى القنوات الفضائية، فرفضوا لي، وبعد إصرار وإلحاح سمحوا لي بالتسجيل الذي لم يبث حتى الآن».

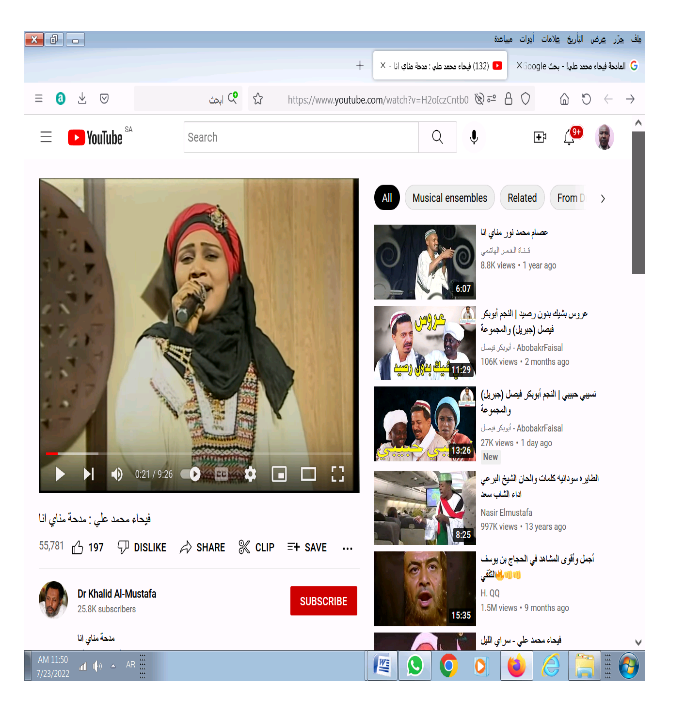
تقول فيحاء: إنها كانت تستمع إلى مدايح أولاد الماحي وأولاد البرُّعِيّ و»أولاد أبو شريعة» و»أبو صلاح» ووَدْ التوم، وتجد نفسها تتحلق في عشقهم وتشبع رغبتيها الذاتية في الاستماع إليهم. وعن موقعها في أوساط المادحين والمادِحَات، تقول في ذلك:»يكفي أن أقول إنني نلت تقدير الجمهور وهذه شهادة أعتز بها، فضلاً عن ذلك فأنا أول مادحة تتم إجازة صوتها من قبل المصنفات الفنية، وكان ذلك في عام 2001م[279].

ومن ضمن أعمالها التي دائماً ما يطلبها المستمعون، قصائد (طه الرسول المصطفى) (ضمين الأمة) (داير أخبار الرسول) (سراي الليل) (القمر) (مناي أنا) (الصلاة والسلام) (مشتعل الغرام).

وفي لقاء صحفي أخر اجري معها تقول فيحاء محمد علي: إن الإمام الصادق المهدى كان من أكثر الداعمين لها، في مسيرتها مع المدح النبوي بعد والدها، مضيفة بأن الإمام كان قد تبناها ورعى تجربتها، وكان ينتقى لها القصائد التي تؤديها كما فتح لها طريق المشاركات الخارجية على مستوى الوطن العربي والعالم. وفي السياق ذكرت فيحاء بانها أول امرأة يجاز صوتها كمادحة للرسول صلى الله عليه وسلم في السُودَان، وقالت إن انتشار المادِحَات في الفترة الأخيرة سببه شعور النِّسَاء باحتياجهن للرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من الرِجَال، مؤكدة بأن الْمَرْأَة تحب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أكثر من الرجل لأنه خلصها من كثير من المظالم، وأوصى بها الرِجَال خيرا فيخطبة حجة الوداع.[280]

279-المصدر نفسه.

280-https://kushnews.net/2018/04/39430



المادحة فيحاء محمد علي

الْمَرْأَة الصُّوفية اليوم في السُودَان:

من خلال السرد التَارِيخي لسيرة وحياة المتصوفات السُودَانيات التعبدية وجدنا هؤلاء النسوة قد مثلن حجر الزاوية لحركة التَّصَوُّف السُودَاني، وهذا نابع من منطلق القاعدة التي صاغها رِجَال التَّصَوُّف من أن التَّصَوُّف متاح وفضاء مفتوح لِلْمَرْأَة وللرجل على حد سواء. ومن نجد أن التَّصَوُّف قد أجاز تسليك الْمَرْأَة وأن يتولاها شيخ، فهناك مريد ومريدة وسالك وسالكة، وعارف وعارفة، وقد تتصوف الزوجة دون زوجها أو يتصوف الاثنان لا ضير في ذلك. وبناءاً على ذلك فإن الْمَرْأَة الصُّوفية حاضرة اليوم في المجتمع السُودَاني وهي موجودة ضمن شرائح المجتمع المختلفة ففيهن المعلمة، الأُسْتَاذْة الجامعية، الطبيبة، المهندسة الخ

الْمَرْأَة المُتَصوْفة والتَّكَايا في السُودَان:

منذ تَارِيخها العريق والضارب في القدم في السُودَان جاء ارتباط الْمَرْأَة الصُّوفية قوياً وكان ومازال ذا أثر فعال في الحركة داخل التَّكَايَا الصُّوفية في البِلَاد. سنلقي في المساحة التالية بعض الضوء عن مشاركتها كأحد العناصر الأساسية التي قامت عليها الخدمة داخل هذه التَّكَايَا. يبقى السؤال ما أصل التَّكِيَّة، وماذا تعني. وماذا

عن تَارِيخ وجودها في السُودَان.

أصل الكلمة:

التَّكِيَّة كلمة تركية تعني «الاتكاء» أو الاستناد إلى حاشية أو مسند مريح بهدف الاسترخاء والراحة، وراجت في عصر العُثْمَانيين، قيل إنها «التَّكِيَّة» بالفارسية تعنى جلد الماشية والغنم، ويرى المستشرق الفرنسي كلمان هوار أن أصل التَّكَايَا من بلاد الفرس. ويستدل على ذلك بأن المتَصَوْفة كانوا يحملون الجلد كشعار لهم والتعريف بهم. ومن الأسماء التي أطلقت عليها ما اتفق عليه أنها التَّكِيَّة: الخانقاه والزاوية وخان المولوية. وقد شاع استخدام اسم التَّكِيَّة عند العُثْمَانيين، وكانت تطلق على ثلاثة أشياء: مقام أو مزار أحد الأولياء، وزاوية أو خانقاه يقيم فيها الدراويش والصُّوفِية، وخان أو نُزُل لراحة الحجاج والمسافرين.

ومن المعروف أن الطريقة الصُّوفِية المولوية تبنتها الدولة العُثْمَانية، وإن كانت شائعة في بعض البلدان العربية، وهي التي أسسها الشاعر الصُّوفِي جلال الدين الرومي في قونية في بلاد الأناضول، وهي طريقة دراويش تمتاز برقص دائري مشهور وموسيقى.[281]

أما «الخانكاه» فهو مكان ينقطع فيه المتصوف للعبادة، وإن جمع بين المسجد والمدرسة، ثم غرف يختلي أو ينقطع فيها المتصوف للعبادة والتي عرفت في العمارة الإِسْلاَمية باسم الخلاوي. وقد راجت في مصر في العصر المملوكي، لكنها أطلقت على مجموعات من المنشآت الدينية للسلاطين (مثل خانقاه السلطان بيبرس المتضمن مسجد الأشرف برسباي وضريحه بقرافة المماليك).

أما الربط، فهو ما أطلق على ما يسمى «بيت المجاهدين»، لكن الصُّوفِيين، استعملوا الكلمة فيما بعد بمعنى الخانقاه، على أساس أنهم كانوا يخوضون جهاداً روحياً.[282]

ماهي التَّكِيَّة؟

أتت «التَّكِيَّة» بمعنى رباط الصُّوفِية. وهي مكان لإيواء الفقراء وعابري السبيل. وقد ورد في كتاب «تكايا الدراويش» لرايموند ليفيشيز، أن التَّكَايَا كانت «القنوات التي

281- السَّيِّد نجم. التَّكَاياَ.. فنادق للتعبد والراحة بلا مقابل. مقال منشور على موقع مجلة البيان على الرابط sptth://www. 9360941.1-12-80-1102/efil/shtap/ea.nayabla

282-المصدر نفسه.

من خلالها يشارك المتَصَوْفة في الحياة اليومية». وكانت تسمى تكايا جمعًا للتكية، أو زوايا أو خانقات، وذلك بحسب المنطقة الموجودة فيها. وكان لكل تكية طقوسها الخاصة، ومحورها الذي هو شيخ التَّكِيَّة أو شيخ الطريقة. في سفره الخالد «قاموس اللهجة السُودَانية» يكتب الباحث الثبت البروفيسور عون الشَرِيف قاسم (1933–2006م) عن التَّكِيَّة فيقول:» تكية (س عرح) ملجأ الفقراء من التكأة (ف) ما يتكيء عليه الفقير قال الشايقي: خلواتكم دايما تكية. وقال العبدلابي في الشَّيْخ عجيب: واقف وقفُو وتكتيتو تدور». ويعرفها الراحل الخليفة محمد أبو قرون بقوله: « التَّكِيَّة وهي منشط لإعداد الأكل والشرب للضيوف والطلاب وهو مصطلح شائع في مسائد أو مساجد الطرق في السُودَان وغيره، وفي زيارتي سوريا بجبل قاسيون رأيتُ مخطوطاً على مبنى(تكية الشَّيْخ محي الدين بن عربي) تقع غرب مسجده بقليل، وهذا يرجع إلى شيوع الكلمة في مساجد التَّصَوُّف[283].

تَارِيخ التَّكِيَّة في السُودَان:

وعن تَارِيخ نشأة التَّكِيَّة في السُودَان فالأرجح هو دولة الفونج حيث ارتبطت نشأتها بنشأة المسايد والخلاوى، وهو كما هو معلوم فإن أول من أسس الخلاوى والمسايد دور العبادة في البِلاد هم الصُّوفِية. ويتضح مما ذكر أنَّ خلاوى القُرْآن الكريم انتشرت في الجزيرة بعد قيام مملكة الفونج الإِسْلَامية خاصة في عهد الشَّيْخ عجيب المانجلك، الذي حكم ـ كما ذكر المؤرخون ـ من عام 1570م وإلى عام 1611م.

وفي كتاب الطبقات لمِحَمْد نور ودضيف الله يورد عن الشَّيْخ إدريس وَدْ الأرباب على لسان الشَّيْخ خوجلي أبو الجاز ما يلي:» قال الشَّيْخ خوجلي: أول مَن أَوقد نار الشَّيْخ عبدالقادِر الجيلي [هو] الشَّيْخ إدريس. ويُقال أن قُداحْتُه سِتون قدحاً والكِسرة مَديدة يُسوطَها [يحُرِكُها طبخاً] الفُقرا [طلبة العِلْم] ناس الطريقة في البُرام شادين في وسطِهم المناطِق [أحزِمة] وصِفتُها دُقاقة (دقيقة) نجيضة (ناضِجة) وخميرة الماء علَيها مِثل الفُلفُل (ولعل الصواب لهُ طعم كالفُلفُل) تارة تكون بِالمِلاح (الإدام) وتارة بِالماء. والهدايا تأتيه مِن الزُوّار بأخُذُها العُشام (المحتاجون مِن زُوّار الشَّيْخ الذين يرجون عطاءِهِ دون سؤال). قال الشَّيْخ صالِح ولد بان نقا حدثنا الفقيه صِغَيرون الشَّقْلاوي حُوار الشَّيْخ إدريس [تلميذ الشَّيْخ إدريس] قال الشَّيْخ محمد وَدْ فايِد

283- مَحْمَد أبو قرون. الطريقة اَلْقَادِرِيَّة في السودان والدعوة إلى الله. الخرطوم 1002م، ص 242.

حُوار الشَّيْخ [إدريس] يَقَدُم فِي كُل عام لِزيارة الشَّيْخ مِن البحر المِر(البحر المالِح، إشارة إلى البحر الأحمر أي منطِقة شرق السُودَان أو بِلاد البِجه) وتحضُر معهُ قبايِل [قبائِل] الشرقعرب أُكُدْ وعرباً لتاكه وغَيرِهم يجوا (يأتون) دافرين (مُندفِعين، مُتزاحِمين على صهوات الإبِل والجِياد) مِثل قبايِل جُهَينة مِنهُم شايِل (حامِل) العسل ومِنهُم من شايِل القِماش كُل أحد (واحِد) على قُدرتِهِ يقعوا (ينزِلوا) على ولد النفيداوي ثُم يجوا على المحل الذي فيهِ حِلة [قرية] ولد أبو دِليق»[284].

ومن أعظم الشخصيات الصُّوفِية في السُودَان والتي عرفت بالكرم والجاه الكبير الشَّيْخ حسن ودحسونه، وواضح أن التَّكِيَّة حاضرة في حياته. وكلا الشَّيْخان – وكما هو معروف – فإن فترة حياتهما الصُّوفِية كانت إبان عهد الفونج، القرن السادس عشر الميلادي الموافق الحادي عشر الهجري. ولعل ذكرنا للشَّيْخين؛ الشَّيْخ إدريس وَدْ الأرباب والشَّيْخ حسن ودحسونة وعلاقة نشأة وتَاريخ التَّكِيَّة بأخذهما كمثلين، علماً بأن هناك العديد من مشاهير المشايخ من رِجَالات التَّصَوُّف في عهدها أيضاً كانت التَّكِيَّة مؤسسة ذات حضور قوي في حياتهم وتسير دولاب دولتهم الصُّوفِية.

والصُّوفِية في السُودَان حببوا الناس في الدين بلين عريكتهم وطيب معشرهم وكرمهم وإيثارهم الآخرين على أنفسهم. قالوا لبعض حيرانهم: من غير الهينين، «أنحنا ملكنا الناس بالكلمة الهُوَيْنَةْ والكِسْرَةْ اللُّوَيْنَةْ»، وعندما ألم ببعض الشيوخ بعض ضيق اليد بسبب كرمه لامه أهْله، فقال لهم:» كان ما عَجِيْنِيْ مِنُو البِجِيْنِي؟».

وداخل التَّكَايَا مكان لتجمع شيوخ وشباب من الرِجَال والنِّسَاء والأطفال، وتقسّم الأدوار فيما بينهم، حيث يقوم الرِجَال بذبح الماشية، وتجهيز مستلزمات طهي الطعام والشاي والقهوة من الحطب، في حين تهتم النسوة بإعداد الطعام وغسل الأواني. وفي سابق السنين عندما كانت التَّكَايَا بوضعها التقليدي ظلت الْمَرْأَة الصُّوفِية حاضرة ولها الدور الكبير في إعداد موائد الطعام والشراب لسد رمق الجائعين وأصحاب الحاجّة. فهناك نفر منهن نزرن أنفسهن للخدمة داخل التَّكَايَا مدى الحياة، وهنالك من يأتي من المريدات حيث يمكثن الشهر والسنة تطوعاً للخدمة داخل المِسِيد، وهناك من يأتي في صحبة مريض فهؤلاء أيضاً يشاركن الخدمة داخل التَّكَايَا وبنفس

284–عزام حسن فرح. الشيوخ المحس في كتاب وَدْ ضيف الله. على الرابط http://vb.alrakoba.net/threads/%D9%28%D9%E8%D9%80%D8%B1%D8%A3%D8%AA.18522/

صافية وروح شفيفة مملؤة بالمحبة والتفاني وبلا كلل أو ملل وخلال ساعات اليوم من الصباح الباكر إلى منتصف الليل، تقوم هؤلاء المرابطات واللائي نزرن أنفسهن للخدمة داخل المِسِيد وفي التَّكَايَا بإعداد وتجهيز كل ما يلزم من مأكل ومشرب للزوار والمريدين على حد سواء.

ومن أشْهَر صالحات السُودَان اللائي نذرن أنفسهن للخدمة داخل التَّكَايَا الشيخة و ا رثة الصلاح السارة بِتْ الشَّيْخ الجعلي المثني حفيدة الشَّيْخ أَحْمَد الجعلي مؤسس الطريقة اَلْقَادِرِيَّة بكدباس. فقد ظلت أكثر من أربعين عاماً تسهر لراحة الآخرين، حيث استلمت ككر التَّكِيَّة من خالتها زهراء بِتْ الشَّيْخ محمد الأَمِين والدة زوجها الشَّيْخ حاج حَمَد. وقد تعاقبت على تكية مَسِيد كدباس ومنذ زمن الشَّيْخ الجعلي الكبير: أمنا آمنة بِتْ عبد الماجد، وزمن الشَّيْخ حاج حَمَد الكبير: أمنا الرحمة زوجته، وزمن الخليفة محمد: أمنا زهراء، حتى خلافة الشَّيْخ الجعلي المثني، ثم استلمت أمنا السارة من بعدها ككر التَّكِيَّة [285].



السَّيِّدة السَّارَّة الشَّيْخ الجعلي أربعون عاماً خدمة داخل التَّكِيَّة

285- مقابلة مع صلاح بابكر. كدباس عبر الواتساب بتَارِيخ 2202/11/11م.

وعن التَّكِيَّة في أبوقرون يكتب الخليفة الراحل الشَّيْخ: وقد رأيت من هؤلاء النسوة اللائي نذرن أنفسهن للخدمة في صغري وهن في عمر متقدم، ومنهن من تقاعد عن الخدمة لضعف الحال، وأذكر الأم (أم الليمون) التي تعرف بهذا الاسم فقط، وقد رأيتها في عمرٍ يقارب التسعين، تتوكأ على عصاها أمام كوخها المستدير، الذى يسمى «بالدردر» – وكل بيت مستدير كان يعرف بهذا الاسم في اللهجة العامية – وأتذكر شَعرها (الكركدي) اللامع بالشيب المائل للخضرة يشبه زغب أفراخ الطير الصغير، تلوك أسنانها من حالة الكِبرَ، أو كأنها تمضغ شيئاً لا أدريه. والأم (فضل الراجي) ذات اللكنة الأعجمية قصيرة القامة، وبنتها «فرج قريب» وابنها ‘‘كاب الدايح»، والأم ‘‘الربِ جود» وبنتها «بخيتة»، زوجة العم قنديل. والأم ‘‘شرفولة» الفُضلى ذات شراسة ورفع صوت عالٍ حين تحس بقمز من أحد، والأم’’ حوى معيلق» أعجمية دقيقة الحجم، والأم ’’دَ رَشو» وهي تعرف بهذا الاسم فقط، والأم ‘‘حميراء» بكسر الحاء بدون سكون على الياء، والأم «مستورة» ولم أحضرها وكانت لها صولة وجولة، وتحصل منها خارقة كرامة إذا كانت أيام الأعياد وسماع الطبول تأخذها حال جذب شديد وغياب عن الوعي تجعلها تحمل النار بين كفيها مباشرةً من غير ساتر، والجذب هو حال يعتري بعض أهْل التَّصَوُّف. ومن تلك النسوة الأم بنت»مجَلَي’’ – من ديوم بحري، يبدو من أحوالها أنها من أسرة تعيش في حال من الرخاء مقارنة مع غيرها، تأتي أيام الأعياد ومعها بعض الزائرات وهي تقوم بشد الملاح للضيوف الخاصين – وأذكر بيت الحبوبة «فاطِمَة بنت إِبرُاهِيْم» شهرت بأم الفقراء زوجة الشَّيْخ الكبرى التي كان بيتها مضيفة للنساء، وإلى جوارها زينب بنت «الجرِّك» والدة العم شيخ العرب التي تسكن في حجرة واسعة ومع هذا تضيق أيام الأعياد، هذا كله يجري من الذاكرة ثراً محفوظة جوانبه من حياة مَسِيد الشَّيْخ القادري[286].

286- المصدر نفسه ص 442.



فقيرات من مَسِيد الشَّيْخ الصابونابي يجهزن الطعام

وكما الرجل فإن الْمَرْأَة حاضرة داخل التَّكِيَّة، فهي تعمل بكل نشاط وإخلاص وتفاني. ومن أشْهَرهن «طيرة الجنة» فهي من الأوائل من النِّسَاء الائي خدمن في التَّكِيَّة بحياة المؤسس «أبونا الشَّيْخ المكاشِفي»، وأيضاً هنا «عشة بِتْ البرناوي»[287].



نسوة في مرحلة إعداد الطعام في مَسِيد الشَّيْخ البرعي– الزريبة

وبعد، فلعلَّ هذه كانت محاولةً للبحث والتنقيب عن عوالم المرأة المتصوّفة في

287- مقابلة مع الأستاذ إيهاب الشيخ موسى المكاشفي. مصدر سابق.

السودان، وهي عندي – بلا أدنى شك – تمثل إرثاً منسياً وجب الوقوف عنده والتذكير به، ذلك أن الدور الذي لعبته – ومازالت وستظل بإذن الله تلعبه – لهو جدير بالالتفات إليه، اعترافاً بفضلها ودورها الكبير والمتعاظم داخل ميادين المجتمع الصوفي في البلاد، والمعنية بتحفيظ القرآن الكريم، وتجسيد المنهج النبويّ سلوكاً وحياةً في المجتمع السوداني، بل وخارجه، وتوجيه الناس إلى ما فيه خيرهم في دنياهم وأخراهم.

ثبت المراجع

1. إبراهيم يوسف فضل الله. أكتوبر وحقوق الْمَرْأَة. على الرابط إبراهيم يوسف فضل الله. أكتوبر وحقوق الْمَرْأَة.
2. ابن عربي. الفتوحات المكية. دار الكتب العلمية- بيروت- 2011م.
3. أبو الطيب الحفياني. حادي العيس. الأمانة العامة للذكر والذاكرين. 2009، ص4
4. أحمد إبراهيم أبوشوك. المؤرخ يوسف فضل حسن: رصانة الكسب وجزالة العطاء.. على الرابط

https://sudanile.com/%d8%a7%d9%84%d9%85%d8%a4%d8%b1%d8%ae-%d9%8a%d9%88%d8%b3%d9%81

5. أحمد إبراهيم أبوشوك. غلام الله بن عايد وآثاره في السُودَان. مقال منشور بواسطة سودانيل، على الرابط https://sudanile.com/%D8%BA%D9%84%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87
6. أحمد أبوشوك. الأستاذة إنعام عبد الرحمن المهدي (ت. 10 يوليو 2020): كانت كالغيث أينما هطل نفع
7. أحمد المجذوب حاج الماحي. ساقية حاج الماحي. الجزء الأول. على الرابط http://m-nile.com/?p=1842
8. أحمد عثمان محمد المبارك. إلى علماء الدين. لمصلحة من يحدث كل ذلك.. أفتونا رحمكم الله؟. التيار الجمعة 3 فبراير 20012 الموافق 11 ربيع الأول 1433هـ العدد 887، ص-7.
9. أحمد كرموش. الشريفة السَّيِّدة مَرْيَم الميرغنية. على الرابط http://www.khatmiya.com/vb/showthread.php?t=3494
10. أرزازي محمد. صورة الْمَرْأَة في الخطاب الصوفي - ابن عربي نموذجاً-. ورقة منشورة على الرابط https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/206/5/2/100006
11. آمال عباس. الذكرى تنفع المؤمنين على الرابط https://www.alrakoba.net/817942/%D8%
12. آمال عباس. الْمَرْأَة السُودَانية اشراقات الماضي وظلماته (3). المنشور بتَارِيخ

2017/7/3م على الرابط
https://www.sudaress.com/alrakoba/1079718
13. أمال عباس. الْمَرْأَة السُودَانية اشراقات الماضي وظلماته (4).
https://www.alrakoba.net/797552/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%A3%
14. أمين أحمد. حضور الْمَرْأَة الصُوفيَّة في المجتمع الجزائري (لالة زينب نموذجاً). بحث منشور على الرابط
http://lagora-univ-oran2.org/ar/%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9-%
15. الأَمِين حامد وعبد الجليل عبد الله. الحاج عبد الله الحياة والناس، كتاب تحت النشر.
16. بدرية على سيد أحمد. تطور تعليم البنات في السُودَان 1900-1985م. بحث مقدم لجامعة شندي، كلية الدراسات العليا لنيل درجة الدكتوراة في التَارِيخ، 2021م.
17. جبريل الفضيل محمد. قصة الاثر الاجْتمَاعيّ لـ»أبونا الشَّيْخِ البرعي» في كردفان(3). على الرابط
https://www.sudaress.com/alrakoba/1050665
18. جمال عبد المحمود الحفيان. مسودة ورقية عن حياة السيدة الزهراء الشيخ السماني. بتَارِيخ 2022/11/18م.
19. الجيد عبد العزيز. الْمَرْأَة السُودَانية عالمة ومعلمة
https://www.alrakoba.net/514282/%D8%A
20. حفيد الشَّيْخِ حمد. المريوماب المنشأ والتَارِيخ التليد. على الرابط
https://moryomap09.own0.com/t1-topic
21. خالد الشَّيْخِ حاج محمود. التوثيق لأغاني التراث
22. خالد محمد عبده. التَّصَوُّف يقدم للإنسان رؤى كثيرة.
23. ديوان" ابنة حسن في مدح جد الحسين والحسن، وقصيدها في الصالحين".
24. رابعة العدوية ليست الوحيدة.. دور النساء المنسي في تَارِيخ التَّصَوُّف الإِسْلاَمي. https://webcache.googleusercontent.com/sea
25. رفيدة محمد سلمان محمد. أدب الشَّيْخِ الصابونابي (دراسة وتحليل. رسالة ماجستير غير منشورة- جامعة الجزيرة- كلية التربية (حنتوب- 2002. ص- 3.
26. رنده عطية. فاطِمَة القرطبية.. الزاهدة التي زرعت حب الْمَرْأَة في صدر ابن عربي

27. سعاد الحكيم. الْمَرْأَة في الفضاء الصوفي قد تصل إلى «رتبة القطبية» وهي بمنزلة الخلافة في «الدولة الروحية». مجلة الفيصل على الرابط
https://www.alfaisalmag.com/?p=16028
28. سعد أفوغال. الْمَرْأَة في التصور الصوفي. على الرابط
https://www.islamanar.com/the-woman-in-the-sufi-imagination/
29. سمير محمد علي حمد. اماني ريناس.. أما آن لها أن تعود إلى قمة الهرم.
30. سهير أحمد صلاح. ورجاء حسن خليفة. النهوض بتعليم الْمَرْأَة في السُودَان. Academia.edu
31. سعد الدين منصور. الشريف أبو القاسم محمد أحمد سيرة ومسيرة كتاب تحت النشر.
32. السيد نجم. التَّكَايَا. .فنادق للتعبد والراحة بلا مقابل. مقال منشور على موقع مجلة البيان على الرابط
https://www.albayan.ae/paths/life/2011-08-21-1.1490639
33. شمائل النور. مَرْيَم السُودَانية... كيف سبقت عصرها من «وراء حجاب»؟!. مقال منشور على صحيفة السفير العربي على الرابط
https://assafirarabi.com/ar/43785/2022/03/0
34. الشَّيْخ حمد وَدْ ام مريوم... محرر العبيد ونصير النساء. على الرابط
https://www.facebook.com/583739611763943/posts/1230332097104688 /
35. الشَّيْخ عبد الرحيم البرعي محطة لابد من التوقف بها. على الرابط
https://sudaneseonline.com/msg/board/3/msg/1169115451/rn/2.html
36. الشَّيْخة «جميلة»: أبونا «البرعي» كان نصيراً للمرأة!! مقال منشور في صحيفة المجهر بتَارِيخ 15-2-2013م على الرابط
https://elmeghar.com/archives/9236
37. طارق شريف. وردي في منبر «الصحافة» الغناء توقف منذ 17 عاما والمنتوج «إسفاف». الصحافة السبت 27 جمادي الأولى 1427 الموافق 24 يونيو 2006م، العدد 4686، ص- 12.

38. الطيب صالح. مختارات للمدن تفرد وحديث: الشرق. مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي. الطبعة الثانية، فبراير 2010.
39. الطيب محمد الطيب....أو السُودَان المتجول... فقيدنا الكبير.
40. الطيب محمد الطيب. المِسِيد. دار عزة للنشر – الخرطوم- 2005.
41. عارف الدوش. في رحاب أهل الله.. التَّصَوُّف والموقف من الْمَرْأَة.
https://yemen-press.net/article7274.html
42. عبد الرحيم حاج أحمد. السَّارَّة بِتْ الشَّيْخ...نموذج سوداني.
https://m.facebook.com/245933602182064/photos/%D8%A8%D9%85%D9%86%D8%A7%D8%B3%
43. عبد اللطيف البوني وعبد اللطيف سعيد. البرعي رجل الوقت. مطبعة التيسير، الخرطوم، 2000، ص13.
44. عبدالجبار المبارك. الأستاذ الشَّيْخِ عبد المحمود نور الدائم حياته وآثاره. الخرطوم، 2004، ص330.
45. عبد الجليل سليمان. الصُوفيَّة في السُودَان... كل الطرق تؤدّي إلى الله حتى الغناء والرقص. على الرابط
https://webcache.googleusercontent.com/sea
46. عبد الجليل عبد الله صالح. الترابي والصُوفيَّة في السُودَان اختلاف منهجين. الراوي للنشر، 2019م.
47. عبد الجليل عبد الله صالح. الطريقة السمانية: المنهج، التَارِيخ والمستقبل. الرواي، 2019م.
48. عبد الجليل عبد الله صالح. الشيخ السماني الشيخ البشير حياته وآثاره. دار عزة للنشر – الخرطوم 2021م.
49. عبد الجليل عبد الله صالح. الدور الديني والاجتماعي والأدبي للسمانية أم عيدان. دار عزة للنشر 2021م.
50. عبد الرحمن ودالكبيدة. التربية والتعليم بين الماضي والحاضر 2نظرات في التعليم الديني في السُودَان.
51. عبد الرحيم حاج أحمد. مسودة ورقة عن سيرة حاجة السَّارَّة الشَّيْخِ البرعي مرسله للمؤلف بتَارِيخ 2022/9/11م.
52. عبد الله أحمد خير السيد. إلى كل امرأة سودانية – إلى زوجتي جميله بِتْ عبد الله. على الرابط

https://www.alrakoba.net/468682/%D8%A7%D9%84%D9%89-%D9%83%D9%84-%D8%A7%D9%85%D8%B1%D8%A3%D9%87

53. عبد الله الشَّيْخ. فإنْ شِئتَ أنْ تحيا سَعيداً، فَمُتْ بهِ شَهيداً، وإلاّ فالغرامُ لَهُ أهل!..
https://www.alfikra.org/article_page_view_a.php?article_id=1241&page_id

54. عبد الله الشيخ سيد أحمد. مهيرة بِتْ عبود ذلك الشرف البازخ. على الرابط
https://www.facebook.com/100311328316697/posts/335232934824534/

55. عبد الله علي إبراهيم. قول في الواليات آمال وآمنة. على الرابط
https://sudaneseonline.com/board/505/msg/%D9%82%D9%88%D9%84-%D9%81%D9%8A-

56. عزام حسن فرح. الشيوخ المحس في كتاب وَدْ ضيف الله. على الرابط
https://vb.alrakoba.net/threads/%D9%82%D9%8E%D9%80%D8%B1%D8%A3%D8%AA.18522/

عصام الدين محمد بانقا. الرازقية اليعقوباب (٤)، مقالات منشورة على الرابط https://www.sudaress.com/akhirlahza/17001

عصام الدين محمد بانقا. الرازقية اليعقوباب (4)، مقالات منشورة على الرابط https://www.sudaress.com/akhirlahza/17001

57. علي كاني. الْمَرْأَة في ميزان الصُوفيَّة. على الرابط
https://kasnazan.com/1926

58. عمر بشير. بين ريًّا وهدية أمهات واهبات (1-)3. منشور بتَارِيخ 2013/3/12م على الرابط
https://www.sudaress.com/alintibaha/31929

59. عمر بشير. بين ريًّا وهدية أمهات واهبات (3-)3. منشور بتَارِيخ 2013/3/12م على الرابط
https://www.sudaress.com/alintibaha/31929

60. فاطِمَة بدري. الصُوفيَّة تيار احتضن الْمَرْأَة بعد أن نبذها الفقهاء (1-2).

61. فائز حسن عثمان. الآثار الإِسْلَاَمية في منطقة الدامر (شمال السُودَان). على الرابط
https://cguaa.journals.ekb.eg/article_38961.html

62. فكري أبو القاسم. أمهات وادي النيل (5-5).
https://www.sudaress.com/akhirlahza/127151

63. فيحاء محمد علي: أنا أول مادحة سودانية وأنافس نفسي بنفسي!نشر في صحيفة

الأهرام اليوم بتَارِيخ 26-3-2011
https://www.sudaress.com/alrakoba/17981
64. محمد أبو قرون. الطريقة القادرية في السُودَان والدعوة إلى الله. الخرطوم 2001م، ص 242.
65. محمد المهدي المجذوب. ديوان غارة وغروب. 2013م.
66. محمد بدر الدين. الشريفة مَرْيَم الميرغنية سيرة امرأة سودانية خالدة. على الرابط
https://www.alrakoba.net/231361/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D9
67. محمد عايد صالح العكيدي. أدب النساء الصُّوفِيَّات في العصر العباسي دراسة موضوعية وفنية. جامعة آل البيت كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية وآدابها، 2016، ص-8.
68. محي الدين صالح. الأدب الصوفي وأثره في الدعوة الإِسْلاَمية نموذج من السُودَان العربي الإفريقي. جامعة أفريقيا العالمية، ورقة علمية قدمت في مؤتمر الإِسْلاَم في إفريقيا، 2006، ص 265.
69. مزدلفة محمد عثمان. أم البركات: الشريفة الميرغنية..»ستي مَرْيَم يا منجدي"
70. مسودة ورقية مرسلة من طرف الشَّيْخِ الخليفة صلاح الشَّيْخِ إدريس وَدْ أم حقين، بتَارِيخ 2022/8/14م.
71. مقرر اللغة العربية (المرحلة الثانوية). وزارة التعليم العام، المركز القومي للمناهج والبحث التربوي، بخت الرضا، 2008.
72. منصور صديق الخليل. السَّيِّدة خديجة بنت الشَّيْخِ البشير محمد نور من صالحات الزمان. على الرابط
https://www.facebook.com/altarigaalsmaniaalhashmia/posts/498803638319
73. منى علي علام. النساء والتَّصَوُّف: خصوصيّة التجربة وإشكاليّات التَارِيخ. نشر في السفير العربي بتَارِيخ 14/مارس/2018م
74. موسوعة أهل الذكر بالسُودَان. المجلد الخامس، الخرطوم 2004، ص 1372.
75. نصر الدين سليمان علي فضل الله. دراسات فكرية في التَّصَوُّف بالسُودَان، أوراق وتوصيات المؤتمر الأول للدراسات الفكرية للتصوف في السُودَان. دار عزة للنشر والتوزيع. (2008م. ص.45.
76. النعيم محمد الهادي الصابونابي. سيرة الشيخة الأستاذة والشاعرة لَيْلَى محمد الصابونابي. 2022/9/1م.

77. وكالة السُودَان للأنباء (سونا)، أيام في مَسِيد ودبانقا. قسم التحقيقات. العدد رقم 110، الأثنين 21 جمادي الأولى 1400، الموافق 7 أبريل 1980م، ص30.

المقابلات الشخصية

1. مقابلة مع الأستاذ إيهاب الشيخ موسى المكاشفي. الخرطوم عبر تسجيل صوتي بتَارِيخ 2022/5/1م.
2. مقابلة مع الشاعرة شادية فضل الله (أبوالعول) عبر الواتساب بتَارِيخ 2022/5/22م.
3. مقابلة مع الشاعرة مي أزهري خير الله. الخرطوم بتَارِيخ 2022/5/30م.
4. مقابلة مع الشاعرة إقبال جعفر. مدني بتَارِيخ 2022/6/6م.
5. مقابلة مع الشاعر سيف الدين سيلمان – المكايلاب- بربر- عبر تسجيل صوتي بتَارِيخ 2022/7/22م.
6. مقابلة مع الأستاذ مناف الشَرِيف – عبر رسالة مكالمة صوتية وتسجيل صوتي بتَارِيخ 2022/7/28م.
7. مقابلة مع الأستاذ مناف. الخرطوم – الشَرِيف النور عبر تسجيل صوتي بتَارِيخ 2022/7/29م.
8. مقابلة عبر مكالمة صوتية مع الناظر مراد جعفر شكيلاوي، كسلا، بتَارِيخ 2022/7/29م.
9. مقابلة مع الشاعرة ثريا محمد موسى. عبر الواتساب أبوظبي- بتَارِيخ 2022/8/21م.
10. مقابلة مع شيخ الطيب الشيخ السماني. العقيق- الباحة بتَارِيخ 2022/9/19م.
11. مقابلة مع المكاشفي الشَّيْخِ الخدام، عبر الواتساب – سابع دليب- الجزيرة بتَارِيخ 2022/8/11م.
12. مقابلة مع الشاعرة تسنيم كباشي مصطفى. ودراوه- عبر الواتساب بتَارِيخ 2022/9/25م.
13. مقابلة مع الشاعرة وداد الصديق أحمد. أبودليق- عبر الواتساب بتَارِيخ 2022/10/1م.
14. مقابلة مع الشاعرة زمزم زكريا جمعة. كوستي- عبر الواتساب بتَارِيخ 2022/10/15م.
15. مقابلة مع الأستاذ على هاشم السراج عبر مكالمة صوتية – الخرطوم بتَارِيخ 2022/10/20م.
16. مقابلة مع الشاعرة آمنة الصادق الأمين. سنار- عبر الواتساب بتَارِيخ 2022/10/21م.
17. مقابلة مع الشاعرة مناهل فضل السيد الزين. الدويم- عبر الواتساب بتَارِيخ 2022/10/30م.
18. مقابلة مع صلاح بابكر. عبر الواتساب- كدباس بتَارِيخ 2022/11/11م.

19. مقابلة مع الدكتور إسماعيل خضر. الخرطو عبر الواتس بتَارِيخ 2022/11/11م.
20. مقابلة مع الشاعرة إبتهاج إبراهيم بشير. مدني بتَارِيخ 2022/11/17م.
21. مقابلة مع بروفيسور أحمد بابكر الطاهر. الخرطوم عبر مكالمة صوتية بتَارِيخ 2022/11/17م.
22. مقابلة مع عثمان أبوسبيب. مطمر بِتْ أسد. عبر مكالمة صوتية بتَارِيخ 2022/11/19م.
23. مقابلة مع الشاعرة شامة الشيخ السماني. أم عيدان عبر الواتساب بتَارِيخ 2022/11/24م.
24. مقابلة مع الدكتور النور حمد الترابي. الخرطوم، عبر الواتساب بتَارِيخ 2022/12/22م.

Webpages

https://www.almrsal.com/post/609160?utm_source=google.com&utm_medium=organic&utm_campaign=google.com&utm_referrer=google.com https://bitalsudan2010.blogspot.com/2017/08/blog-post_10.html

https://www.facebook.com/groups/442762722425195/

https://www.facebook.com/sudfigures/posts/1023916147626869 /

YouTube

قناة الشروق. برنامج المدهشون. حلقة مع ثنائي المديح سيدة وصفية. على الرابط https://www.youtube.com/watch?v=-QmPWV4Uz-I

الشيخ حمد وَدْ أم مريوم مؤسس الخرطوم بحري https://www.youtube.com/watch?v=7Q4ud5e1DCQ

إن تاريخ السودان مليء بالنساء الصالحات والمتصوفات سليلات بيوتات العلم والمعرفة، على الرغم من أن المصادر الصوفية لم تفرد لهن أبواباً أو تراجم بذاتها، بل جاءت أخبارهن مضمنة إلى سيرة الرجال الصالحين، ما إذا كانوا أباءاً، أزوجاً، أو أبناءاً. غير أن المصادر الشفهية تزخر بسيرة الكثير والكثير منهن.
برز من النساء السودانيات وعبره تاريخه الضارب في الجذور جملة غير قليلة، ممن كان لهن حظاً وافراً في ممارسة التصوف سلوكا ووعظا وإرشادا وأخريات عرفن بالعلم والأدب ونظم الشعر.
إن إسلام السودانيين الصوفي المتسامح الذي ينظر للقيمة الإنسانية قد جعل المرأة خليفة في بقعة المسيد بعد والدها ، كما أن الشيخ خوجلي نفسه قرأ القرآن على بنت القدال. فيما كُني العديد من المشايخ ببناتهم أبوالجاز، أبوالتاية، أبوالنسيم، أبوالسارة، أبوعزة، أبوالبتول. كما نودي العديد منهم بأمهاتهم على سبيل المثال ود أمريوم، ود ريا، ود أم حقين، ود أب صفية.
في إحتفال اليوبيل الفضي لكلية المعلمات بأم درمان عام 1947م جاء في خطاب الشيخ بابكر بدري أمام الحفل الآتي: «سمعت بعض الناس يعتقدون أني أول من نظر في تعليم البنت السودانية، مما دعاني للبحث الدقيق عن هذه الحقيقة الغامضة، فهاكم ما حصلته من بحثي في الكتب التاريخية القليلة وما عرفته بسؤالي من كان لهم معلومات بهذا الشأن:
أولاً: تعليم البنات كان قاصراً على حفظ القرآن الكريم وكتب الدين.
ثانياً: إن أول بنت تعلمت هي فاطمة بنت جابر بن بلال، التي حفظت القرآن على والدها، وقرأت العلوم الدينية على أخوانها الأربعة الذين هم أول من نقل مختصر خليل للسودان وذلك قبل ثلاثمائة وأربعين سنة.
إن المرأة الصوفية في السودان بلغت مرتبة تمكنها من تعليم الرجال والقرآن والعلم. ومن يدري ربما كانت حلقتها تضم عددا من النساء أو البنات، إذ ليس مايمنع من ذلك، فقد رأيناهن يشاركن الأولاد في حلقة الشيخ حمد ود أم مريوم، وكن أكثر منهن عددا، كما إن إشتغال فاطمة بنت جابر بالعلم وهي من بيت علم ودين، ولاسرتها مكانة اجتماعية، كان كفيلاً لان يمزق الستار الذي يحجب عنها الرؤية لترتاد بعد ذلك حلقات الدروس. ولئن درست فاطمة بنت جابر في مدرسة الأسرة، فأين تعلمت بنت القدال؟ أليس هذا دليلا على أن المجال كان واسعا أمام المرأة حتى تصل درجة الجلوس للتدريس؟

د. عبد الجليل عبد الله صالح


ISBN 1-8616486-1-8



2024